الجامعة الإسلامية – غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية التربية
قسم أُصول التربية

الأبعاد التربوية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام

رسالة ماجستير

إعداد الطالب
زياد محمد حسن مسعود

إشراف الدكتور
حمدان عبد الله الصوفي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في قسم أصول التربية بكلية التربية في الجامعة الإسلامية – غزة

1423هـ - 2003م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
رَاكِعُونَ ﴾

صدق الله العظيم

(المائدة: آية ٥٥)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإهداء

ó إلى الذين صدقوا الله فصدقهم الله ؛ وتولوا دين الله ﷻ ؛ فتولاهم الله . ثبّتهم الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ...

ó إلى الذين تولوا غير دين الله؛ تحت ظروفٍ بيئية أو قبلية أو تحت ضغط الآبائية ؛ فأدركهم لطف الله وأنار قلوبهم قبل فوات الأوان ...

ó إلى حملة الدعوة الإسلامية ... من الدعاة المخلصين والتربويين الصادقين والآباء والأمهات والمربين ؛ أعانهم الله ...

ó إلى المجاهدين في سبيل الله في كل بقاع الارض .... حفظهم الله ونصرهم وسدد رميهم وثبت أقدامهم ...

ó إلى والديّ الحبيبين اللذين ربياني صغيراً ، وأولياني بدعائهما كبيراً .... حفظهما الله ورحمهما وأدام عزهما ...

ó إلى زوجتي وأبنائي ... الذين تحملوا عقبات الدراسة ومشقاتها ، وذللوا لي سبل البحث والدراسة ؛ وفقهم الله إلى كل خيرٍ وصلاح ...

ó إلى إخوتي ..... وأخواتي..... وأقاربي..... وأصدقائي . .... هداني وإياهم الله إلى صراطه المستقيم

أهدي هذا الجهد المتواضع ، داعياً ربي أن ينفع به كل من قرأه ووقع بين يديه من المسلمين .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وتقدير

الحمد لله هدانا لكتابه ، وفضلنا على سائر الأمم بأفضل أحبائه ، حمداً يستجلب المرغوب من عطائه ، ويجعلنا من الشاكرين لنعمائه ، والعارفين لأوليائه وآلائه ، والصلاة والسلام على رسوله المصطفي ونبيه المجتبى سيدنا محمداً ﷺ ، وعلى آله وصحبه ومن والاهم إلى يوم الدين. أما بعد :

فإنني أحمد الله ﷻ الذي وفقني لإتمام هذه الدراسة ، وإن لساني ليقف عاجزاً عن الشكر وعظيم الامتنان والتقدير للدكتور / حمدان عبد الله الصوفي الذي أسعدني بقبوله الإشراف على هذا البحث ، والذي فتح لي قلبه وبيته ، حيث كان لاتساع أفقه العلمي ، وتوجيهاته المنهجية ، وفكره الرشيد ، ورأيه السديد ، الفضل الكبير في إنجاز هذا البحث .داعياً الله ﷻ أن يجعله في ميزان حسناته يوم القيامة .

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير للدكتور الفاضل : محمود خليل أبو دف ، لتفضله مشكوراً بمناقشة هذه الرسالة ، والذي سعدت بالتتلمذ على يديه ، والذي كان له كبير الأثر في دفع هذا البحث إلى حيِّز النور منذ أن كان فكرة تراود الباحث ، والذي زاد البحث قوةً ورصانة .

كما أتقدم بالشكر الجزيل للدكتور الفاضل : سعد عبد الله عاشور والذي تفضل مشكوراً بمناقشة هذه الرسالة ، والذي أضفى على البحث رونقاً وجمالاً .

كما أتقدم بالشكر الجزيل للجامعة الإسلامية ، ذلك الصرح الشامخ ، الذي أتشرف بالانتساب إليه .

كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لعمادتي الدراسات العليا وكلية التربية لما يبذلانه من جهود مشكورة في سبيل خدمة طلب العلم .

كما أتوجه بالشكر والتقدير لجميع أساتذتي الأكارم الذين تتلمذت على أيديهم في برنامج الدراسات العليا .

كما أتوجه بالشكر والتقدير لكل من ساهم في إنجاح هذه الدراسة أو تحسينها.

ومع ذلك كله ، فإنني سعيت بقدر جهدي لإتمام هذا العمل الذي لا أزعم له الكمال ، فإن أحسنت فيه فمن توفيق ربي ﷻ ، وإن أسأت فمن نفسي . " وما توفيقي إلا بالله "

الباحث

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملخص الدراسة

عنوان الدراسة : " الأبعاد التربوية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام "

- هدفت الدراسة إلى إبراز الأبعاد التربوية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام المتمثلة في : الأبعاد الإيمانية والأخلاقية والنفسية والعقلية والاجتماعية.
- وقد تمثلت مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي :-

ما الأبعاد التربوية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام ؟

وللإجابة على هذا السؤال تم اشتقاق الأسئلة الفرعية التالية :

١. ما الأبعاد الروحية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام ؟
٢. ما الأبعاد الأخلاقية لمفهوم الولاء والبراء في السلام ؟
٣. ما الأبعاد النفسية والوجدانية لمفهوم الولاء والبراء في السلام ؟
٤. ما الأبعاد العقلية والفكرية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام ؟
٥. ما الأبعاد الاجتماعية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام ؟

- ولقد اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي ، حيث تناولت الدراسة الولاء والبراء من حيث المعنى والمفهوم ، والأدلة على الولاء والبراء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وعلاقة الولاء بالبراء ، والولاء والبراء عند أهل السنة والجماعة والعوامل التي ساعدت على إضعاف الولاء والبراء عند كثير من المسلمين .
- وعرضت الدراسة الأبعاد التربوية لمفهوم لولاء والبراء في الإسلام في المجالات الإيمانية والأخلاقية والنفسية والعقلية والاجتماعية .
- ومن أبرز النتائج التي أسفرت عنها الدراسة ما يلي :

١. هناك ضعف لدى كثير من المسلمين في عقيدة الولاء والبراء ناجم عن عوامل عديدة منها : تعطيل الحكم بما أنزل الله ، والتغريب ، وضعف التربية في البلاد الإسلامية ، والجهل ، والاستشراق ، والتبشير ، والعصبيات الجاهلية ، وسياسة التشكيك والتجهيل والتشويه من قبل أعداء الإسلام .
٢. للولاء والبراء أبعادٌ تربوية عظيمة في المجالات الإيمانية والأخلاقية والنفسية والعقلية والاجتماعية التي تصقل سلوك الإنسان فرداً ومجتمعاً .
٣. جاء من توصيات الدراسة ضرورة تفعيل مفهوم الولاء والبراء في المناهج التي يدرسها أبناء المسلمين من خلال غرسها لدى الناشئة وصقلها لدى الشباب ، وإزالة الغمة لدى المضلَّلين من أبناء المسلمين ، كما أوصت الدراسة بضرورة مضاعفة جهود الدعاة والتربويين في تبيان حقيقة هذا المفهوم العظيم ، كما أوصت الدراسة بضرورة أن يأخذ المسئولون التربويون دورهم في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

برمجة هذا المفهوم العقدي المهم في المناهج التعليمية جميعها من أجل صياغة جيل رباني فريـــد يخدم نفسه ودينه ومجتمعه .

Abstract

1 **The study address** : The educational dimensions to the notion of AL WALAA & AL BARAA in Islam .

This study aims to emerge the educational dimensions symbolied with confidentially , morally , psychologically , mental , socially dimensions for AL WALAA & AL BARAA in Islam .

The problem of the study symbolied in the following main question :

What are the educational dimensions to AL WALAA & AL BARAA in Islam ?

More questions are induced from this question :-

1-what are the confidential dimensions to AL WALAA & AL BARAA in Islam ?
2-What are the moral dimensions to AL WALAA & AL BARAA in Islam ?
3-What are the emotional and psychological dimensions to AL WALAA & AL BARAA in Islam?
4-What are the mental dimensions of AL WALAA & AL BARAA in Islam ?
5-What arte the social dimensions to AL WALAA & AL BARAA in Islam ?

The researcher depends on the analytical- discribtive method to find out the educational dimensions to AL WALAA & AL BARAA & The study tackles on the AL WALAA & AL BARAA from the sense and nation, and the guides for AL WALAA & AL BARAA in coran and poetry and the relation of AL WALAA to AL BARAA ,and The study tackles on also AL WALAA & AL BARAA to the people of sona and community and the factors that help to frailness the AL WALAA & AL BARAA for many Moslems.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

The study shows the educational dimensions for AL WALAA & AL BARAA in Islam , confidentially morally, psychologically , mentally and socially.

The study has some results to be into consideration :

1- There are frailness to many of Moslems results for AL WALAA & AL BARAA in from many factors , crippling the judgment of ALLAH , foreignness ,and the consequence of pedagogy in Islamic countries ,ignorance ,orientalism, evangelism , rawness , crops ,the policy of suspicion ignorant and distortion from the Islam's enemies.

2- To the AL WALAA & AL BARAA great educational dimensions in confidential , moral , psychological , mental , social that burnish on behavior and reflect on the society impulsive.

3- Amongst the recommendations of study : the necessity of AL WALAA & AL BARAA in curricula's which Moslems study through out so wing it to the up growing and impulsive it amongst the youths. And removement of the gloom with flases from Moslems commanded as the study commanded on nesessityof breedings whom hold the responsibility of decision to take their rule of programming this controical important sence into all educational circulars for sake of making goodness generation, anigue, that services his self ,credit and society.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية .	أ
الإهداء .	ب
الشكر والتقدير .	ج
ملخص الدراسة باللغة العربية .	د
ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية .	هـ
الفصل الأول : الإطار العام للدراسة .	١
- مقدمة الدراسة .	٢
- مشكلة الدراسة .	٥
- أهداف الدراسة .	٥
- أهمية الدراسة .	٥
- حدود الدراسة .	٦
- مصطلحات الدراسة .	٦
- منهج الدراسة .	٧
- خطوات الدراسة	٧
- الدراسات السابقة .	٨
الفصل الثاني : الإطار المرجعي لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام .	١٩
أولاً : الولاء والبراء " المعنى والمفهوم " .	٢٠
ثانياً : الأدلة على الولاء والبراء من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .	٢٣
أ – الأدلة على وجوب موالاة المؤمنين :	٢٤
١- من القرآن الكريم .	٢٤
٢- من السنة النبوية الشريفة .	٢٦
ب- الأدلة على وجوب البراء من الكافرين :	٢٨
١- من القرآن الكريم .	٢٨
٢- من السنة النبوية الشريفة .	٣١
ثالثاً : العلاقة بين الولاء والبراء .	٣٤
رابعاً : الولاء والبراء عند أهل السنة والجماعة .	٤٢
خامساً : نواقض الولاء وقوادحه .	٤٤
سادساً: التقِّيّة " مفهومها .. حدودها ... شروطها " .	٥١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سابعاً: عوامل ضعف الولاء والبراء عند المسلمين في العصور المتأخرة . ٥٥
الفصل الثالث : الأبعاد الروحية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام . ٧٦
الأبعاد التربوية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام . ٧٧
الأبعاد الروحية للولاء والبراء في الإسلام . ٧٨
١. إخلاص العبودية لله ﷻ . ٧٩
٢. التوكل على الله ﷻ . ٨٢
٣. تحقيق تقوى الله ﷻ . ٨٤
٤. تحقيق الإيمان . ٨٦
٥. بلوغ كمال الإيمان . ٨٩
٦. الهداية والاستقامة . ٩٢
٧. إعانة المسلم على طاعة الله ﷻ وطاعة النبي ﷺ . ٩٥
٨. تحقيق شرع الله ﷻ . ٩٦
٩. بلوغ ولاية الله ومحبته ورضاه . ٩٧
١٠. التثبيت على الحق . ١٠٠
١١. الخشية والرجاء والتضرع والدعاء . ١٠٢
الفصل الرابع : الأبعاد العقلية والفكرية للولاء والبراء في الإسلام . ١٠٥
الأبعاد العقلية والفكرية للولاء والبراء في الإسلام . ١٠٦
١. الوحدة الفكرية والثقافية . ١٠٧
٢. الإبداع العلمي . ١١٠
٣. اعتماد التفكير الموضوعي وأبعاده العقلية. ١١٥
أ- البعد عن اتباع الظن . ١١٩
ب- البعد عن اتباع الهوى . ١١٩
ج- البعد عن التقليد الأعمى وسلبياته ومنها . ١٢١
أولاً : طمس معالم التفكير والتفكر . ١٢٢
ثانياً : الحرمان من العلم وفهم الأمور على حقائقها . ١٢٣
ثالثاً : الرؤية النصفية وعقلية البعد الواحد . ١٢٤
رابعاً : التدني بمستوى التفكير إلى أدنى صوره . ١٢٥
٤. التفكر والتدبر والاعتبار . ١٢٦
٥. تفعيل دور العقل لما فيه صلاح الفرد والمجتمع . ١٢٨
الفصل الخامس : الأبعاد النفسية والوجدانية للولاء والبراء في الإسلام . ١٢٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأبعاد النفسية والوجدانية للولاء والبراء في الإسلام . ١٣٠
١. الشعور بالعزة والاستعلاء . ١٣١
٢. الشعور بالأمن والأمان . ١٣٧
٣. التخفيف من حدة القلق وتداعياته . ١٤٠
٤. راحة القلب بالبشرى في الدنيا والآخرة . ١٤٢
٥. إدخال الطمأنينة والسكينة إلى قلوب أولياء الله المؤمنين . ١٤٤
٦. إدخال السعادة والسرور إلى نفوس أولياء الله المؤمنين . ١٤٥
٧. سلامة صدور المؤمنين من الغل والحسد . ١٥٣
٨. النصر والتمكين للمؤمنين . ١٥٥
٩. إغاظة الكفار والمنافقين . ١٥٩
الفصل السادس : الأبعاد الأخلاقية للولاء والبراء في الإسلام . ١٦٢
الأبعاد الأخلاقية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام . ١٦٣
١. تحري الصدق في القول والعمل ظاهراً وباطناً . ١٦٤
٢. الوفاء بالعهد والوعد . ١٦٩
٣. تحقيق العدل . ١٧٢
٤. غرس الشجاعة والاستعداد للتضحية . ١٧٦
٥. مجاهدة الكفار والمنافقين والغلظة عليهم . ١٧٩
٦. الصبر والثبات على الحق ١٨١
٧. الجهر بالحق . ١٨٤
٨. القوة . ١٨٦
٩. التواضع وخفض الجناح . ١٨٨
١٠. الإيثار . ١٩١
الفصل السابع : الأبعاد الاجتماعية للولاء والبراء في الإسلام . ١٩٥
الأبعاد الاجتماعية للولاء والبراء في الإسلام . ١٩٦
١. تحقيق الترابط والتماسك بين أفراد المجتمع الإسلامي . ١٩٧
٢. التكافل الاجتماعي . ٢٠٥
٣. التعاون على البر والتقوى . ٢٠٧
٤. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ٢٠٩
٥. الحد من الفساد في المجتمع . ٢١٤
٦. القضاء على العصبيات الجاهلية والحد من النعرات القومية . ٢١٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧. إصلاح ذات البين . ٢٢٠
٨. النصرة ورفع الظلم . ٢٢١
النتائج والتوصيات ٢٢٣
أولاً : النتائج . ٢٢٤
ثانياً : التوصيات والمقترحات . ٢٢٦
مصادر ومراجع الدراسة : ٢٢٩
أولاً : قائمة المصادر . ٢٣٠
ثانياً : مراجع الدراسة . ٢٣٥
(أ) : الكتب . ٢٣٥
(ب) : الرسائل العلمية . ٢٤٦
(جـ) : الدوريات . ٢٤٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

الإطار العام للدراسة

- **مقدمة الدراسة**
- **مشكلة الدراسة**
- **أهداف الدراسة**
- **أهمية الدراسة**
- **حدود الدراسة**
- **مصطلحات الدراسة**
- **منهج الدراسة**
- **الدراسات السابقة**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقدمة الدراسة

بعث الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ ، كما بعث الأنبياء والرسل من قبله لتقرير مفهوم الألوهية والربوبية في نفوس البشر، ونبذ ربوبية الخلق، لتحرير الناس من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد ، لإخراجهم من سلطان البشر وحاكميتهم و شرائعهم و تقاليدهم إلى سلطان الله و حاكميته و شريعته، المتمثلة في المنهج الإسلامي الخالد .

وما كان ذلك ليتحقق إلا بتجسيد العقيدة في نفوسهم ، تلك التي كانت القضية الأولى لدعوة النبي ﷺ . وليس غريباً أن يمكث النبي ﷺ ثلاثة عشر عاماً يغرسها في نفوس المؤمنين ، ثلاثة عشر عاماً من ترسيخ مفهوم " لا اله إلا الله " في قلوبهم ، فمن أجلها نصبت الموازين وانقسم الناس إلى مؤمنٍ وكافرٍ، وبارٍ وفاجرٍ، ولأجلها جردت السيوف وهي حق الله على العباد ، يقول ابن تيميه رحمه الله : " ليس للقلوب سرور ولا لذة إلا في محبة الله والتقرب إليه بما يحبه ولا تمكن محبته إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه وهذه حقيقة " لا اله إلا الله " وهي ملة إبراهيم الخليل وسائر الأنبياء والمرسلين صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين " (ابن تيميه، ب. ت ، ج٢٨،٣٢) .

فهي ولاءٌ وبراء ، نفيٌ وإثبات ، ولاءٌ لله ولدينه ولكتابه و سنة نبيه ﷺ وعباده المؤمنين ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (المائدة : آية ٥٥) . وهي في الوقت نفسه براءٌ من كل طاغوت يعبد من دون الله ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة : آية٢٥٦) . وهذا ما أكده النبي ﷺ بقوله : " أوثق عرى الإسلام الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله " (السيوطي ، ١٤٠١هـ ،ج١،٣٤٣ ، ح ٢٢٤٧) .

فالولاء والبراء من لوازم " لا اله إلا الله . " وهما أيضاً تحقيقٌ لمعناها كما يقتضي أن لا يحب إلا لله و لا يبغض إلا لله ولا يوالي إلا لله ولا يعادي إلا لله ، وأن يحب ما أحبه الله ويبغض ما أبغضه الله ويوالي المؤمنين في أي مكان ويعادي الكافرين ولو كانوا أقرب قريب" (القحطاني ،١٤٠٤هـ ، ٤٦) .

بهذا المفهوم الواضح العميق قادت الأمة الإسلامية البشرية دهراً طويلاً، نشرت من خلاله مفاهيم العقيدة الغراء في ربوع المعمورة، فسعد العالم بتعاليم الإسلام.

بيد أن تراجع الأمة وإعراضها عن الجهاد وركونها إلى الدعة والراحة والترف والمجون في الوقت الذي كانت قوى الكفر والنفاق من ملحدين ويهود ونصارى، قد تكالبت من أجل ضرب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسلمين في إسلامهم وسلخهم عن دينهم وتمييع عقيدتهم وتذويب شخصيتهم وصهر ولائهم وتسميم أفكارهم ، فهي لم تكن وليد الصدفة بل كانت محصله سلسلة من المكائد والدسائس بـدأت بـالوجود المادي تبعها الوجود المعنوي المتمثل بالاستشراق والتبشير ثم أعقبها وجودٌ عسكري متمـثلاً فـي الاستعمار الهادف إلى تقطيع أوصال الخلافة الإسلامية ثم بث الأفكار المسمومة في عقول المسلمين مثل فصل الدين عن الدولة وفكرة القومية والإجهاز على الخلافة الإسلامية.

ومن هنا لابد لنا من وقفه نراجع فيها أنفسنا ، نراجع ما نحمل من أفكـار وتـصورات ، وما نقوم به من أعمال وممارسات قبل أن تدفعنا آلامنا وآمالنا إلى فتنه وضلالة ، فمن " الخيـر أن ندرك دائما طبيعة منهجنا ، وطبيعة موقفنا ، وطبيعة الطريق الذي نريد أن نـسلكه للخـروج مـن الجاهلية كما خرج الجيل المميز الفريد " (قطب ،١٤٠٢هـ ، ٢٣) .

بيد أن طريق النجاة واضحة،إنها طريق الإسلام، ذلك الطريق الذي ارتضاه الله لرسـوله و للناس أجمعين مصداقاً لقولـهﷺ :﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: الآية١٥٣) ؛ الإسلام بما يحمل بين طيا ته من عقيدةٍ غراء ، وولاءٍ بين المسلمين، وبراءٍ من الكافرين .

ولا يكفى أن نعرف الإسلام بل لابد أن نجسده في نفوسنا ، أن ننصهر في عقيدتنا ، في حبنا لله ولرسوله و للمؤمنين ، في ولائنا الخالص للإسلام في براءتنا الواضحة من الشرك وألوانـه وتبعاته " فإذا انعقدت آصرة العقيدة ، فالمؤمنون كلهم أخوة ولو لم يجمعهم صهر ولا نـسب ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(الحجرات: الآية١٠) . ويقول أيضاً تباركـت أسـماؤه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (لأنفال:الآية ٧٢) . " وهى ولاية تـربط الجيـل الأول إلـي الأجيـال المتعاقبة وتربط أول هذه الأمة بآخرها، وآخرها بأولها ، برباط الحب والمودة والـولاء والتعـاطف المكين"(قطب ،١٤٠٢هـ ، ١٥٣).

ولعظيم شأن الولاء في الإسلام فقد تناوله القرآن الكريم في أكثر من ثلاثين سورة بـشكل واضح وصريح حتى بدا وكأنه محور الإيمان والتوحيد ، بل ميزانهما فمن خلاله يستطيع المرء أن يعرف حقيقة إيمانه وتوحيده ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " أحب في الله وابغض في الله ، ووالِ في الله وعادِ في الله ، فانك لا تنال ولاية الله إلا بذلك ، ولن يجد عبد طعـم الإيمـان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك ، وقد صارت مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئا " (الأصفهاني، ب. ت ،ج١، ٣١٢) .

الإطار العام للدراسة
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد بحث الباحثون في موضوع الولاء والبراء ،كما كتب آخرون فيه إلا أن تناولهم له كان من جانب واحد مثل دراسة " القحطاني بعنوان : " الولاء والبراء في الإسلام" ، وكتاب " الولاء والعداء في الإسلام " لعبد الله الطريفي " اللذان جاءا من زاوية العقيدة " ، كما جاء كتيب" الولاء والبراء في الإسلام " لمؤلفه الشيخ صالح الفوزان " متناولاً مظاهر الولاء والبراء " ، ومقالات أخرى تناولت هذا الموضوع من جوانب أخرى سياسية واجتماعيه ، إلا أنه في حدود علم الباحث - لا يوجد دراسة تناولت الأبعاد التربوية لمفهوم الولاء والبراء ، على الرغم مما يسببه ضعف عقيدة الولاء والبراء من خلل واضح في التربية سواء كان ذلك في مراكز التربية الرسمية " النظامية " والمتمثلة في المدارس بجميع مراحلها ، والكليات بجميع تخصصاتها ، والجامعات بشتى مجالاتها ، أو حتى في بيوتنا وشوارعنا . فمناهجنا الدراسية تخلو تماماً من تأصيل هذا المفهوم في نفوس الطلاب ، بل تكاد تخلو من التطرق له على الرغم من أثره العظيم في تحقيق الانتماءات الأخرى التي يشكو منها مجتمعنا ، وهذا ما أكدته دراسة (عيسوي ، ١٤٠٩هـ) .

كما أن وسائل إعلامنا من خلال برامجها الثقافية والتربوية تعزز لدى أبناء المسلمين حب الكافرين والمنافقين والمارقين وتقليدهم بدلاً من غرس البراء منهم ومن أفعالهم ، حتى انعكس هذا الضعف التربوي على سلوك المسلمين وعقولهم وتفكيرهم ومنهج حياتهم ، فرادى وجماعات ، دولاً وأحزاباً ، بقصد وبدون قصد ، فهذا مسلم يؤيد المنهج العلماني داعياً إلى فصل الدين عن الدولة ، وذاك يؤيد المنهج الاشتراكي ، وآخر يحب أعداء الله من مطربين وممثلين وسياسيين وأصحاب فكر هدام أكثر من حبه لرسول الله ﷺ ولصحابته ،حتى أصبح المجتمع مفككاً والشباب تائهاً ، يفقد الثقة بنفسه وبمجتمعه ، مسلوب الإرادة ، لا يعرف من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه ، يسير بلا هدف ، فأصبح مرتعاً خصباً لاحتواء كل ما وجد أمامه من أفكارٍ واتجاهات ، دون تمييز ولا تفكير ، لأنه فقد الميزان الذي يميز به بين الحق والباطل ، فاليوم يؤيد ، وغداً يعارض ما أيده بالأمس ، وما كل ذلك إلا لضعف الجانب التربوي في جميع المجالات وفي شتى المراحل ، فمدارسنا غربية البناء إلى حدٍ كبير ، ومناهجنا غربية التصميم بدرجةٍ ظاهرة ، حتى ضعف فيها تمثل مفهوم الولاء والبراء إلى حدٍ كبير . يقول المبشر تكلى " يجب أن نشجع المدارس على النمط الغربي العلماني ،لأن كثيراً من المسلمين قد زعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب الغربية وتعلموا اللغات الأجنبية " (العالم ، ١٣٩٤هـ ، ٤٧) .

لذا جاءت الدراسة للكشف عن الأبعاد التربوية لمفهوم الولاء والبراء من نبعه الصافي القرآن الكريم ومن سنة المصطفى ﷺ ، ووضع التوصيات لأصحاب القرار المسئول ومخططي المناهج من أجل العمل على تأصيل هذا المفهوم العظيم في المناهج ، ليس فقط في التربية الدينية ، بل في جميع المجالات والتخصصات ، لأن عزتنا في وحدتنا ، ووحدتنا في تناصرنا ، وتناصرنا

الإطار العام للدراسة
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في ولائنا للحق وبراءتنا من الباطل وألوانه ، وهذا ما بيَّنه عمر بن الخطاب ﷺ : " إنا كنا أذل قومٍ أعزنا الله بالإسلام ، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله " (الحاكم ، ١٣٩٨هـ ، ج١،٦٢).

مشكلة الدراسة :

تتحدد مشكله الدراسة من خلال السؤال الرئيس التالي :

ما الأبعاد التربوية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام ؟

ويتفرع من السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية :

١. ما مفهوم الولاء والبراء في الإسلام ؟
٢. ما الأبعاد الروحية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام ؟
٣. ما الأبعاد الفكرية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام ؟
٤. ما الأبعاد النفسية الوجدانية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام ؟
٥. ما الأبعاد الأخلاقية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام ؟
٦. ما الأبعاد الاجتماعية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام ؟

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى ما يلي :

١. تجلية مفهوم الولاء والبراء في الإسلام .
٢. إبراز الأبعاد التربوية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام المتمثلة في : الأبعاد الإيمانية ، والأبعاد الأخلاقية ، والأبعاد النفسية والأبعاد الفكرية ، والأبعاد الاجتماعية .

أهمية الدراسة :

تكتسب الدراسة أهميتها من خلال ما يلي:

١- أهمية مفهوم الولاء والبراء في الإسلام .
٢- تساهم في توعيه وإرشاد الموجهين التربويين والمعلمين وأولياء الأمور بآثار وانعكاسات الولاء والبراء على الفرد والمجتمع المسلم.
٣- المساهمة في مواجهة الغزو الفكري الذي يستهدف طمس عقيدة المسلمين ومحو معالم شخصيتهم.
٤- تفيد في بناء مناهج التربية الإسلامية .

حدود الدراسة :

الإطار العام للدراسة
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحد الموضوعي : ستقتصر الدراسة على بيان الأبعاد التربوية لمفهوم الولاء ، والبراء في الإسلام من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال العلماء .

مصطلحات الدراسة :

١. **الأبعاد التربوية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام** : ويعرفها الباحث بأنها تلك الآثار الناتجة عن تجسيد مفهوم الولاء والبراء في الإسلام على حال الصحابة الكرام والتابعين ، والتي عملت على صقل شخصيتهم من جميع النواحي الروحية والفكرية والنفسية والأخلاقية والاجتماعية .

٢. **الأبعاد الروحية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام** :ويعرفها الباحث بأنها تلك الآثار الإيمانية الناشئة عن تمثل مفهوم الولاء والبراء في الإسلام .

٣. **الأبعاد الأخلاقية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام:** ويعرفها الباحث بأنها الآثار الأخلاقية الناشئة عن مفهوم الولاء والبراء في الإسلام ، والتي يدخل في إطارها جميع العلاقات الإنسانية ، حتى علاقة الإنسان بغيره من الكائنات الحية .

٤. **الأبعاد النفسية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام:** يعرفها الباحث بأنها الآثار النفسية الناشئة عن مفهوم الولاء والبراء في الإسلام ، وذات العلاقة بمجموعة المشاعر والعواطف والأحاسيس والانفعالات النفسية التي تؤثر على سلوك الفرد وتطبع مزاجه الشخصي بطابعٍ خاص .

٥. **الأبعاد الفكرية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام:**ويعرفها الباحث بأنها الآثار الفكرية الناشئة عن مفهوم الولاء والبراء في الإسلام، والتي تُعنى بتلك القوة والملكة التي يستطيع من خلالها الإنسان إدراك حقيقة نفسه ،وحقيقة الأمور المحيطة به بحيث يستطيع من خلالها بناء تصوره حول مختلف القضايا من حوله بطريقة صحيحة.

٦. **الأبعاد الاجتماعية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام:** يعرفها الباحث بأنها الآثار الاجتماعية الناشئة عن مفهوم الولاء والبراء في الإسلام ، وذات العلاقة بتنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع ، والتي تعمل على جعله مجتمعاً متماسكاً قوياً .

٧. **الولاء في اللغة** :الموالاة : يقال تولاه : أي اتخذه وليا ، ووالاه : أي نصره وقواه ، مأخوذ من (الولي) – بسكون اللام : وهو القرب والدنو ،(والمولى) الناصر والمحب والتابع (الولي) هو الناصر وهو من أسمائه سبحانه(والولي) أيضا الصديق والتابع المحب وهو ضد العدو .

الإطار العام للدراسة
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(**والموالاة**) : ضد المعاداة ، **والتولي** : يأتي بمعنى الاتباع كما في قوله ﷺ : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ (المائدة: الآية ٥١) . أي من يتبعهم وينصرهم والولاء : النصرة والمحبة(ابن منظور، مادة ولى) .

الولاء في المعنى الاصطلاحي : الولاية هي النصرة والمحبة والاحترام والكون مع المحبين ظاهراً وباطناً (ياسين ، ١٤١٢هـ ، ١٤٥) .

٧ . **البراء في اللغة**:

قال ابن الإعرابي : برئ إذا تخلص ، وبرئ إذا تنزه وتباعد ، وبرئ إذا أعذر وأنذر ومنه قوله تعالى ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (التوبة : ١) .

أي أعذر وأنذر والبراء والبريء سواء ،وليله البراء : ليله يتبرأ القمر من الشمس وهي أول ليله في الشهر (ابن منظور، مادة برئ) .

البراء بالمعنى الاصطلاحي : هو البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار (القحطاني ،١٤٠٤هـ ، ٩٢) .

منهج الدراسة :

استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي التحليلي " الذي يتناول أحداث وظواهر وممارسات قائمه موجودة متاحة للدراسة والقياس كما هي دون تدخل الباحث في مجرياتها ويستطيع الباحث أن يتفاعل معها فيصفها ويحللها (الأغا ، ١٤١٧هـ ،٤١) .

خطوات الدراسة : قام الباحث بتحليل محتوى مجموعة من الآيات مستعيناً بتفسيرها من المصادر الأصيلة ، ثم قام بعرضها على مجموعة من الخبراء التربويين والشرعيين في الجامعة .

الإطار العام للدراسة
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدراسات السابقة

يستطيع الباحث أن يصنف الدراسات السابقة في هذا الموضوع إلى قسمين . يتناول أحدهما موضوع الولاء والبراء من حيث المعنى والمفهوم والدلالات ، ويتناول الآخر موضوعات متعلقة بالدراسات التربوية

أولاً : الدراسات الشرعية :

١ -دراسة القحطاني (١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م) بعنوان : الولاء والبراء في الإسلام

هدفت الدراسة إلى: توضيح أهمية الولاء والبراء في الإسلام ودوره في نهضة الأمة الإسلامية وتبيان مدى إغفال المسلمين لهذا المفهوم العقائدي المهم .

- استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي .

توصلت الدراسة إلى ما يلي :

١. الولاء والبراء من أهم المفاهيم العقدية في الإسلام .
٢. هناك إغفال كبير لمفهوم الولاء والبراء لدى كثير من المسلمين .
٣. -أن الخلاص من حالة الضياع والهبوط والعبودية لغير الله إنما هو باتباع الإسلام.
٤. أن طريق الإسلام يحتاج إلى سالك جاد .

أوصت الدراسة دعاة الخير من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بأن يعودوا بالأمة إلى صفائها وسيادتها من خلال :

١. ١-تصحيح مفهوم لا إله إلا الله محمد رسول الله .
٢. تصحيح مفهوم العبادة وأنه مفهوم شامل وليس شعائر تؤدى بينما نظام الحياة والممات قائم على مناهج وضعية .
٣. تربية الجيل المسلم على منهاج الكتاب والسنة .
٤. تعميق قضية ولاء المسلم للمسلم وانتمائه لإخوانه ، وخلع الولاءات الجاهلية من قومية وعرقية ووطنية وعالمية .
٥. تعميق قضية المعاداة والبراءة من الكفار والمنافقين .
٦. بعث الأمل وتقويته في النفوس بقرب نصر الله ﷻ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢ -دراسة الفوزان (١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م) بعنوان : الولاء والبراء في الإسلام

هدفت الدراسة إلى : التعرف على بعض مظاهر موالاة الكفار ، وبعض مظاهر موالاة المؤمنين ، والى بيان أقسام الناس فيما يجب في حقهم من الولاء والبراء .

- استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي .

توصلت الدراسة إلى :

١. مظاهر موالاة الكفار كثيرة منها :

أ- التشبه بهم في المأكل والمشرب .

ب- الإقامة في بلادهم وعدم الانتقال منها إلى بلد المسلمين من أجل الفرار بالدين

ت - إعانتهم وإظهارهم على المسلمين ومدحهم .

ث- الاستعانة بهم والثقة بهم وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين ، واتخاذهم بطانة ومستشارين .

ج-مشاركتهم في أعيادهم أو مساعدتهم في إقامتها أو تهنئتهم بمناسبتها أو حضور إقامتها .

٢. مظاهر موالاة المؤمنين :

أ-الهجرة إلي بلاد المسلمين وهجر بلاد الكافرين .

ب- مناصرة المسلمين ومعاونتهم بالنفس والمال واللسان .

ت-التألم بألمهم والسرور بسرورهم .

ث-النصح ومحبة الخير لهم وعدم غشهم وخديعتهم .

٣. أقسام الناس في الولاء والبراء فهم على ثلاث أقسام :

أ- من يحب محبة خالصة لا معاداة فيها ، وهم المؤمنون الخلص من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين .

ب-من يبغض ويعادى بغضًا ومعاداة لا محبة ولا موالاة معهما وهم الكفار الخلص .

ت- من يحب في وجه ويبغض في وجه ،وهم عصاة المؤمنين .

الإطار العام للدراسة
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣ - دراسة الطريفي(١٤٠١هـ ،١٩٩١م) بعنوان: الولاء والعداء في علاقة المسلم بغير المسلم.

هدفت الدراسة إلى : بيان حقيقة موالاة الكفار ومعاداتهم .

- استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي .

توصلت الدراسة إلى أن موالاة الكفار على أربعة أقسام :

١. منها ما هو كفر محض وانسلاخ عن الدين مثل : التولي المطلق ، وطاعتهم في أمور التشريع ، ومودتهم لأجل دينهم وسلوكهم ، وتمني انتصارهم على المسلمين .

٢. ومنها ما هو كبيرة من الكبائر ، يكفر إذا استحلها مثل : اتخاذهم بطانة ، ومداهنتهم ، ومشاركتهم في أعمالهم الدينية وطقوسهم على سبيل المجاملة لا الاعتقاد ، والتشبه بهم في أخلاقهم وشعائرهم كالموالد والأعياد .

٣. ومنها ما هو أقل من ذلك مثل : ميل القلب غير الإرادي للزوجة الكتابية ، ومدحهم والثناء عليهم بدون مسوّغ شرعي ، ومصادقتهم ومعاشرتهم ، والثقة المطلقة فيهم ، وإلقاء السلام عليهم ، وتهنئتهم في المناسبات العادية والأفراح مثل الزواج والسلامة من كارثة .

٤. و منها ما هو مباح ولا يعد من الموالاة ، مثل : معاملتهم بالحسنى واللطف ــ لاسيما المسالمون منهم ، والصدقة على محتاجيهم ، والإهداء لهم وقبول هداياهم ، وتعزيتهم في مصائبهم على الوجه المشروع .

٤ - دراسة النحوي (١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م) بعنوان الولاء بين منهاج الله والواقع

هدفت الدراسة إلى : تبيان الولاء وحقيقته ، وكذلك عرض قضية الولاء في منهاج الله في كل ميادين الممارسة الإيمانية في واقع الفرد وواقع الأمة التي بنتها النبوة ، كما هدفت إلى إبراز قبسات من منهاج الله لتبين ملامح هذه العقيدة من ناحية وتوضيح صور الانحراف عن الولاء الصادق .

- استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي .

توصلت الدراسة إلى ما يلي :

١. الولاء أساس الإيمان ومحوره في الواقع العملي في حياة الناس .

٢. من صور انحراف الولاء :

الإطار العام للدراسة
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أ-الولاء العشائري والولاء القومي

ب-قد يكون الهوى ولياً يأمر وينهى .

ت-قد يكون الظالمون المجرمون هم الأولياء .

ث-قد يتخذ بعض الناس أعداء الله أولياء .

٣. قيام الأمة المؤمنة في الأرض ضرورة إنسانية وحاجة أساسية للبشرية لتظل جبهة الحق والخير أقوى من جبهات الفتنة والضلال .

٤. أعظم ميدان يكشف حقيقة الولاء هو الحرب التي يدخلها المؤمن مجاهداً في سبيل الله

٥. عمل الأعداء على إضعاف ولاء المسلمين لدينهم من خلال الغزو والعدوان وإضعاف اللغة العربية ، وعزل المسلمين عن منهاج الله حتى جهلوه ، ونشر القومية والإقليمية والعصبية ، ونشر الانحلال الخلقي .

أوصت الدراسة بما يلي :

- على القائمين على الدعوة الإسلامية أن يعالجوا الاضطراب والانحراف في ولاء المسلمين من خلال :

١. وضع المناهج والأساليب والنظريات التي تصحح الانحراف في هذه القضية ، وذلك من خلال القيام بالأبحاث والدراسات في هذا الموضوع .

٢. دعوة أصحاب القلوب المؤمنة الحانية والعقول الواعية والنفوس الصابرة إلى الإشراف على هذه الوسائل مع قوة المراقبة وحسن المتابعة وسلامة التوجيه .

٣. لا بد لهذه النظريات وهذه المناهج والأساليب من قوة الاستمرار لهذه المعالجة.

٥ - دراسة كجك (١٤٠٩هـ ، ١٩٨٨م) بعنوان : الموالاة والهجر والمعاداة للشيخين الجليلين " بن تيمية وسيد قطب " .

هدفت الدراسة إلى : تبيان حقيقة الموالاة للمؤمنين ، وطبيعة الهجر والمعاداة للكافرين من منظور وفكر الشيخين " بن تيمية وسيد قطب " وكذلك توضيح عقيدة الولاء والبراء كما وردت في سورتي المائدة والممتحنة ، وتوضيح طبيعة العلاقة بين أفراد المجتمع المسلم .

- استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

توصلت الدراسة إلى الكثير من النتائج يذكر الباحث منها ما يلي :

١. الموالاة بين المؤمنين من لوازم الإيمان وموالاة الكافرين كفر ينافي الإيمان .

٢. حسن المعاملة لأهل الكتاب لا يعني الولاء والتناصر .

٣. وعد الله ﷻ بالغلبة لمن والى دينه ، كما توعد الذين يوالون غيره بالندم .

٤. الوشيجة التي تجمع المسلمين هي وشيجة العقيدة لا وشيجة الدم والقرابة .

أوصت الدراسة بما يلي :

١. ضرورة أن يوالي المؤمنون بعضهم بعضاً .

٢. ضرورة أن يهجر المؤمنون غيرهم من الكفار والمشركين .

٣. على كل مسلم ارتضى الإسلام ديناً أن يخلع كل ولاية تتنافى مع دينه وعقيدته .

٤. على كل مسلم ارتضى الإسلام ديناً أن يبرأ من كل ما يخالف شرع الله ﷻ .

٥. على المسلمين الذين والوا دين الله ﷻ أن يثقوا بنصر الله لهم إن عاجلاً أو آجلاً .

٦- دراسة عبد اللطيف (١٤١٢هـ، ١٩٩٢م) بعنوان : كلمات في الولاء والبراء

هدفت الدراسة إلى: بيان أهمية الولاء والبراء في حياة المسلمين ، والكشف عن بعض ثمرات الولاء والبراء على المسلمين .

- استخدم الباحث المنهج الوصفي .

توصلت الدراسة إلى ما يلي :

١. الولاء شرط من شروط الإيمان .

٢. الكفار هم أعداؤنا قديماً وحديثاً سواء كانوا كفاراً أصليين كاليهود والنصارى أو مرتدين .

٣. من ثمرات القيام بهذا الأصل ، تحقيق عرى الإيمان ، والفوز بمرضاة الله ، والنجاة من سخط الله ، وحصول النعم في الدنيا والآخرة .

الإطار العام للدراسة
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً : الدراسات التربوية

- دراسة أبو دف – رسالة دكتوراه (١٤١٢هـ ، ١٩٩٢) بعنوان : الجانب الإيماني في التربية الإسلامية وانعكاساته على حياة الأفراد .

هدفت الدراسة إلى :

١. تحديد ماهية التربية الإيمانية كأحد المحاور الأساسية التي تقوم عليها التربية الإسلامية الشاملة .

٢. الكشف عن مضمون التربية الإيمانية وتوضيح مكوناتها والأسس التي تقوم عليها.

٣. تحديد دور وسائط التربية المختلفة في تدعيم التربية الإيمانية وتحقيق أهدافها.

٤. بيان انعكاسات التربية الإيمانية على حياة الأفراد في شتى مجالات الحياة المتعددة (الفكرية ،الخلقية ،النفسية ،الاجتماعية ،السياسية والاقتصادية).

- استخدم الباحث في دراسته المناهج التالية :

المنهج الوصفي والمنهج التحليلي والمنهج المقارن في طور الحديث عن انعكاسات التربية الإيمانية الإيجابية على حياة الأفراد في جميع المجالات مقارنة بالآثار السلبية التي يتركها الكفر والإلحاد على حياة الأفراد في نفس المجالات

توصلت الدراسة إلى ما يلي :

١. استخدام التربية الإيمانية نوعين من الوسائل لتحقيق أهدافها هما الوسائل المادية و الوسائل المعنوية .

٢. للتربية الإيمانية انعكاسات طيبة إيجابية على حياة الأفراد في شتى مجالات الحياة الفكرية والنفسية والخلقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية

٣. مشكلات المجتمع ناتجة عن ضعف الإيمان وعدم اكتمال التصور الإيماني لديهم .

٤. الترابط بين الجانب الإيماني والجوانب الأخرى يشكل دافعا قويا للربط بين هذه الجوانب أثناء العملية التربوية .

أوصت الدراسة بما يلي :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١. ضرورة صياغة مناهج التربية في العالم الاسلامي على أسس إسلامية ، واستقاء مادتها من مصادر التربية الإسلامية .
٢. ضرورة التحرر الكامل من سيطرة الاستعمار على مناهج المسلمين التعليمية والتربوية.
٣. ضرورة الاهتمام بمادة التربية الإيمانية وجعلها جزءً أساسياً في محتوى المناهج التربوية ، في مدارس ومعاهد وجامعات العالم الاسلامي .
٤. ضرورة حرص المربين المعلمين والمسلمين على الاقتداء الكامل بشخص الرسول ﷺ

٢. دراسة ياسين (١٩٨٣هـ ،١٤٠٣هم) بعنوان : التربية الإسلامية في ظلال القرآن

هدفت الدراسة إلى تبيان أهمية التربية الإسلامية في استنهاض همم المسلمين وطاقاتهم من خلال القران الكريم الدستور الخالد وذلك بالتركيز على قضايا عقائدية وأخرى حركية حيث كانت الدراسة مكونة من عدة دراسات حركية .

- وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي .

وقد توصلت الدراسة إلى ما يلي :

١. لا ولاء للمنافقين والذين لا يقيمون منهج الله في حياتهم .
٢. من يتولون الكافرين من المسلمين طلباً للعزة عندهم هم منافقين .
٣. عدم إمكانية التعايش بين الإسلام والمعسكرات غير الإسلامية.

أوصت الدراسة بما يلي :

١. ضرورة وجود المفاصلة على أساس العقيدة بين المسلم وكل من لا ينتمي إلى التجمع الحركي الإسلامي.
٢. النهى عن ولاية من يتظاهر بالإسلام ولا يلتزم به وينفذ تعاليمه .
٣. عدم تلقى الرأي والمشورة من غير المؤمن .
٤. أن ولاء المسلم لا يكون إلا لله ولرسوله وللجماعة المسلمة.

٣- دراسة لولو (١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م) بعنوان : الآثار التربوية للإيمان بالقضاء والقدر .

هدفت هذه الدراسة إلى إبراز الأثر الذي تركته عقيدة القضاء والقدر على الفرد والمجتمع المسلم ، ببيان التصور الصحيح لهذه العقيدة ، وفق منهج أهل السنة من السلف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصالح وأهم ما يجنيه الفرد والمجتمع عند الإيمان بهذه العقيدة بمفهومها الصحيح ، وما يترتب عن عدم الأخذ بها من أضرار تربوية وآثار سلبية عند فهمها على وجه غير صحيح .

- استخدم الباحث في دراسته المنهج التحليلي الاستقرائي بالرجوع إلى الكتب والدراسات التي تناولت الموضوع ، والوقوف على النصوص وتحليلها تحليلاً تربوياً من أجل إبراز الآثار التربوية الموجودة فيها .

وقد توصلت الدراسة إلى ما يلي :

١. مصدر عقيدة القضاء والقدر على الوجه الصحيح يرجع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الذين تذخر بهما كثرة الأدلة .

٢. علماء السلف من أهل السنة ، وعلى رأسهم الصحابة والتابعون وكبار علماء المسلمين كان لهم دور كبير في التصدي للأفكار والمعتقدات التي تتعارض مع عقيدة القضاء والقدر على الوجه الصحيح .

٣. عقيدة القضاء والقدر لها انعكاس كبير على شخصية المؤمن بها على الوجه الصحيح ، فيما يخص علاقته بخالقه وعلاقته بمجتمعه .

٤. لهذه العقيدة دورٌ بارزٌ في تحديد وصقل سلوك الفرد المسلم عن طريق القيم التي توجدها هذه العقيدة في تفكير المؤمن والتي تنعكس بالتالي على الجوانب المختلفة كالجانب الروحي والعقلي والنفسي ...

وقد أوصت الدراسة بما يلي :

١. على القائمين بالوعظ والإرشاد من العلماء والخطباء والدعاة دورٌ كبيرٌ في بيان وتوضيح هذه العقيدة .

٢. ضرورة أخذ القائمين على التخطيط في المناهج أهمية غرس مفهوم القضاء والقدر في نفوس أبناء المسلمين .

٣. ضرورة قيام الباحثين من طلبة الدراسات العليا بدراسات مستفيضة في هذه العقيدة.

٤. ضرورة قيام بعض الأبحاث والدراسات التحليلية والميدانية الهادفة إلى التعرف على مدى فهم أو جهل أفراد وطبقات المجتمع المختلفة لهذه العقيدة .

٤ - دراسة متولي (١٤١٠هـ ،١٩٩٠م) بعنوان :أخطار الأيدلوجية الصهيونية والأيدلوجية الأخرى على المجتمع العربي والإسلامي

الإطار العام للدراسة
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هدفت الدراسة إلى:

١. بيان حقيقة أخطار الأيدلوجية الصهيونية والأيدلوجية الأخرى على المجتمع الإسلامي المعاصر.

٢. توضيح الانعكاسات السلبية لظاهرة الصراع الأيدلوجي العالمي على سلوكيات وأفكار واتجاهات وقيم أبناء المجتمع العربي الإسلامي المعاصر.

- استخدام الباحث المنهج الوصفي في وصف ظاهرة الأيدلوجية وأهم مظاهرها (الغزو الثقافي) وأسبابه وأدواته كما استخدم المنهج الوصفي في الدراسة الميدانية للتعرف على آراء عدد من طلاب الجامعة للتعرف على درجة انتشار الصفات السلبية التي يمكن أن يتصف بها أبناء المجتمع العربي الإسلامي.

أوصت الدراسة بما يلي:

١. ضرورة بناء مقرر ثقافي يدرس لطلاب الجامعات المصرية والعربية والإسلامية لمواجهة أخطار الأيدلوجية الصهيونية والأيدلوجيات الأخرى.

٢. ضرورة التصدي لمحاولات الغزو الفكري والاستلاب الفكري مع الأخذ بمبدأ الحوار المتكافئ.

٣. ضرورة تحديث مجتمعنا وتطويره مع الاحتفاظ بثقافتنا العربية الإسلامية.

أما ما أوصت به الدراسة الميدانية فهو ما يلي:

١. ضرورة أن يعي كل فرد حقيقة الصفات السلبية التي تتعارض مع قيمنا والتحرك نحو إزالة ومحو هذه الصفات الموروثة والمكتسبة من الغرب ولا يتم ذلك إلا بتعاون جميع المؤسسات الثقافية والإعلامية والاجتماعية والتربوية سواء التابعة للدولة أو التابعة للأفراد.

٢ . ضرورة إجراء مراجعة شاملة لمناهج الدراسة (دور الحضانة – رياض الأطفال – الابتدائية – الإعدادية) لكي تنقى ما علق بها من نقائص وسلبيات تتعارض مع قيمنا الإسلامية.

٥- دراسة الديسي (١٤٠١هـ، ١٩٨١) بعنوان : أثر العلمانية في التربية والتعليم في العالم الإسلامي .

الإطار العام للدراسة
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هدفت الدراسة إلى : التعرف على آثار العلمانية في التربية والتعليم في المجتمع الإسلامي مع تبيان أهم مظاهر تلك العلمانية داخل المناهج المدرسية بمؤسسات المجتمع الإسلامي التربوية والتعليمية وآثارها.

- وقد اعتمد الباحث في دراسته على منهج البحث التاريخي التحليلي .

توصلت الدراسة إلى ما يلي :

١. للعلمانية أثر كبير على التعليم في العالم الإسلامي ، ظهرت في مناهج التعليم وعلى الدارسين وعلى المفكرين المسلمين الذين سايروا التعليم العلماني وعايشوه .

٢. من الآثار التي ترتبت على علمانية التعليم.

أ- التحرر من تأثير سلطان الدين على الشعوب الإسلامية .

ب-التقليد الأعمى لنظام التعليم الغربي

٣. اتباع العلمانية كمذهب فكرى للأفراد والأحزاب

أوصت الدراسة بضرورة قيام علماء المسلمين والمفكرين بمحاربة كل انحراف عن العقيدة الصحيحة .

٦ دراسة عيسوي (١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م): بعنوان مفهوم الانتماء لدى طلاب كليات التربية

هدفت الدراسة إلى التعرف على مفهوم الانتماء بأنواعه المختلفة لدى هؤلاء الطلاب

- اعتمد الباحث في دراسته المنهج الوصفي .

توصلت الدراسة إلى ما يلي:

١. أن انتماء الأفراد للدين الإسلامي ضعيف ، وقد انعكس هذا الضعف على بقيه أبعاد الانتماء الأخرى .

٢. أن العلاقة بين الانتماء الإسلامي وبقيه الأنواع الأخرى هي علاقة العام بالخاص.

أوصت الدراسة بضرورة تنمية الانتماء والولاء الإسلامي إذا أردنا تنمية الانتماءات الأخرى .

الإطار العام للدراسة
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعليق عام الدراسات السابقة

من خلال الدراسات السابقة يتضح لنا أنها أكدت على ما يلي :-

١. أهمية موضوع الانتماء والولاء في حياه الفرد والمجتمع وان الولاء الإسلامي يعـزز مفهـوم الانتماءات الأخرى .

٢. أن هناك هجمة شرسة منظمة ومدروسة من قبل أعداء الأمة والدين تتمثل فـي تمييـع عقيـدة المسلمين بوسائل مخططة مثل العلمانية والمناهج الغربية الهادفة إلى إضعاف انتماء المسلم لربه ودينه ووطنه والمسلمين .

٣. ضرورة توحيد المناهج لدى المجتمع الإسلامي وتفعيل منهج الإسلام فـي التـصدي للهجمـة الشرسة على الإسلام والمسلمين .

أما نقاط الاختلاف بين هذه الدراسات فتمثل فيما يلي :

تناولت كل دراسة من هذه الدراسات جانباً واحداً من جوانب الولاء والانتماء فمنها مـا تنـاول الجانب العقائدي مثل دراسة (القحطانى، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م) .ومنها ما تناول الانتماء الإسلامي عامةً كدراسة (عيسوى، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م) . وأخرى تناولت الولاء من جانب الانتماء ولـم تتطرق لموضوع البراء كدراسة (متولى، ١٤١٠هـ ،١٩٩٠م) . ، كما تناولت دراسة (أبو دف ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م) . انعكاسات الإيمان وآثاره على الفرد والمجتمع . أما دراسـة (الديـسي، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م) . فتناولت أحد أسباب ضعف الانتماء العقائدي المتمثل في العلمانية وأثرهـا على التعليم ، كما تناولت دراسة (متولي، ١٤١٠هـ ،١٩٩٠م) . الموضوع من جانب فكري ،كما تطرقت دراسة (عبد اللطيف، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م) . لبعض ثمرات الولاء والبراء .

وقد استفاد الباحث من الدراسات المتعلقة بمفهوم الولاء والبراء في الفصل التمهيدي ، كمـا استفاد من الدراسات التربوية في عملية التحليل والتصنيف للأبعاد التربويـة التـي قـام الباحـث باستنباطها .

أما ما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة :

أنها تناولت موضوع الولاء والبراء من ناحية تربوية ، حيث أبرز الباحث مـن خلالهـا الأبعاد التربوية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام من النواحي الإيمانية والأخلاقيـة والنفـسية والفكرية والاجتماعية حيث لم يتم تناول هذا الموضوع من قبل في حدود علم الباحث .

الإطار العام للدراسة
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

الإطار المرجعي لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام

أولاً : الولاء والبراء " المعنى والمفهوم "

ثانياً : الأدلة على الولاء والبراء من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

أ – الأدلة على وجوب موالاة المؤمنين :

١ - من القرآن الكريم .

٢ - من السنة النبوية الشريفة .

ب - الأدلة على وجوب البراء من الكافرين :

١ - من القرآن الكريم .

٢ - من السنة النبوية الشريفة .

ثالثاً : العلاقة بين الولاء والبراء .

رابعاً : الولاء والبراء عند أهل السنة والجماعة .

خامساً : نواقض الولاء وقوادحه .

سادساً : التِّقِيّة " مفهومها .. حدودها ... شروطها "

سابعاً : عوامل ضعف الولاء والبراء عند المسلمين في العصور المتأخرة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً : الولاء والبراء " المعنى والمفهوم "

الولاء لغةً :

قال ابن الأعرابي : **الموالاة** أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح ويكون له في أحدهما هوىً فيواليه أو يحابيه . **والولاية** كما قال ابن السكيت : بالكسر السلطان ، والوِلاية والوَلاية النصر ، يقال: هم على ولاية: أي مجتمعون في النصرة . وقال الزجاج : تقرأ وَلايتهم ووِلايتهم بفتح الواو وكسرها فمن فتح جعلها من النصرة والنسب ، قال : الوِلاية التي بمنزلة الإمارة مكسورة ليفصل بين المعنيين .وقوله ﷻ : ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (لأنفال: من الآية٧٢) قال الفراء : يريد ما لكم من مواريثهم من شيء (ابن منظور ، مادة ولي) .

وقيل الوَلي: حصول الثاني بعد الأول من غير فصل . ووَليت الأمر أليه بكسرتين وِلاية بالكسر ،توليته . ووليت البلد وعليه ووليت على الصبي والمرأة فالفاعل والٍ والجمع ولاة ، والولاية بالفتح والكسر النصرة ، واستولى عليه غلب عليه وتمكن منه .

والمولى ابن العم ، والمولى العَصَبَة ،والمولى الناصر ،والمولى الحليف وهو الذي يقال له مولى الموالاة ، والمولى المعتق وهو مولى النعمة والمولى العتيق وهو مَوَالي بني هاشم أي عُتقاؤهم . **ويكون الولي** :بمعنى مفعول في حق المطيع ، فيقال: المؤمن ولي الله ووالاه موالاة وولاء : من باب قاتل أي تابع ، وتوالت الأخبار تتابعت ، والولي فعيل بمعنى فاعل من وليه إذا قام به ومنه ﴿ الله ولي الذين آمنوا ﴾ والجمع أولياء(الرافعي ، ١٣٢١هـ ، ج٢،٨٤١) .

الولاء اصطلاحاً :

الولاية : هي النصرة والمحبة والاحترام والكون مع المحبين ظاهراً وباطناً .
قال الله تعالى :﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة:٢٥٧) . **فموالاة الكفار** : تعني التقرب إليهم وإظهار الود لهم ، بالأقوال والأفعال والنوايا (ياسين ، ١٤١٢هـ ، ١٤٥) .

والولاية :كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ضد العداوة ، وأصل الولاية المحبة والقرب وأصل العداوة البغض والبعد ، **والولي** : القريب ؛ ويقال هذا يلي هذا ، أي يقرب منه ، ومنه قول الرسول ﷺ " أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا فَمَا بَقِيَ فَهُوَ لِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ "(البخاري ، كتاب الفرائض ،ج٤،٥٥٥ح ٦٢٣٥) أي لأقرب رجل إلى الميت (ابن تيمية وابن عبد الوهاب ، ب. ت ، ٤٢٥)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والموالاة ضد المعاداة ، والولي ضد العدو ويقال منه تولاه ومنه قوله ﷻ : ﴿ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ (مريم: ٤٥) . قال ثعلب : من عبد شيئاً من دون الله فقد اتخذه ولياً . (ابن منظور ، مادة ولي) **وأصل الموالاة** : هو الحب والنصرة والصداقة ومن ذلك مراتب متعددة (القحطاني النجدي ، ١٤١٣هـ ،ج١،٤٧٤) .

وأولياء الله :هم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : " لَا يَحِقُّ الْعَبْدُ حَقَّ صَرِيحِ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ لِلَّهِ تَعَالَى وَيُبْغِضَ لِلَّهِ فَإِذَا أَحَبَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَأَبْغَضَ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَقَدِ اسْتَحَقَّ الْوَلَاءَ مِنَ اللَّهِ وَإِنَّ أَوْلِيَائِي مِنْ عِبَادِي وَأَحِبَّائِي مِنْ خَلْقِي الَّذِينَ يُذْكَرُونَ بِذِكْرِي وَأُذْكَرُ بِذِكْرِهِمْ " (مسند الإمام أحمد ، مسند المكيين ، ج٤،٤٩٩ ، ح١٥١٢١) . وقيل هم المتحابون في الله ، قال بن عطية: من آمن واتقى فهو داخل في أولياء الله وهذا الذي تقتضيه الشريعة في الولي"(أبوحيَّان الأندلسي ،١٤١٢هـ ، ج٦ ، ٨١) .

أما كونه تعالى هو **الولي** وحده لا ولي سواه ، فالمراد به هو المتولي لأمور العباد في الواقع وذلك بما خلق لهم من المنافع ومن الأعضاء والقوى التي تمكنهم من الانتفاع بها وبما بين لهم من السنن ومهد لهم من الأسباب وهذه الولايات العامة المطلقة .

أما ولايته للمؤمنين خاصة : فهي عنايته بهم وإلهامه وتوفيقه إياهم لما فيه الخير والصلاح الروحي والجسماني بما اختاروا لأنفسهم من الإيمان به وبما جاءت به رسله . **أما ولايتهم له** : فقد عبر عنها بالإيمان والتقوى ، فهم بالإيمان بولايته له يتولونه .

أما ولاية المؤمنين بعضهم لبعض فهي عبارة عن تعاونهم وتناصرهم في الأمور المشتركة على استقامتهم على الأعمال الصالحة الخاصة . (عبده ، ب. ت ،ج٣،٤٤)

ويقصد الباحث بالولاء " الحب والنصرة والتأييد والود والتعاطف والتقرب ، وربط العلاقات القوية ، وبذل المال والجهد والعرق ، وتسخير الإمكانيات ،وربط المصير بالمصير " .

البراء في اللغة :

جاء في لسان العرب كما قال ابن الإعرابي : **برئ** إذا تخلص ، وبرئ إذا تنزه وتباعد ، وبرئ إذا أعذر وأنذر ومنه قوله تعالى : ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (التوبة: ١) أي إعذار وإنذار . وفي حديث أبي هريرة ﷺ لما دعاه عمر إلى العمل فأبى . فقال عمر ﷺ : إن يوسف قد سأل العمل . فقال : إن يوسف مني بريء وأنا منه براء (ابن الأثير ، ١٣٩٩هـ ، ج١،١١٢) . أي بريء عن مساواته في الحكم وأن أقاس به ، ولم يرد براءة الولاية والمحبة لأنه مأمور بالإيمان

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

به والبراء والبريء سواء . وفي حديث مرض رسول الله ﷺ فقال العباس لعلي ﷺ : كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ قال : أصبح بحمد الله بارئاً ، أي معافى .

وليله البراء : ليلة يتبرأ القمر من الشمس وهى أول ليلة في الشهر . و**البراء** أول يوم من الشهر ، وقد أبرأ إذا دخل في البراء وهو أول الشهر . وقال ابن الإعرابي : **البريء** : المتفضِّي من القبائح ، المتنجِّي من الباطل والكذب ، والبعيد من التهم ، النقي القلب من الشرك ، البريء أيضاً الصحيح الجسم والعقل . (ابن منظور ، مادة برأ) .

أما في المصباح المنير فقد جاء مفهوم البراء بمعانٍ كثيرة منها :

بريت القلم برياً من باب رمى ، فهو مبريّ ، وبروته لغة واسم الفعل البراية بالكسر وهذه العبارة فيها تسامح لأنهم قالوا لا يسمى قلماً إلا بعد البراية ، وقبلها يسمى قصبة ، فكيف يقال للمبري بريته ؟ لكنه سمي باسم ما يؤول عليه مجازاً مثل عصرت الخمر .

وبرىء زيد من دَينه يبرأ مهموز من باب تعب براءة سقط عنه طلبه فهو بريء وبارىء وبراء بالفتح والمد ، وأبرأته منه وبرَّأته من العيب بالتشديد جعلته بريئاً منه وبريء منه مثل سلم وزناً ومعنى فهو بريء أيضاً . قال الزمخشري : استبرأت الشيء طلبت آخره لقطع الشبهة . واستبرأت من البول تنزهت عنه . وباريته عارضته فأتيت بمثل فعله (الرافعي ، ١٣٢١هـ ، ج١،٦٠) .

البراء اصطلاحاً :

هو البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار ، يقال برأت من فلان أبرأ براءة أي انقطعت بيننا العصمة ، ومنه برئت من الدَين (أبو حيَّان الأندلسي ، ١٤١٢هـ ،ج٥،٣٦٥) .

قال البيضاوي : أصل تركيب البَرْءِ لخُلوص الشيء من غيره ، إما على سبيل التقصّي ، كبَرَأَ المريض من مرضه ، والمديون من دينه ، أو الإنشاء ، كبَرأ ابن آدم من الطين . (الزبيدي ، ١٣٨٥هـ ، ج١ ،١٤٤) .

ويقصد الباحث بالبراء : العداوة والبغض والتنزه البعد والإعراض وعدم الاتباع والتقليد .

مما سبق يتبين :

أولاً : مفهوم الولاء مبني على الحب والنصرة والتأييد وربط المصير بالمصير ، وأن هناك معاني أخرى لهذا المفهوم ولكن ما يعنينا في دراستنا هو المعنى الأول .

ثانياً : أن هناك فرقاً بين ولاية الله لعباده وولاية العبيد لربهم وخالقهم ،وهو أن الله تعالى لا يوالي على افتقارٍ لعباده واحتياجٍ إليهم وإنما يوالي إكراماً لهم وإنعاماً عليهم لغناه تعالى عن كل ما سواه ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وافتقار كل ما عداه إليه ، أما عباده فإنهم يوالونه لحاجتهم إليه وفقرهم له ، لأنهم دائماً وأبــداً فــي حاجة إلى نصره لهم ومعونته إياهم ومحبته ورضاه .

ثالثاً : ولاية المسلمين لبعضهم تعني توادهم وتناصرهم وتراحمهم وترابطهم ، فدماؤهم متكافئة وهم جميعاً يدٌ على من عاداهم ويسعى بذمتهم أدناهم .

رابعاً : أن الولاء مرتبط بحب الله ورضاه ، والبراء مرتبط بمعاداة أعداء الله وبغضهم ومخالفتهم ، ولا يتحقق رضا الله ومحبته إلا بعداوة من عاداه كائناً من كان ، لذا يتوجب علــى كــل مــسلم أن يعرف من يحب ومن يبغض ، من ينصر ومن يخذل ، من يوالي ومن يعادي بكل موضوعية حتــى لا يصبح من حزب الشيطان .

ثانياً :الأدلة على الولاء والبراء من الكتاب والسنة

لقد واجه عالمنا الإسلامي في أواخر القرن الثالث عشر الهجري هجمةً شرسةً ، شنَّها أعــداء الحضارة والإنسانية على عقيدتنا الغراء باسم الحضارة والإنسانية والتقدم والرقي ، هجمةً في غايــة الدقة والتعقيد والخطورة ، توقف عليها مستقبل العالم الإسلامي بل العالم أجمــع ، لأننــا بوصــفنا مسلمين أصحاب حضارة عريقة ، بل أصحاب رســالة أمــام البــشرية ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ (البقرة : ١٤٣) .

ومما يندى له جبين المخلصين و تحزن عليه قلوب المؤمنين ، أن هذه الهجمة الحقيرة قــد تحقق جلَّ أهدافها ، فابتعد كثيرٌ من المسلمين عن دينهم وتركوا مصدر عزتهم وسر قوتهم ، واتبعوا مناهج أعدائهم ، فركنوا إليهم " إلا من رحم ربي " ،رغم تحذير الله لهم ﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ ﴾ (هــود:١١٣) . فقُلِبت الموازين ، وأصبح الأمين خائناً والخائن أميناً ، والولي عدواً ، والعدو ولياً ، فخذلوا بعضهم ونصروا عدوهم ، و غيِّب مفهوم الولاء والبراء عن عامة المسلمين فأصبح غريباً حتــى أن آيــات الولاء والبراء تتلى فلا يُفهم معناها .

فلا عجب ولا دهشة فمناهجنا تكاد تخلو من غرس هذه العقيدة في نفوس الناشئة من أبناء الإسلام بقصدٍ أو بدونه ،وبيوتنا تهدم ولاتبني ، و" إعلامنا " يغرس حب الفجرة والفاسقين ، على الرغم من أهمية الولاء والبراء ووضوحه في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، يقول الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله " إنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم–أي الولاء والبراء– بعد وجوب توحيد الله وتحريم ضده " (ابن تيمية وابن عبد الوهاب ، ب. ت، ٣٥٧) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذه بعض الأدلة من كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ على وجوب موالاة المؤمنين بعضهم لبعض.

أ : الأدلة على وجوب موالاة المؤمنين:

الأدلة على وجوب موالاة المسلم لأخيه المسلم كثيرة نذكر منها :

١ -من القرآن الكريم :

۞ قوله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾(لمائدة:٥٥) أي لا ولي لكم أيها المؤمنون ولا ناصر ينصركم إلا الله ورسوله والمؤمنون حيث أنه ﷻ " لما نهى عن موالاة الكفرة ، ذكر عقيبه من هو حقيقٌ بها ، وإنما قال وليكم ولم يقل أولياؤكم للتنبيه على أن الولاية لله سبحانه وتعالى على الأصالة ، ولرسوله وللمؤمنين على التبع " (البيضاوي ، ب. ت ، ج٢،١٥٦) .

۞ ما جاء في التوجيه الرباني بقوله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات:١٠) وهذه الآية قد جاءت بصيغة الحصر، أي ليس المؤمنون إلا أخوة، ومفهوم هذا أنه إذا انتهت الأخوة انتهى الإيمان ،يقول سيد قطب رحمه الله : " ومما يترتب على هذه الأخوة أن يكون الحب والسلام والتعاون والوحدة هي الأصل في الجماعة المسلمة "(قطب ،١٣٨٦هـ ، ج٦،٣٣٤٣)

۞ وقوله ﷻ:﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ٧١) " أي يتناصرون ويتعاضدون كما جاء في الحديث الشريف " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " (مسلم ، البر ،باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ،ج٤ ،١٩٩٩، ح٢٥٨٦) (الرفاعي ، ١٤١٠هـ ، ج٢ ،٣٥٣) . وفيها تقرير لولاية المؤمنين والمؤمنات واتصافهم بما وصفهم الله به من صفات إيمانية.

۞ وكذلك قوله ﷻ:﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (لأنفال:٧٢) . وهذا تأكيد من الله جاء بصفة الخبر وكأنه أمر مستقر مفروغ منه، والمقصود بالأمر بأن يوالي المهاجرون والأنصار بعضهم بعضاً يقول سيد قطب رحمه الله " أولياء في النصرة وأولياء في الإرث وأولياء

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في الديات والتعويضات وما يترتب عليه رابطة الدم والنسب من التزامات وعلاقات (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج٣،١٥٥٨) ويقول ابن كثير في تفسيره ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ أي كل منهم أحق بالآخر من كل أحد (ابن كثير ، ب .ت، ج٢، ٣٢٨) .

۞ ثم قال بعد عدة آيات: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٧٥)

فأشار إلى أن من يأتي بعد الرعيل الأول ويهاجر معهم فهم منهم أي قطعة وبضعة منهم، يقول سيد قطب رحمه الله " ثم يلحق بالطبقة الأولى من المهاجرين المجاهدين كل من يهاجر بعد ذلك _ وان كانت للسابقين درجتهم كما تقرر الآيات السابقة – إنما هذا إلحاق في الولاء والعضوية في المجتمع الإسلامي " (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج٣،١٥٦٠) .

وهذه المعاني نفسها أكدها الله سبحانه وتعالى في سورة الحشر، ففي ذكر تقسيم الفيء حق لثلاثة أصناف هم فقراء المهاجرين، وفقراء الأنصار الذين تبوأوا الدار والإيمان قبل المهاجرين ثم فقراء التابعين إلى يوم القيامة ووصف الله التابعين بصفة لازمة لاستحقاقهم الفيء وصحة انتسابهم إلى هذه الأمة . فقال الله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحشر:١٠) فوصفهم بأنهم يدعون لمن سبق من هذه الأمة بالخير ويطلبون من الله أن لا يكون في قلوبهم أدنى غل للمؤمنين، ولهذا استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء الآية السابقة . عن مالك بن أوس بن الحدثان قال : قرأ عمر بن الخطاب ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ ... إلى قوله: ﴿ إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ثم قال : استوعبت هذه المسلمين عامة وليس فيها أحد إلا وله حق ثم قال : لئن عشت ليأتين الراعي وهو بسرو حمير نصيبه فيها ما لم يعرق فيها جبينه (الرفاعي ، ١٤١٠هـ ، ج٤ ، ٣٣٧) .

۞ قال ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (لأنفال:٧٣) أي إن الكفار يوالي بعضهم بعضاً للصد عن سبيل الله، وان لم توالوا أيها المسلمون بعضكم بعضاً ستكون فتنة في الأرض وفساد كبير(عبده ، ب . ت ، ج٨،١٠١)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه بعض الآيات التي تدلل على وجوب موالاة المسلمين بعضهم لبعض ونحن هنا لسنا بصدد إحصاء الآيات وحصرها بقدر ما نصبو لإثبات هذه الحقيقة العقدية حتى نكون على بينة من الأمر .

٢ - الأدلة من السنة النبوية الشريفة :

وردت في السنة النبوية أحاديث كثيرة تحث المسلمين على موالاة بعضهم لبعض ، وتبين أثر ذلك على حياتهم أفراداً وجماعات ومن هذه الأحاديث :

❁ قوله ﷺ : " الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (البخاري ،كتاب المظالم ،ج٣،٢٦٧ ، ح ٦٦١) " ففي الحديث الشريف حضٌ على التعاون وحسن المعاشرة والألفة ، وفيه أن المجازاة تقع من جنس الطاعات ، وأن من حلف أن فلاناً أخوه وأراد أخوة الإسلام لم يحنث " (العسقلاني ، ١٤٠٥هـ ، ج٥،٩٧) .

❁ وجاء في الهدي النبوي قوله ﷺ : " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى " (مسلم ، كتاب البر ،ج٤،١٩٩٩، ح٢٥٨٦) وفي الحديث دلالة واضحة على عظيم أثر المودة والتعاون في ترابط المجتمع المسلم وتماسكه ، وهي في الوقت ذاته إشارة واضحة إلى وجوب التراحم والتعاضد والتكافل بين المسلمين

❁ و قوله ﷺ : " الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا إِذْ جَاءَ رَجُلٌ يَسْأَلُ أَوْ طَالِبُ حَاجَةٍ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا وَلْيَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ " (البخاري، كتاب الأدب ،ج٨ ، ٣٣١ ،ح ٩٠٩) " قال ابن بطال : والمعونة في أمور الآخرة ، وكذا الأمور المباحة في الدنيا مندوب إليها وقول – ثم شبك أصابعه – هو بيان لوجه التشبيه أيضاً ، أي يشد بعضه بعضاً مثل هذا الشد " (العسقلاني ، ١٤٠٥هـ، ج١٠،٤٥٠).

❁ و من توجيهاته ﷺ : " انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا قَالَ تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ * " (البخاري ، كتاب المظالم ، ج٣،٢٦٧ ،ح ٦٦٣) " قال ابن بطال : النصر عند العرب الإعانة ، وتفسيره لنصر الظالم بمنعه من الظلم من تسمية الشيء بما يئول إليه ، وهو من وجيز البلاغة . وقال البيهقي : معناه أن الظالم مظلومٌ في نفسه فيدخل فيه ردع المرء عن ظلمه لنفسه حساً ومعنى " (العسقلاني ، ١٤٠٥هـ، ج٥،٩٨) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

۞ و قوله ﷺ " الْأَنْصَارِ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ " (مسلم ، كتاب الإيمان ،ج١،٨٥ ، ح٧٥) " يشير الحديث إلى من أن من عرف مرتبة الأنصار وما كان منهم في نصرة الإسلام والسعي في إظهاره وإيواء المسلمين وحبهم لرسول الله ﷺ ثم أحبهم لهذا كان ذلك من دلائل صحة إيمانه وصدقه في إسلامه لسروره بقيام الإسلام، ومن أبغضهم كان بضد ذلك وأُستدل به على نفاقه وفساد سريرته " (النووي ، ١٤٠٤هـ ، ج٢، ٦٤) .

۞ و تأكيد ﷺ على هذا الحب والولاء من خلال التوجيه التالي : " لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَحَتَّى أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ وَحَتَّى يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا " (البخاري، كتاب الأدب، ،ج٨،٣٣٥ ،ح٩٢٣)" قوله أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، معناه : أن من استكمل الإيمان علم أن حق الله ورسوله آكد عليه من حق أبيه وأمه وولده وزوجه وجميع الناس ، لأن الهدى من الضلال والخلاص من النار إنما كان على لسان رسولهﷺ ومن علامات محبته نصر دينه بالقول والفعل والذب عن شريعته والتخلق بأخلاقه والله أعلم " (العسقلاني ، ١٤٠٥هـ، ج١٠،٤٦٣) .

۞ و تحذيره ﷺ من مغبة خذلان المسلمين بقوله : " مَا مِنِ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ وَمَا مِنِ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ "(أبو داوود ، كتاب الأدب ، ج٤،٢٧٢ ،ح٤٨٨٤) . وفي الحديث الشريف دلالة واضحة على وجوب نصرة المسلم لأخيه المسلم وقت المحن والشدائد .

وهذه الأحاديث جاءت لتقرر هذه الحقيقة الإيمانية " وجوب موالاة المسلم لأخيه المسلم " وهي تؤكد الأدلة التي ذكرناها من كتاب الله ﷻ، وليس لمن انتمى لهذا الدين العظيم بعد هذه الأدلة والبراهين ، إلا أن يعزز ولاءه لعقيدته وينصر إخوانه المسلمين في كل مكان ، ويدعو لهم بالنصر والثبات ، بل لابد من أن يكون جزءاً منهم يحمل فكرهم ويخلع عن نفسه براثن الجاهلية التي خلفها فينا أعداء الله وأعداء دينه وأعداء أوليائه من خلال الغزو الفكري ووسائل الإعلام المضللة التي لا تتوانى ولو للحظة واحدة في نزع ولاء المسلمين لدينهم وعقيدتهم وتوجيه ولائهم إلى أفكارٍ وأشخاصٍ وأشياءٍ ما أنزل الله بها من سلطان .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب - الأدلة على وجوب البراء من الكفار والمنافقين وعدم موالاتهم

والأدلة على وجوب البراءة من الكفار والمشركين وعدم موالاتهم كثيرة في القرآن وكذلك في السنة النبوية الشريف ، يذكر الباحث منها .

١- الأدلة من القرآن الكريم :

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ (الزخرف:٢٦)

يخبر الله تعالى عن عبده وخليله ورسوله إبراهيم عليه السلام إمام الحنفاء أنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم للأصنام " وجعل كلمة التوحيد - لا اله إلا الله - دائمة في ذريته ، فليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها ، فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل في النار ، مع كونهم يصلون ويتصدقون ، ولكن المراد قولها ومعرفتها بالقلب ومحبتها ومحبة أهلها ، وبغض من خالفها ومعاداته " (ابن تيمية وابن عبد الوهاب ، ١٣٧٥هـ ، ٢٥٠) .

قال الله تعالى:﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (الممتحنة:٤) ".
أي لقد كان لكم في إبراهيم عليه السلام والذين آمنوا معه قدوة حسنة في مصارمة الكفار وعداوتهم والتبري منهم" إذ قالوا لقومهم تبرأنا منكم ومن آلهتكم وكفرنا بدينكم وبطريقتكم وبأشخاصكم التي تمثل هذا الدين والطريقة " (حوى ، ١٤٠٥هـ ، ج١٠، ٥٨٤٧) .

قال الله تعالى:﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (الأنعام:٧٨) . وتفسير هذه الآية كما جاء في كتب التفسير " فلما غربت الشمس وغابت عن الحواس ، قال عليه السلام : يا قوم إني بريءٌ من كل ما تشركون بالله تعالى ومن شرككم وإشراككم .صرح عليه السلام في هذه الآية الكريمة المذكور فيها البرهان الثالث بأنهم على الشرك وأنه بريءٌ من عملهم ، ووصانا ربنا تقدست أسماؤه أن نتأسى به وبمن اتبع ملته ، فنتبرأ من المشركين " (تعيلب ، ١٤١٦هـ ،ج٢،٨٩٤) .

قال الله تعالى:﴿ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (هود:٥٤) . يقول (قطب) رحمه الله في تفسيرها على لسان هودعليه السلام: " إني أشهد الله سبحانه وتعالى على براءتي مما تشركون من دونه ، واشهدوا أنتم شهادة تبرئني

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتكون حجة عليكم : أنني عالنتكم بالبراءة مما تشركون من دون الله " (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج١٨٩٩،٤) .

وقال تباركت أسماؤه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً ﴾ (النساء:١٤٤) والنهي عن موالاة الكافرين في هذه الآية واضح وصريح كباقي ما أوردناه من آيات " ينهى الله ﷻ عباده المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين ،وذلك بمصاحبتهم ومناصحتهم وإسرار المودة لهم وإفشاء أحوال المسلمين إليهم " (الرفاعي ، ١٤١٠هـ ، ج٤٥٥،١) .

قال الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (المائدة:٥١) روى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : قلت لعمر ﷺ : إن لي كاتباً نصرانياً . قال : مالك ؟ قاتلك الله . أما سمعت الله يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(المائدة:٥١) . ألا اتخذت حنيفياً ؟ قال : قلت :يا أمير المؤمنين ، لي كتابته وله دينه .قال : لا أكرمهم إذ أهانهم الله ، ولا أعزهم إذ أذلهم الله ، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله " (ابن تيمية ، ب. ت ، ٥٠) .

قال الله تعالى:﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾ (البقرة:١٢٠). وفي الآيات " تهديد ووعيد شديد للأمة عن اتباع طريق اليهود والنصارى بعد ما علموا من القرآن والسنة، وفيه نهي كبير عن اتباع الكفار وتقليدهم في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم وجعلهم مثلاً في الاقتداء كما هو الحال اليوم والعياذ بالله " (الرفاعي ، ١٤١٠هـ ، ج٩٩،١) .

كما جاء في التوجيه الرباني قوله ﷻ :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْأِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (التوبة:٢٣) . " أي لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم الذين كفروا أنصاراً وأعوانا تودونهم وتحبونهم إن فضلوا الكفر وأصروا عليه إصراراً ومن يتولهم كما قال ابن عباس فهو مشرك مثلهم لأن من رضي بالشرك فهو مشرك " (الصابوني ، ١٤٠١ هـ ، ج١ ، ٥٢٨) .

كما نفى ﷻ صفة الإيمان عن الذين يوالون المشركين فقال ﷻ :﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (آل عمران: ٢٨) . ففي الآية نهي عن موالاة الكافرين من دون المؤمنين ،بل فيها تهديد خطير وواضح وصريح من مغبة موالاتهم ومحبتهم ومجاراتهم بتبري الله تباركت أسماؤه ممن والاهم ونصرهم إلا في حال اتقاء شرهم ولكن هذه التقية لها معايير وشروط وحدود كما سنوضحه تحت موضوع مستقل بعنوان التقية بإذنه تعالى " فهذا نهي للمؤمنين أن يوالوا الكافرين لقرابة أو صداقة أو منفعة أو رغبة أو رهبة ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله في شيء ، لان موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان " (حوى ، ١٤٠٥هـ ، ٢/٧٣٠) .

۞ قال الله تعالى:﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (الشعراء:٢١٦) . أمر الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ أن يلين جانبه لمن تبعه من المؤمنين وأن يتبرأ ممن عصاه كائناً من كان من خلقه (الرفاعي ، ١٤١٠هـ ، ج٣،٣٥١) .

۞ قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ (الممتحنة: ١٣) . وهنا نهى الله ﷻعن مولاة الكفار من يهود ونصارى وغيرهم من أشكال الكفر وألوانه في آخر السورة كما نهى عن موالاتهم في أولها وفي هذا تأكيد صريح وواضح لا مجال للتأويل فيه عن وجوب البراءة من أعداء الله ورسله والمؤمنين بل أعداء الكون ومن فيه .

۞ قال الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران:١١٨) . نهى الله ﷻ المؤمنين بهذه الآية أن يتخذوا الكفار واليهود وأهل الأهواء دخلاء وولجاء يفاوضونهم في الآراء ويسندون إليهم أمورهم ، وبطانة الرجل خاصته الذين يستنبطون أمره ،وأصله من البطن الذي هو خلاف الظهر (القرطبي، ١٤٠٧هـ ، ج٤، ١٧٨) .

۞ قال الله تعالى:﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة: ٢٢) .
والخطاب للنبي ﷺ أو لكل أحدٍ﴿ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾والموادة : أي المحابة ،وهي حالة تكون في القلب أولاً ويظهر آثارها في القالب ثانياً ، والمراد بنفي الوجدان : نفي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموادة على معنى أنه لا ينبغي أن يتحقق ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال والمعنى لا يجتمع الإيمان مع ودادة أعداء الله " (البْروسويَّ ، ١٤٠٨هـ ، ج٤،٢٦٤) .

۞ قال الله تعالى:﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَإِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام :١٩) لذلك لابد " أن تستيقن هذه العصبة المؤمنة إنها لن تنصر ولن يتحقق لها وعد الله بالتمكين في الأرض قبل أن تفاصل الجاهلية على الحق عند مفترق الطريق وقبل أن تعلن كلمة الحق في وجه الطاغوت ، وقبل أن تشهد على الجاهلية هذا الإشهاد ، وتنذرها هذه النذارة وتعلنها هذا الإعلان وتفاصلها هذه المفاصلة وتتبرأ منها هذه البراءة " (حوى ، ١٤٠٥هـ ،ج٣،١٥٩٠).

٢- الأدلة من السنة النبوية الشريفة :

۞ روى مسلم في صحيحه قوله ﷺ " مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ " (مسلم ، كتاب الإيمان ، باب فضل أبي بكر الصديق ﷺ ، ج١، ٢١٢) .

۞ روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ جَرِيرٍ قَالَ قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ اشْتَرِطْ عَلَيَّ قَالَ : " تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُصَلِّي الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَنْصَحُ لِلْمُسْلِمِ وَتَبَرَأُ مِنَ الْكَافِرِ " (مسند الإمام أحمد ، مسند الكوفيين ، ج٤، ٣٥٧ ،ح ١٨٦٧٢) .

۞ وقوله ﷺ " مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ " (أبو داود ، كتاب اللباس ، ج٤،٤٣،ح٤٠٣١) يبين ابن تيمية أن إسناد هذا الحديث جيد وأن أقل أحواله ، أنه يقتضي تحريم التشبه بهم ، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ (المائدة :٥١) وهو نظير ما قاله عبد الله بن عمرو : " من بنى بأرض المشركين وصنع نيروز هم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك حشر معهم يوم القيامة " (ابن تيمية ، ب. ت ، ٨٢) .

۞ قوله ﷺ " خَالِفُوا الْيَهُودَ فَإِنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ فِي نِعَالِهِمْ وَلَا خِفَافِهِمْ " (أبو داود ، كتاب الصلاة ، ج١،١٧٢، ح٦٥٢) .

۞ ومن التوجيه النبوي قوله ﷺ " إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبُغُونَ فَخَالِفُوهُمْ " (مسلم ،كتاب اللباس ، ج٣، ١٦٦٣ ، ح ٢١٠٣) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

❁ ما جاء في الإرشاد النبوي عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ أَخْبَرَهُ أَنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْحِجْرِ أَرْضِ ثَمُودَ فَاسْتَقَوْا مِنْ آبَارِهَا وَعَجَنُوا بِهِ الْعَجِينَ فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُهَرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا وَيَعْلِفُوا الْإِبِلَ الْعَجِينَ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ " (مسلم ، كتاب الزهد ،ج٤،٢٢٨٥ ،ح٢٩٨١) .

❁ ومن الأدلة على مخالفة الكفار والبراءة منهم : عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال : " قَالَ اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ﷺ فَصَلَّيْنَا وَرَاءَهُ وَهُوَ قَاعِدٌ وَأَبُو بَكْرٍ يُسْمِعُ النَّاسَ تَكْبِيرَهُ فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا فَرَآنَا قِيَامًا فَأَشَارَ إِلَيْنَا فَقَعَدْنَا فَصَلَّيْنَا بِصَلَاتِهِ قُعُودًا فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ : " إِنْ كِدْتُمْ آنِفًا لَتَفْعَلُونَ فِعْلَ فَارِسَ وَالرُّومِ يَقُومُونَ عَلَى مُلُوكِهِمْ وَهُمْ قُعُودٌ فَلَا تَفْعَلُوا ائْتَمُّوا بِأَئِمَّتِكُمْ إِنْ صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا وَإِنْ صَلَّى قَاعِدًا فَصَلُّوا قُعُودًا " (مسلم ،كتاب الصلاة ، ج١،٣٠٨ ،ح٤١٣)

❁ ومن الأدلة أيضاً في سيرة النبي ﷺ أنه لما قام رسول الله ﷺ ينذر المشركين ويحذرهم من الشرك ، ويأمرهم بضده وهو التوحيد ، لم يكرهوا واستحسنوا ، وحدثوا أنفسهم في الدخول فيه ، إلى أن صرح لهم بسب دينهم وتجهيل علمائهم ، فحينئذ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة ، وقالوا: سفه أحلامنا ، وعاب ديننا ، وشتم آلهتنا ، ومعلوم أنه ﷺ لم يشتم عيسى وأمه ، ولا الملائكة ، ولا الصالحين ، ولكن لما ذكر أنهم لا 'يدعون ولا ينفعون، ولا يضرون جعلوا ذلك شتماً ،قال ابن اسحق " فلما بادى رسول ﷺ قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله ، لم يبعد عنه قومه ولم يردوا عليه – فيما بلغني - حتى ذكر آلهتهم وعابها فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه واجمعوا خلافه وعداوته إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام (ابن هشام ، ب.ت ، ج١،٢٨٢) . فإذا عرفت هذا عرفت أن الإنسان لا يستقيم له إسلام – ولو وحد الله وترك الشرك – إلا بعداوة المشركين ، والتصريح لهم بالعداوة والبغض كما قال الله تعالى : ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(المجادلة:٢٢)(ا بن تيمية وابن عبد الوهاب ، ب. ت، ٢٤) .

نخلص من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة السابقة ؛ بوجــوب مخالفــة الكفــار والمشركين وعدم اتخاذهم أولياء من دون المؤمنين ، وعدم مودتهم أو مشاورتهم أو ومناصحتهم ، بل لابد من البراءة منهم والحذر من مكرهم ، **لأسباب كثيرة نذكر منها** :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١- إخراجهم للرسول ﷺ والمسلمين من مكة ولم يكن للمسلمين ذنب إلا إيمانهم بالله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (الممتحنة:١) .

٢-لأنهم لو ظهروا على المسلمين وتمكنوا منهم فلن يتركوا أو يرحموا أحداً منهم يقول الله تعالى : ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلّاً وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (التوبة:٨)

٣- لأنهم جاهدون مع ذلك في محاولة رد المسلمين عن دينهم ، يقول الله تعالى :﴿ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ (البقرة: الآية٢١٧) ، فكيف بالذين يوالونهم ولا يبرأون منهم بعد هذا البيان وهذا الدليل ، وواقعنا المعاصر خير شاهدٍ على ذلك ، فاليهود والنصارى ، جاهدون في إضلال الناس وإبعادهم عن ربهم ودينهم ، ولقد حذرنا الله ﷻ من مغبة موالاتهم وطاعتهم والميل لهم فقال ﷻ :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ۞ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (آل عمران:١٠٠، ١٠١) ويعود مرة أخرى في السورة ذاتها ليحذرنا من هذه الطاعة وخطورتها فيقول ﷻ :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۞ بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٩، ١٥٠) .

ثالثاً :العلاقة بين الولاء والبراء

يزعم كثير ممن لا يعرفون عن الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه من أبناء هذا الدين العظيم أن الإسلام شعائر وعبادات ولا علاقة له بسياسة أو اقتصاد أو اجتماع أو غيره من العلوم متجاهلين أو متناسين أنه نظامٌ شاملٌ ، كاملٌ ، ومتوازن، وأنه لا يصلح آخر زمان هذه الأمة إلا بما صلح به أولها والواقع الذي نحياه خير شاهد وخير دليل على التيه والضنك والضياع الذي تحياه الأمة الإسلامية بل البشرية جمعاء وما حلَّ بالأمة الإسلامية كان حصيلة البعد عن كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ واتباعها لأعداء الإنسانية والحضارة الذين زعموا أنهم أصحاب حضارة ومدنية وأنصارٌ للإنسانية ؛ والإنسانية والحضارة منهم براء ، لأنهم ما جلبوا لهذه البشرية إلا النكد والضياع فخابوا وخاب زعمهم ، ولا يختلف اثنان " ذوا عقل " على أن أفضل فترات السعادة والرخاء والطمأنينة والسلام كانت في ظل الإسلام .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإنه لمن المحزن أن يصل العالم الإسلامي في العقود المتأخرة أقصى دركات الجهل والتخلف والانحطاط في شتى الميادين ، وفي كل المجالات . تخلفٌ في جميع المجالات العلمية ، وتراجعٌ من مكان القيادة إلى ذل التبعية ، وانحرافٌ في عقيدتنا ، حيث تركنا النبع الصافي ، وغرقنا في مستنقعات الجدل العقيم والتشدق وخزعبلات الكلام ، فبعد أن كنا سادة الأمم وقادتها ، أصبحنا أذل الأمم وأوهنها وأهونها .

جهل في التزاماتنا بمقتضيات عقيدتنا الغراء من التميز والجهاد والعزة ، مستبدلين ذلك بالتميع والتواكل والاستسلام ، مما عكس عنا صورة هزيلة رديئة ، جعلت أعداء الدين يتكالبون علينا وعلى عقيدتنا من كل حدبٍ وصوب في عقر دارنا ومن أبناء جلدتنا ، حتى ظهر من بيننا من يقول ما علاقة الدين بالسياسة ؟ ، وآخر يقول أنا مسلم ماركسي ، وثالث يستحي من الانتساب للإسلام ، ورابع بين هؤلاء يرى في الإسلام شعائر وعبادات ويفخر بانتمائه للإسلام ولكنه مع هذا وذاك يحب أعداء الإسلام ولا يبرأ منهم . فهل الولاء منفصل عن البراء ؟! أم أن الولاء والبراء مترابطان متلازمان لا ينفصلان ؟ هذا ما سيوضحه الباحث بالأدلة من كتاب الله ﷻ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسنة نبيه ﷺ .

أصل الولاء كما بينا سابقاً : المحبة والنصرة والقرب ، وأصل البراء : المعاداة والبعد ، فكيف يجتمع الشيء وضده في آن واحد ، فكيف يجتمع حب الله ورسوله ﷺ وعباده المؤمنين مع حب أعداء الله ورسوله من الطواغيت والمجرمين ، والله تعالي يقول : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ (الأحزاب:٤) .

ويقول تباركت أسماؤه : في موضعين مختلفين جاعلاً الولاء والبراء متلازمين متناوبين لا ينفك أحدهما عن الآخر . **الأول** في قوله ﷻ :﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (النحل:٣٦) و**الثاني** في قوله ﷻ: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٥٦) .

فالطاغوت " ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ، والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة ، إبليس لعنه الله ، ومن عبد وهو راض ،ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه ، ومن ادعى شيئاً من علم الغيب ، ومن حكم بغير ما أنزل الله " (ابن عبد الوهاب ،١٤١٧هـ ، ٩٧) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فكيف بمن ادعى ولاءه لدين الله وحبه لرسول الله ﷺ ويتشدق بأحاديثه ويتلو آيات ربه وهو في الوقت نفسه مغموس بموالاة أعداء الإسلام ، يفرح لفرحهم ، ويحزن لحزنهم ، ويشاركهم أعيادهم ، بل ويصلي في كنائسهم ؟ ! يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب : " واعلم رحمك الله أن أول ما أوجب الله تعالى على عبده الكفر بالطاغوت والإيمان بالله والدليل قوله ﷻ :﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٥٦) (القحطاني النجدي ،١٤١٣هـ ، ج١، ١٣٧) .

فلذة القلوب وسرورها لا تكون إلا في محبة الله وحب من يحب الله ، وموالاة عباده المؤمنين ولا تمكن هذه المحبة إلا بالبراءة من كل من خالف شرعه واتبع هواه .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " ليس في القلوب سرور ولا لذة تامة إلا في محبة الله والتقرب إليه بما يحبه ، ولا تمكن محبته إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه " (ا بن تيمية ، ب.ت ، ج٢٨، ٣٢) .

والأدلة على ترابط المفهومين وتلازمهما في كتاب الله ﷻوسنة نبيه ﷺ كثيرة نذكر منها :

أولاً في كتاب الله سبحانه :

۞ يقول الله تعالى :﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ۞إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (الجاثـية:١٨، ١٩) " أي اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين ، وماذا تغني عنهم ولايتهم لبعضهم بعضاً فإنهم لا يزيدونهم إلا خساراً ودماراً وهلاكاً "(ابن كثير، ب.ت، ج٥،١٤٩) .

۞ يقول تباركت أسماؤه: ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ ﴾(الرعد: ٣٧) وفي الآية " تهديد وعيد لأهل العلم أن يتبعوا سبل أهل الضلالة ، بعد ما صاروا إليه من سلوك السنة النبوية والحجة المحمدية(حوى ، ١٤٠٥هـ ، ج٥،٢٧٦٠) .

۞ ويقول أيضاً : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾ (البقرة:١٢٠) . " وفيه تهديد ووعيد شديد للأمة عن اتباع طريق اليهود والنصارى بعد ما علموا من القرآن والسنة ، وفيه نهي كبير عن اتباع الكفار وتقليدهم في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم وجعلهم مثلاً في الاقتداء كما هو الحال اليوم والعياذ بالله " (الرفاعي ، ١٤١٠هـ ، ج١،٩٩) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

❁ ويقول ﷻ :﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾(النساء:١١٥) لذا فإن " من يخالف الرسول من بعد وضوح الدليل وظهور الرشد ويتبع غير ما عليه المؤمنين من الدين يجعله الله والياً لما تولى من الضلال وندعه وما اختاره في الدنيا ونصله جهنم في الآخرة " (حوى،١٤٠٥هـ ، ج١١٨٦،٢) .

❁ ويقولﷻ :﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام:١٥٣) فالطريق واضح ، " إنه صراطٌ واحد - صراط الله- وسبيلٌ واحد تؤدي إلى الله،أن يفرد الناس الله سبحانه بالربوبية،ويدينوا له وحده بالعبودية، وأن يعلموا أن الحاكمية لله وحده ، وأن يدينوا لهذه الحاكمية في حياتهم الواقعية ، هذا هو صراط الله وهذا سبيله وليس وراءه إلا السبل التي تفرق بمن يسلكونها عن سبيله " (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج٤٢٨،٣) .

❁ ويقول ﷻ : ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (الشورى:١٥) والمعنى " استقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله تعالى كما أمركم ولا تتبع المشركين فيما اختلقوه وكذبوه وافتروه من عبادة الأوثان ، وقولهﷻ :﴿ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴾ أي نحن براءٌ منكم " (ابن كثير، ب. ت، ج١٠٩،٤) مشيراً إلى قوله ﷻ: ﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (يونس:٤١).

❁ ويقول ﷻ :﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَإِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام:١٩) من هنا كان " لا بد أن تستيقن العصبة المسلمة أنها لن تُنصر ولن يتحقق لها وعد الله بالتمكين في الأرض قبل أن تفاصل الجاهلية على الحق عند مفترق الطريق . وقبل أن تعلن كلمة الحق في وجه الطاغوت ، وقبل أن تشهد على الجاهلية هذا الإشهاد وتنذرها هذه النذارة ، وتعلنها هذا الإعلان وتفاصلها هذه المفاصلة ، وتتبرأ منها هذه البراءة " (حوى ، ١٤٠٥هـ ، ج١٥٩٠،٣) .

أما أحاديث النبي ﷺ فهي كثيرة منها

✿ ما رواه مسلم في صحيحه عن قوله ﷺ : " " مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ " (مسلم ، كتاب الإيمان ، باب فضل أبي بكر الصديق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ﷺ ، ج١، ٢١٢) .وفيه الولاء لله ﷻ والبراء مما يُعبد من دونه ، وأن الأمرين معاً يعصمان ماله ودمه في الدنيا .

✿ كما روى الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: " أوثق عرى الإسلام أن تحب في الله وتبغض في الله " (السيوطي ، ج١، ٣٤٣ ، ح٢٢٤٧).

✿ وما جاء في التوجيه النبوي الشريف عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ جَرِيرٍ قَالَ قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ اشْتَرِطْ عَلَيَّ قَالَ : " تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُصَلِّي الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَنْصَحُ لِلْمُسْلِمِ وَتَبْرَأُ مِنَ الْكَافِرِ " (مسند الإمام أحمد ، مسند الكوفيين ، ج٤، ٣٥٧ ،ح ١٨٦٧٢) .

ولقد تبرأ نبينا ﷺ من أقرباء له ليسوا على دينه ، فهو قدوتنا وقائدنا ، فعن عمرو ابن العاص ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول جهاراً من غير سر: " إن آل أبي – يعني فلاناً – ليسوا لي بأولياء ، إنما وليي الله وصالح المؤمنين " (مسلم ، كتاب الإيمان ، ج١، ١٩٧، ح٢١٥) .

وقد ورد في سيرة ابن هشام أن ابن اسحق قال " فلما بادى رسول ﷺ قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله ، لم يبعد عنه قومه ولم يردوا عليه – فيما بلغني- حتى ذكر آلهتهم وعابها فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه واجمعوا خلافه وعداوته إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام (ابن هشام ، ب.ت ، ج٢٨٢،١) ، وقد كان باستطاعته ﷺ أن يظل على مودتهم ويهادنهم ويجاملهم ولا يصادمهم ولكن هيهات أن يلتقي الحق مع الباطل لان كلمة التوحيد نفي واثبات " فإذا عرفت هذا عرفت أن الإنسان لا يستقيم له إسلام – ولو وحد الله وترك الشرك – إلا بعداوة المشركين ، والتصريح لهم بالعداوة والبغض (ا بن تيمية وابن عبد الوهاب ، ب. ت ، ٢٤) والذي ينسجم مع قوله ﷻ : ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة:٢٢) .

وقصص القرآن الكريم تؤكد هذا الترابط بين الولاء والبراء :

✿يقول تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ۞ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۞ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۞ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۞ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۞ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ۞ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الشعراء:٧٠ - ٧٨) .

فولاء إبراهيم عليه السلام لربه دفعه إلى البراء من الشرك وأهله مبتدئاً بأقرب الناس إليه ، ولقد عبر علماء الأمة عن عقيدة سيدنا إبراهيم عليه السلام بقولهم لا موالاة إلا بالمعاداة ولا نصرة ولا تأييد لدين الله

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عز وجل إلا بخلع كل ما سواه ، وقد أشار ابن القيم رحمه الله إلى ذلك بقوله : " لا تصح الموالاة إلا بالمعاداة ، كما قال إمام المحبين لقومه : ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۞ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ۞ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾(الشعراء:٧٦ - ٧٨) . فلا تصح لخليل الله هذه الموالاة والخلة إلا بتحقيق هذه المعاداة ، فإنه لا ولاء إلا لله ، ولا ولاء إلا بالبراءة من كل معبودٍ سواه قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ۞ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ۞ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الزخرف:٢٦- ٢٨) أي جعل الموالاة لله والبراءة من كل معبودٍ سواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض . (ابن القيم ، ١٤٠٨هـ ، ٢٣٢) .

هكذا يبدو من خلال ما تم عرضه من آيات وأحاديث ارتباط البراء بالولاء ارتباطاً وثيقاً ، فكيف بمن يدعون انتماءهم للإسلام وهم يحملون أفكاراً علمانية أو اشتراكية و يرفعون شعارات لا دينية تقوم أساساً على محاربة الإسلام وأهله ، يحبون أعداء الله من مطربين وفنانين ورجال فكر هدامٍ أكثر من حبهم لرسول الله ﷺ ولا يبرءون منهم ؟! كيف يلتقي هذا وذاك ؟! قال ﷺ :﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (الممتحنة : ٤) .ويذهب (الطبري ،١٤٠٧هـ ،ج٢٨،٦٢) في تفسير هذه الآية بقوله : " قد كانت لكم يا أمة محمد أسوة حسنة في فعل إبراهيم والذين معه في هذه الأمور من مباينة الكفار ومعاداتهم وترك موالاتهم إلا في قول إبراهيم لاستغفرن لك فانه لا أسوة لكم في ذلك لان ذلك كان من إبراهيم عن موعدة وعدها إياه قبل أن يتبين له أنه عدو لله ،فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، فتبرءوا من أعداء الله ولا تتخذوا منهم أولياء حتى يؤمنوا بالله وحده ويتبرءوا من عبادة ما سواه " .

ومثال آخر وهو قصة سيدنا نوح عليه السلام مع ابنه ومع زوجه . يقول الله تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ۞ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ۞ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ۞ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(هود:٤٢-٤٧) . وهو مشهد يتجسد فيه ولاء نبي الله نوح ﷺ لله ﷻ وبراءته ممن عاداه حتى من أقرب الناس إليه ، فنوح ﷺ الذي دعا قومه لعبادة الله ألف سنة إلا خمسين عاماً فلم يؤمن معه إلا القليل ، موقفه من أحب الناس إلى قلبه " ابنه " بعد أن بين الله ﷻ له أن ابنه ليس من أهله لتوليه عن دعوة الله يبرأ منه ، فلم تؤثر عليه عاطفته طالباً من الله ﷻ أن يغفر له ما صدر منه .

ولم يقتصر براء نوح ﷺ من ابنه الكافر فحسب بل وزوجه أيضاً .يقول الله تعالى:﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ (التحريم:١٠) .

وعلى العكس من هاتين المرأتين ضرب القرآن الكريم مثلاً عالياً في الولاء لدين الله ﷻ والبراء ممن سواه ، زوجة الطاغية فرعون لعنه الله . يقول الله تعالى :﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(التحريم:١١) .فهذه المرأة " لم يصدها طوفان الكفر التي تعيش فيه ، في قصر فرعون من طلب النجاة وحدها ، وقد تبرأت من قصر فرعون طالبة إلى ربها بيتاً في الجنة وتبرأت من صلتها بفرعون فسألت ربها النجاة منه ، وتبرأت من عمله مخافة أن يلحقها من عمله شيء وهي ألصق الناس به ﴿ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ ﴾ (التحريم: الآية١١) وتبرأت من قوم فرعون وهي تعيش بينهم ﴿ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (التحريم: من الآية١١) إنه مثل للاستعلاء على عرض الحياة الدنيا في أزهى صوره ، فقد كانت امرأة فرعون ، أعظم ملوك الأرض يومئذ " (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج٦،٣٦٢٢) .

فهل بقي بعد هذه الأدلة الجلية من كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ وأقوال العلماء من أهل السنة والجماعة حجة لمن يطالبون بما يسمى " التسامح الديني " وتلك الشعارات التي ما أنزل الله بها من سلطان ، أم بقي لأولئك الذين ينتمون إلى أحزاب علمانية بأسماءٍ رنانة تحمل في ظاهرها الرحمة وباطنها من قبله العذاب حجة بعد ذلك ؟ !! فقد " انخلع كل من قال : اشهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله في مكة من الولاء لأسرته والولاء لعشيرته والولاء لقبيلته والولاء لقيادته الجاهلية الممثلة في قريش وأعطى ولاءه وزمامه لمحمد رسول الله ﷺ وللتجمع الصغير الناشيء الذي قام بقيادته " (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج٣،١٥٥٨) .

أم بقى للذين يعشقون الممثلين والممثلات والمغنين والمغنيات ، وعارضي الأزياء والعارضات ،ويقدسون صناديد الجهل والكفر والضلال أكثر من تعظيمهم لمعلم الأمة وقائدها محمدٍ ﷺ بعد هذا بيان ؟ أم بقي للذين يتهمون الإسلام بالرجعية والتخلف ويطالبون بأن نحذو حذو أعداء العقيدة والإنسانية ونشاركهم " حضارتهم " خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وغيرهم من الذين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

باعوا دينهم بدنياهم عذرٌ بعد هذه الحقائق والبيانات. يقول الله تعالى : ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ (المائدة:٥٢) لذلك فإن " حب الله يعني بغض الشيطان ، وحب طاعته – تعالى- يعني بغض معصيته ، وحب شرع الله يعني بغض تشريع غيره من الطواغيت ، وحب أوليائه يعني بغض أولياء الشيطان من الملحدين والكفار والمجرمين " (ابن القيم ، أحكام ، ب. ت ، ج٢،١٢٤).

وخلاصة ما سبق : أن الولاء والبراء متلازمان ومترابطان لاينفك أحدهما عن الأخر ، فلا ولاء إلا ببراء ،ولا حب لله ولرسوله وللمؤمنين إلا بعداوة من عادى الله ورسوله والمؤمنين ، فما حجة من صلى وصام وزعم أنه مسلم وادعى حب الله ورسوله أن يقف تحت راية تعادي الله ورسوله والمؤمنين ، يصد عن سبيله ويمكر بأوليائه و يحب أهل الضلالة والفجور من مطربين ولاعبين وممثلين ، يتباهى بحفظ أسمائهم ، ويتشبه بهم ويخجل من سنة المصطفى ﷺ، بل قد يهزأ منها ويصف الإسلام بالرجعية .

رابعاً :الولاء والبراء عند أهل السنة والجماعة :

حريٌّ بنا ونحن نبحث عن الأبعاد التربوية للولاء والبراء أن نبين عقيدة أهل السنة والجماعة في هذا المفهوم العقدي المهم ، وأهل السنة والجماعة كما يشير (عبده ، ب.ت ،ج٨،٢٤٥) بقوله : " أن أهل الحق من سلف الأمة إنما سموا بأهل السنة والجماعة لأنهم ساروا في الاهتداء بالإسلام على السنة ، وهي الطريق العملية التي جرى عليها النبيﷺ في بيان القرآن كما أمره الله بقولهﷻ : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل:٤٤) وتلقاها عنه بالعمل جماعة الصحابة ، وقد أصاب الإمام احمد بن حنبل " رحمه الله " في حصره حجية الإجماع الديني بإجماع الصحابة ﷺ ، وما روي من الآثار في شذوذ أفراد عما ثبت عليه الجمهور فلا يعتد به فعمل الجمهور هو السنة وهو الجماعة " .

هؤلاء بإيجاز هم أهل السنة والجماعة أما **عقيدتهم في الولاء والبراء** :

فهي كما بيَّن (ابن تيمية ، ب. ت ، ج٢٨،٢٠٩): " الحمد والذم والحب والبغض والموالاة والمعاداة إنما تكون بالأشياء التي أنزل الله بها سلطانه ، وسلطانه كتابه ، فمن كان مؤمناً وجبت موالاته من أي صنف كان ، ومن كان كافراً وجبت معاداته من أي صنف كان يقول الله تعالى :﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رَاكِعُونَ ﴾ (المائدة:٥٥) . ويقول ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (المائدة:٥١) . كما يقول تباركت أسماؤه : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة:٧١) . ومن كان فيه إيمان وفيه فجور أعطي من الموالاة بحسب إيمانه ، ومن البغض بحسب فجوره ، ولا يخرج من الإيمان بالكلية بمجرد الذنوب والمعاصي ، ولا يجعل الأنبياء والصد يقون والشهداء والصالحون بمنزلة الفساق في الإيمان والدين والحب والبغض والموالاة والمعاداة . قال الله تعالى:﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات:٩-١٠) . وإلى ذلك يشير (ابن تيمية) إلى أنه إذا ما اجتمع في الرجل الواحد خيرٌ وشرٌ ،وتقوى وفجورٌ ، وطاعةٌ ومعصية ، وسنة وبدعة ، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير ، واستحق من المعاداة والعقاب بقدر ما فيه من الشر ، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة كاللص تقطع يده لسرقته ، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته ، هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم ".

من هنا فإن عقيدة الولاء والبراء عند أهل السنة والجماعة واضحة مبنية على الدليل من القرآن والسنة ، فالمؤمن كما جاء تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك ، والكافر تجب معاداته وان أعطاك وأحسن إليك ، لذا أوجب الله ﷻ الحب لأوليائه وان ظلموا والبغض لأعدائه وان أحسنوا . وقد ذهب ابن تيمية رحمه الله إلى أنه يجب : " على المؤمن أن يعادي في الله ويوالي في الله ، فان كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه – وإن ظلمه- فان الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية (ا بن تيمية ، ب.ت ، ج٢٨، ٢٠٨) قال ﷻ :﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الحجرات : ٩) .

لذا مما تقدم يظهر أن الناس – باعتبار الولاء والبراء - على ثلاثة أصناف :

الصنف الأول : من يحب جملة:

وهو من آمن بالله ورسوله، وقام بوظائف الإسلام ومبانيه العظام علماً وعملاً واعتقاداً. وأخلص أعماله وأفعاله لله،وانقاد لأوامره وانتهى عمّا نهى عنه الله ورسوله، ،ووالى في الله وأبغض في الله،وعادى في الله،وقدم قول رسول الله على كل أحد كائنا من كان . (ابن سحمان ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٣٤٠هـ ، ١٣) . وهذا الصنف ينطبق على الأنبياء والرسل أجمعين وصحابة رسول الله ﷺ والتابعين ومن والاهم من المسلمين قولاً وعملاً ومن تبرأ ممن عاداهم من الناس أجمعين ، وكذلك أهل التقى والصلاح ممن ضحوا بالغالي والنفيس من أجل نصرة عقيدتهم ورفعة دينهم .

الصنف الثاني : من يبغض جملة:

" وهو من كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر،ولم يؤمن بالقدر خيره وشره، وأنكر البعث بعد الموت أو ترك أحد أركان الإسلام الخمسة أو لم يؤمن بالإسلام وأشرك بالله ﷻ في عبادته أحداً من الأنبياء والأولياء والصالحين ، وصرف لهم نوعاً من أنواع العبادة كالحب والدعاء والخوف والرجاء والتعظيم والتوكل والاستغاثة والاستعاذة والاستعانة والذبح والنذر والإنابة والذل والخضوع والخشوع والخشية والرغبة والرهبة، وكذلك من ألحد في أسمائه وصفاته واتبع غير سبيل المؤمنين وكذلك كل من قامت به نواقض الإسلام العشرة أو احدها" (ابن سحمان ، ١٣٤٠هـ، ١٩) .

الصنف الثالث: من يحب من وجه ويبغض من وجه :

" وهو الذي اجتمع فيه خير وشر وفجور وطاعة ومعصية وسنة وبدعة : استحق من الموالاة والثواب بقدر مافيه من الخير واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة " (ا بن تيمية ، ب. ت ، ج٢٨، ٢٠٩) .

مما سبق يتضح أن أهل السنة والجماعة يوالون المؤمن المستقيم على دينه ولاءً كاملاً ويحبونه وينصرونه نصرةً كاملةً ويتبرءون براءةً كاملةً من اليهود والنصارى ومن والاهم وسار في طريقهم ودار في فلكهم من الكفرة والمشركين والملحدين، دون النظر إلى عصبيات جاهلية أو نزعات قومية ، فلا قرابة إلا في الدين ولا صحبة إلا في العقيدة ولا محبة إلا في الله وعلى منهج الله لتحقيق شرع الله .وبين هذا الصنف من الناس وذاك عوام المسلمين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فهؤلاء لا نقطع مودتهم ولا نعطيهم من المودة كالتي للعلماء الصادقين المتقين والصالحين . وما يفيدنا نحن المسلمين عملياً أن يعرف الواحد من يحب ومن يبغض ولماذا يحب ولماذا يبغض ، ومن يوالي ومن يعادي ، وأن المعيار الحقيقي هو كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ ، فلا ولاء إلا للفئة المؤمنة التي أخذت على عاتقها تحكيم شرع الله ، ولا يتم هذا الولاء ولا يصدق إلا بمعاداة كل من خالفها وعاداها .

خامساً :نواقض الولاء وقوادحه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بيّن الباحث فيما سبق قضية الولاء والبراء من حيث المعنى والمفهوم ، والأدلة على وجوب موالاة المسلمين والبراءة من الكافرين ، كما بيّن علاقة الولاء بالبراء ، وعقيدة الولاء والبراء عند أهل السنة والجماعة، وحتى تكتمل الصورة عن هذا المفهوم لا بد من توضيح نواقض الولاء والبراء وقوادحه .

أ- نواقض الولاء

ويقصد **بالنواقض** : ما يخرج الإنسان من دائرة الموالاة إلى خارج نطاقها . وهذه النواقض هي :

١ - استحلال دم المسلم أو عرضه أو ماله:

مما سبق تبيّن أن الولاء يعني المحبة والنصرة والمجاملة ، وهذه في الوقت نفسه دلالات ومؤشرات ومقتضيات للولاء، حيث تتبّن مما سبق أنه لا براء إلا في نصرة المسلم وإعانته على الكافر ، لذا فمن البديهي أن نفي هذه الموجبات نفيٌ لهذا الأصل ، ومن هنا كان عرض المسلم ودمه وماله حراماً كما قال ﷺ : " لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ " (مسلم ، كتاب البر ، ج٤،١٩٨٦ ،ح٢٥٦٤) .

٢ - إخراج المسلم من الإسلام عن معرفة وبصيرة:

حذر النبي ﷺ من تكفير المسلم لأخيه المسلم فجعل ﷺ كل من حكم على رجل مسلم بأنه كافر وهو يعلم في قرارة نفسه أنه مسلم فقد كفر، وذلك لقوله ﷺ : " أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ " (مسلم ، كتاب الإيمان ، ج١،٧٩ ، ح٦٠)، أي إما أن يكون كافراً في الحقيقة ، وإلا عاد القول إلى قائله . لذا لا يحق لمسلم أن يكفر مسلماً لمعصيةٍ رآها فيه أو تقصيرٍ صدر عنه ، ومن فعل ذلك عامداً فقد ضل ضلالاً بعيداً ،بل قد كفر كما هو واضح في الحديث ، وهو بالتالي يخرج من دائرة الموالاة .

٣ - موالاة الكافر وإعانته على المسلم:

كل من والى كافراً وأعانه وظاهره على مسلم فقد كفر ونقض هذا الأصل "الموالاة" وخرج من دين الله ﷻ وهذا يصدق أيضاً على من اطلع الكفار على عورات المسلمين في الحرب وأفشى لهم أسرار المسلمين وقد جاء بشأن هذا آيات كثيرة كما بيّن الباحث ، منها قوله ﷻ :﴿ يَا أَيُّهَا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(المائدة:٥١) . فقوله ﷻ : ﴿ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ يدل على أنه قد خرج بذلك من الإيمان إلى الكفر وهو نص صريح، ويستثنى من هذا من فعل ذلك غير مستحلٍ له، في حال الإكراه المعتبر شرعاً لقوله ﷻ : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْأِيمَانِ ﴾ (النحل: من الآية١٠٦) وقوله ﷻ: ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (آل عمران:٢٨)

فقولهﷻ : ﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ يدل على أن من اتقى شر الكفار وداراهم وردهم عن نفسه في حال ضعف ولا يحب أن ينتصر الكفار ولا أن يظهروا على المسلمين فإنه لا يكفر بذلك بل يكون معذوراً عند الله . يقول ابن القيم : " معلوم أن التقاة ليست بموالاة ، ولكن لما نهاهم عن موالاة الكفار اقتضى ذلك معاداتهم والبراءة منهم ، ومجاهرتهم بالعدوان في كل حال إلا إذا خافوا من شرهم ، فأباح لهم التقية وليست التقية موالاة " (ابن القيم ،١٤١٤هـــ ، ج٣، ٦٩) .

هذه الأمور الثلاثة التي تنقض أصل الموالاة وتخرج المسلم من حظيرة الإسلام إلى حظيرة الكفر ومن دائرة موالاة المؤمنين إلى دائرة معاداتهم والبراءة منهم ، وهي كما بيّن الباحث: استحلال دم المسلم أو ماله أو عرضه وتكفيره عن عمد وإصرار ومعرفة ، وموالاة أعداء الله دونه وإعانتهم عليه.

ب - قوادح الولاء

الأمور السالفة تنقض أصل الموالاة وتخرج المسلم من الإيمان ولكن ثمة أمور أخرى لا تصل إلى حد النواقض ولكنها تقدح الولاء ، ويقصد بقوادح الولاء : ما يخدش الولاء ويجرحه لكنه لا يصل إلى حد النواقض . وهي كثيرة من أهمها الظلم ، السب والشتم والغيبة والنميمة ، والبيع على البيع، والخطبة على الخطبة ، والنجش والغش، الهجران،الهمز واللمز ، والسخرية والاستهزاء ، وكل ما يسبب العداوة والبغضاء والشحناء والفرقة ، فهذه القوادح ، وإن كانت لا تخرج المسلم من دائرة الموالاة للمؤمن ، وقد يستصغرها كثيرٌ من الناس إلا أنها تعمل بلا شك على إضعاف هذه الرابطة ، وتفكك هذه اللحمة ، وهذا ما حدث في بلاد المسلمين ، فآلوا إلى ما آلوا إليه من التفكك والهوان ، والتشتت والضياع .

جـ - استثناءات لا تقدح في أصل البراءة

تبيّن مما سبق أن البراءة من الكافرين تعني أن لا نتنازل لهم عن شيء من الدين، وأن لا نحبهم ، أو نحب ما هم عليه من كفر، وأن لا نساعدهم على مسلم قط، وأن لا نتخذ منهم بطانةً

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأعواناً في أماكن يطلعون منها على أسرار المسلمين وينفذون من خلالها إلى إضعافهم وتوهينهم . وحتى يكتمل الموضوع لابد أن نوضح أن هناك استثناءات لا تخل بأصل البراء ، وقد يغفل عنها كثيرٌ من المسلمين ، لدقتها وتشابكها ، ويكمن إجمال هذه الاستثناءات في الآتي:

١ - اللين عند عرض الدعوة:

لا تعني البراءة من الكافرين حجب دعوة الإسلام عنهم وتركهم لما هم فيه من ضلال ، بل يحتم الإسلام على أهله دعوة الناس إلى الخير وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، والحرص على هدايتهم والرغبة الأكيدة في تحولهم إلى الإسلام ، وهذا لا يأتي إلا بالدخول إلى النفوس من مداخلها واستجلاب رضاها وراحتها فإن الإسلام جعل سبيل الدعوة مع الكفار وغيرهم هو الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى كما قال ﷻ: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل:١٢٥) من أجل ذلك أمر الله تعالى محمداً ﷺ " أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة ، ومن احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب كقوله ﷻ ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(العنكبوت: الآية٤٦) فأمره الله بلين الجانب كما أمر به موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون بقوله ﷻ ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (طه:٤٤) " (ابن كثير ، ب. ت ، ج٢،٥٩١) . وهكذا صنع موسى عليه السلام مع فرعون لاطفه في أول لقاء له وشرح له دعوته ، وجادله بالحسنى ، ووكل أمره لله بعد أن أعلن فرعون عداوته له. وهكذا أيضاً فعل رسول الله ﷺ مع المشركين والكافرين والمعاندين ممن عرض عليهم دعوته سواء كانوا من العرب المشركين أو اليهود أو النصارى جادلهم رسول الله بالحسنى ودعاهم باللين والبيان وصبر معهم صبراً طويلاً ولم يثبت قط أنه أهانهم أو أغلظ عليهم عند عرض الدعوة أبداً وذلك امتثالاً لقوله ﷻ : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾(العنكبوت:٤٦) . وقوله ﷻ : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً ﴾ (المزمل:١٠) .

وهذه الآيات كلها ومثلها الكثير في القرآن تدعو الدعاة إلى الحكمة والصفح الجميل عن المكذبين لا تتناقض مع قوله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾(التوبة:٧٣) وذلك أن الغلظة المأمور بها هنا إنما هي الغلظة في القتال فقط،حيث " أمر الله تعالى رسوله ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم ، كما أمره بخفض جناحه لمن تبعه من المؤمنين " (ابن كثير ، ب. ت ، ج٢، ٣٧١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما تبدو هذه السماحة والملاينة جلية في قوله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الأنفال:٧٠) . وذلك لأن الإسلام إنما يستبقي الأسرى لديه ليلمس في قلوبهم مكامن الخير والرجاء والصلاح ، ليوقظ في نظراتهم أجهزة الاستقبال والتلقي والتأثر والاستجابة والهدى ، لا ليستذلهم انتقاماً ، ولا ليسخرهم استغلالاً " (قطب ، ب.ت، ج٣، ١٥٥٣)

فالدعوة تحتاج إلى اللين والملاطفة وتخير الألفاظ وإحسان القول رغبة في تطميع الكافر في الدين، واستمالة لقلبه إليه. والجاهلون بهذا لا يميزون بين مقام ومقام ويظنون أن البراءة من الكفار تعني سبهم وشتمهم وإغلاظ القول لهم في مقام الدعوة وهذا غاية الجهل والحماقة.

٢ - حل الزواج بالكتابية وأكل ذبيحة الكتابي:

لا شك أن الكتابي يهودياً كان أو نصرانياً هو ممن حكم الله عليهم بالكفر والخلود في النار إذا سمع بالإسلام ولم يدخل فيه كما قال ﷻ : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرائيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۞ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (المائدة:٧٢، ٧٣) . وهذا نص واضح في كفرهم لمقالتهم الشنيعة في الله ولا شك أيضاً أنهم لا يخرجون من مسمى أهل الكتاب بهذه المقالة ، فقد ناداهم الله مرارا بهذا الاسم مع تمسكهم بمعتقدهم هذا كقوله ﷻ: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ (النساء:١٧١) . فقد سمّاهم القرآن أهل الكتاب مع مقالتهم هذه ، وبالرغم من ذلك فقد أباح الله للمسلم أن يأكل مما ذبحه الكتابي وأن يتزوج المرأة الكتابية ، ويشهد لهذا قولهﷻ : ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْأِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (المائدة:٥) . وقد أشار (قطب ، ب.ت ، ج٢، ٨٤٨) إلى ذلك بقوله : " وهنا تطلع صفحة جديدة من صفحات السماحة الإسلامية ، في التعامل مع غير المسلمين ، ممن يعيشون في المجتمع الإسلامي " دار الإسلام " أو تربطهم به روابط الذمة والعهد مع أهل الكتاب ، فالإسلام لا يكتفي بأن يترك لهم حريتهم الدينية ثم يعتزلهم فيصبحوا في المجتمع الاسلامي مجوفين معزولين ، إنما يشملهم بجو من المشاركة الاجتماعية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمجاملة والخلطة ، كذلك يجعل العفيفات من نسائهم طيبات للمسلمين " (قطب ، ب. ت ، ج٢، ٨٤٨)

٣ - المجاملة والإحسان إليهم والدعاء لهم بالهداية:

ومن الأمور التي لا تنقض أصل البراءة من الكفار أيضاً مجاملة الكافر المعاهد والذمي والمستأمن والإحسان إليه والأصل في هذا هو قوله ﷻ:﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة :٨) قال الطبري رحمه الله في هذه الآية :" لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلونكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتقسطوا إليهم . لأن الله عز وجل عمم بقوله : ﴿ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ﴾(الممتحنة: ٨) جميع من كان ذلك صفته ، فلم يخصص بعضاً دون بعض" (الطبري ، ١٤٠٧هـ ، ج٢٨،٤٣) .

وروى البخاري في صحيحه أن أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِي اللَّه عَنْهمَا قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُ أُمِّي ؟ قَالَ ﷺ : " نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ " (البخاري ، الهبة ، هدية المشركين ، ج٣،٣٢٩ ، ح٨٣٠) .

أما الدعاء لهم بالهداية فقد روى البخاري في صحيحه أن أَبُا هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه قال : قَدِمَ طُفَيْلُ ابْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ وَأَصْحَابُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا فَقِيلَ هَلَكَتْ دَوْسٌ قَالَ ﷺ : " اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ " (البخاري ، الجهاد والسير ، الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم ، ج٤،٤٥٣ ،ح١١٢٦) .

٤ - الإهداء لهم وقبول هداياهم:

ومن الأمور التي لا تتعارض مع البراء من الكفار إهداؤهم وقبول هداياهم ، فعَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِي اللَّه عَنْهمَا قَالَ : رَأَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حُلَّةً سِيَرَاءَ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوِ اشْتَرَيْتَهَا فَلَبِسْتَهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلِلْوَفْدِ . قَالَ ﷺ : " إِنَّمَا يَلْبَسُهَا مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ " . ثُمَّ جَاءَتْ حُلَلٌ فَأَعْطَى رَسُولُ ﷺ عُمَرَ مِنْهَا حُلَّةً وَقَالَ : أَكَسَوْتَنِيهَا وَقُلْتَ فِي حُلَّةِ عُطَارِدٍ مَا قُلْتَ فَقَالَ ﷺ : " إِنِّي لَمْ أَكْسُكَهَا لِتَلْبَسَهَا " فَكَسَاهَا عُمَرُ أَخًا لَهُ بِمَكَّةَ مُشْرِكًا (البخاري ، الهبة ، قبول الهدية من المشركين ، ج٣،٣٢٦ ، ح ٨٢٢) . وهذا دليل واضح أيضاً على أنه يجوز الإهداء للكفار ما لا يحل لبسه للمسلمين كالحرير كما أن النبي ﷺ قبل الشاة المصلية من اليهودية في خيبر ، فعن سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهم عَنْهم قَالَ لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " اجْمَعُوا إِلَيَّ مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ يَهُودَ " فَجُمِعُوا لَهُ فَقَالَ ﷺ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

: " إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ " فَقَالُوا : نَعَمْ قَالَ لَهُمْ ﷺ : " مَنْ أَبُوكُمْ ؟ " قَالُوا : فُلَانٌ فقَالَ ﷺ : " كَذَبْتُمْ بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ " قَالُوا : صَدَقْتَ قَال ﷺ : " فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُ ؟ " فَقَالُوا : نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ وَإِنْ كَذَبْنَا عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا . فَقَالَ لَهُمْ ﷺ : " مَنْ أَهْلُ النَّارِ ؟ " قَالُوا : نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ثُمَّ تَخْلُفُونَا فِيهَا . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " اخْسَئُوا فِيهَا وَاللَّهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا ، ثُمَّ قَالَﷺ : هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ ؟ " فَقَالُوا : نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ . قَالَﷺ : " هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا ؟ " قَالُوا نَعَمْ قَالَﷺ : " مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ ؟ " قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ "(البخاري ، كتاب الجزية ، ح ٢٩٣٣)

٥ - عيادة مرضاهم والتصدق عليهم

يدخل في البر بهم عيادة مرضاهم ، ومساعدة فقرائهم ومحتاجيهم ، وقبول دعوتهم، والدعاء لهم بالهداية، ونحو ذلك والشاهد على ذلك ، ما روى البخاري عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّ غُلَامًا لِيَهُودَ كَانَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ فَقَالَ ﷺ : " أَسْلِمْ " فَأَسْلَمَ وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ لَمَّا حُضِرَ أَبُو طَالِبٍ جَاءَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (البخاري ، المرضى والطب ، عيادة المشرك ،ج٧،٢٢١ ، ح٥٦٢) .

أما التصدق عليهم فهو ثابت في النص القرآني الذي ذكرناه وكذلك في قوله ﷻ: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة:٢٧٢). وقد قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: " كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين فسألوا فرخص لهم فنزلت هذه الآية ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ . عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه كان يأمر بأن لا يتصدق إلا على أهل الإسلام حتى نزلت هذه الآية ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ الآية . فأمر بالصدقة بعدها على كل من سألك من كل دين " (الصابوني ،١٣٩٩هـ ،ج١،٢٤٣) .

مما سبق يتضح أن زيارة المشركين وعيادتهم وإهداءهم وقبول هداياهم والتعامل معهم ، وإن كان لا ينقض أصل البراء منهم فإنّ له حدوداً وضوابط ؛ فإذا كانت هذه العلاقات والتداخلات سينتج عنها التنازل ولو بشيءٍ ضئيل من عقيدتنا و أصالتنا فهو بكل تأكيد مرفوض ، كما أن المسلم لا بد له وهو يتعامل معهم أن يكون حذراً منهم ومن أساليبهم ، فقد حذر الله ﷻ رسوله ﷺ قائلاً : ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ (المائدة:٤٩) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكذلك لابد أن يضع نصب عينيه هدف الدعوة إلى الله في كل حركةٍ وسكنة ، وأن هذه الاستثناءات لا تعني الاختلاط بهم والركون إليهم بل لا بد من التوازن في معاملتهم كما لابد أن لا نغفل عن أن هذه الاستثناءات تنطبق على المسالمين غير المحاربين ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة:٨) . " إنما تشرع عيادتهم إذا رجي أن يجيب إلى الدخول في الإسلام ، وأما إذا لم يطمع في ذلك ، فلا " (العسقلاني ، ١٤٠٥هـ ، ج١٠،٩٨) .

سادساً :التِّقِيّة " مفهومها وحدودها "

يقع كثيرٌ من المسلمين في فهم بعض آيات الكتاب الحكيم فهماً خاطئاً ، إما لأخذهم بظاهر الآيات دون الرجوع إلى كتب التفسير ، أو لتزيين الشيطان لهم ، أو لحاجةٍ في نفوسهم ومن هذه الآيات ، آيةٌ في سورة آل عمران ، تنهى عن موالاة أعداء الإسلام ، والتشديد على ذلك لدرجة إخراج من خالفها من دائرة الإسلام ، والوقوع في براءة الرحمن منه ، حيث يقول الله ﷻ فيها: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (آل عمران:٢٨) . والخطأ الذي يقع فيه كثيرٌ من الناس يكمن في التأويل الخاطئ لقوله ﷻ :﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ فيتخذ بعضهم هذا الاستثناء مبرراً لموالاتهم لأعدائهم ، بل ويبرر آخرون منهم تآمرهم وتخاذلهم وتحالفهم مع الكفار وإظهارهم على إخوانهم من المسلمين تحت ذريعة التقية والإكراه والخوف والمداراة ، لذا كان لا بد من توضيح التقية من حيث المفهوم والحدود والشروط ، وفقاً لما بيّنه العلماء أجلّهم الله .

أ- مفهوم التقية :

التقية هي " الحذر من إظهار ما في النفس من معتقدٍ وغيره للغير . وقال ا بن عباس : التقية باللسان ، والقلب مطمئنٌ بالإيمان ، ولا يبسط يده للقتل " (العسقلاني ، ١٤٠٥هـ ، ج١٢،٢٦٤) .

وقد فسّرها (الطبري ، ١٤٠٧هـ ، ج٣،١٥٣)بقوله: " التقية باللسان من حُمل على أمرٍ يتكلم به ، وهو معصية لله فيتكلم به مخافة الناس وقلبه مطمئنٌ بالإيمان فإن ذلك لا يضره ، إنما التقية باللسان" .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما جاء في كتاب التوحيد لابن تيمية وعبد الوهاب في شرح الآية﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ بأن " نهى الله المؤمنين أن يلاطفوا الكفار ويتخذوهم وليجة من دون المؤمنين إلا أن يكون الكفار ظاهرين ، فيظهرون لهم اللطف ويخالفوهم في الدين " (ابن تيمية وابن عبد الوهاب ، ب. ت،١١٠) .

أما قطب رحمه الله فقد ذهب إلى أن : " التقية تقية اللسان ، لا ولاء القلب ولا ولاء العمل ، فليس من التقية المرخص فيها ، أن تقوم المودة بين المؤمن والكافر – الذي لا يرضى بتحكيم كتاب الله في الحياة على الإطلاق – كما أنه ليس من التقية المرخص فيها أن يعاون المؤمن الكافر بالعمل في صورة من الصور باسم التقية ، فما يجوز هذا الخداع على الله " (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج١،٣٨٦) .

ب- حدود التقية وضوابطها :

مما سبق يتضح أن التقية تتعلق باللسان ولا يدخل ولاء القلب فيها على الإطلاق وإلا خرجت من مسماها تقية إلى مداهنةٍ و حبٍ و موالاة ، ولكن هل هذه التقية مفتوحة بحيث تصل إلى موالاتنا واتباعنا لأعدائنا ونصرتهم وحمل أفكارهم أو حمل الناس على حمل أفكارهم ومودتهم بلا حدود ، وبدون ضوابط ، أم لها حدود وشروط وضوابط ؟

ذهب (ابن القيم ،١٤١٤هـ ، ج٣، ٦٩) إلى القول بأن التقاة ليست بموالاة ، ولكن لما نهاهم عن موالاة الكفار اقتضى ذلك معاداتهم والبراءة منهم ، ومجاهرتهم بالعدوان في كل حال إلا إذا خافوا من شرهم ، فأباح لهم التقية وليست التقية موالاة ". ويبين البغوي رحمه الله ذلك بقوله : " نهى الله المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم إلا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين ، أو يكون المؤمن في قوم كفار يخافهم ويداريهم باللسان وقلبه مطمئنٌ بالإيمان دفعاً عن نفسه من غير أن يستحل دماً حراماً أو مالاً حلالاً أو أن يظهر الكفار على عورة المسلمين . والتقية لا تكون إلا مع خوفٍ من القتل وسلامة النية ، قال الله تعالى:﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ (النحل: ١٠٦) ثم هذه رخصة فلو صبر حتى قتل فله أجرٌ عظيم " (البغوي ، ١٤٠٦هـ ،ج١،٢٢٤).

أما محمد عبده فيشير إلى ذلك بقوله: " نهى الله المؤمنين عن موالاة الكافرين واتخاذهم بطانة من دون المؤمنين ، ومن يتولهم فليس في ولاية الله في شيءٍ وتنقطع صلة الإيمان بينه وبين ربه ﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ إلا في حال الخوف من شيءٍ تتقونه منهم ، فلكم حينئذٍ أن توالوهم بقدر ما يتقى به ذلك الشيء ، وليس لكم أن توالوهم على المؤمنين ، ولكن لكم أن تتقوا ضررهم بموالاتهم ، وإن جازت موالاتهم لاتقاء الضرر فجوازها لأجل منفعة المؤمنين يكون أولى " (عبده ، ب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ت ، ج٣،٢٨٠) . وقد عرج محمد قطب عليها بقوله : " فعندئذٍ يمكن أن تصنعوا ما تتقون شرهم ، حاشا ولاء القلب ، وحاشا كشف أسرار المؤمنين لهم ، وحاشا التناصر معهم ضد المؤمنين . فهذه ليست تقية ، إنما ولاء ، وليست تمرير أزمة إنما ميلٌ ومحبة ! " (قطب ، * ب. ت ،٣٢٦) .

ومما جاء في مجموعة التوحيد في هذا الباب " أن ما يعتقد كثيرٌ من الناس عذراً ، فإنه من تزيين الشيطان وتسويله ، وذلك أن يتقيهم إذا خوفه أولياء الشيطان خوفاً لا حقيقة له ، ظن أنه يجوز له بذلك إظهار الموافقة للمشركين والانقياد لهم ، آخر منهم إذا زين له الشيطان طمعاً دنيوياً ، يخيل أنه يجوز موافقة المشركين لأجل ذلك ، وشُبه على الجهَّال أنه مكره " (ابن تيمية وابن عبد الوهاب ، ب. ت ، ٢٨٣) . وهذا ما أكده محمد قطب بقوله : " ولأن هذا الباب ــ باب التقاة ــ يمكن أن ينفذ منه الشيطان بسهولة ، يزين للضعفاء ومرضى القلوب أن يركنوا إلى أعداء الله ، قال بعدها مباشرة ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (آل عمران:٢٨) . يحذركم في الدنيا أن تتخذوا هذا الباب تكأةً وتستسهلوا هذه الكبيرة ، وهي ــ موالاة أعداء الله ــ وينذركم أن إليه المصير ، فيجازيكم على ما فعلتم في الدنيا ، فلا تحسبوا أن ترتكبوا هذه الكبيرة في الأرض مخادعين أنفسكم أو مخادعين الناس ، ثم تنجوا من عذاب الله في الآخرة " (قطب ، *ب. ت ، ٣٢٦) .

جـــ - شروط التقية والإكراه

بيَّن الباحث مفهوم التقية وحدودها وضوابطها من خلال أقوال العلماء من كتب التفسير والعقيدة ، أما شروطها ، فقد بيّن ابن حجر العسقلاني **أن شروط التقية أو الإكراه أربعة وهي:**

١ - أن يكون فاعله قادراً على إيقاع ما يهدد به ، والمأمور عاجزاً عن الدفع ولو بالفرار .

٢ - أن يغلب على ظنه أنه إذا امتنع أوقع به ذلك .

٣ - أن يكون ما هدد به فورياً ، فلو قال : إن لم تفعل كذا ضربتك غداً ، لا يعد مكرهاً ، ويستثنى ما إذا ذكر زمناً قريباً جداً ، أو جرت العادة بأنه لا يخلف .

٤ - أن لا يظهر من المأمور ما يدل على اختياره .

ولا فرق بين الإكراه على القول والفعل عند الجمهور ويستثنى من الفعل ما هو محرم على التأبيد كقتل النفس بغير الحق (العسقلاني، ١٤٠٥هــ ، ج١٢،٢٦٢) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن خلال ما سبق من أقوال العلماء في باب التقية يتبين أن التقية لها حدود وضوابط وشروط ، فهي ليست مطلقة كما يظن من جهل معناها ، ويمكن توضيح هذه الشروط والضوابط في أمورٍ أربعة هي :

١ - أن التقية لا تكون إلا في اللسان ، ولا تكون في القلب بحالٍ من الأحوال ، وأنها إذا ارتبطت بالقلب فلا تسمى تقية إنما تدخل في الخيانة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وتصيب صاحبها بالنفاق وموالاة أعداء الله ، فلا نسمي من سب المسلمين أمام أعداء الله مثلاً وهو في قرارة نفسه يبغضهم ويحتقرهم تحت أي ذريعة كبرت أو صغرت بأنها تقية بل هذا ذروة النفاق والموالاة لأعداء الله ، لذا اتبع الله هذه الآية في آيةٍ تليها مباشرةً بقوله : ﴿ قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران:٢٩) .

٢ - التقية لا تكون بالإضرار بالمسلمين وإظهار الكفار عليهم ، فهي وإن رخصها الشارع ما جُعلت إلا من أجل المحافظة على نفس المسلم ، لعظم شأنه عند الله ، فكيف إذاً تستخدم لإيذاء المسلمين ،لذا مهما بلغت الشدة من قبل أعداء الله حتى لوأدت إلى التهديد بالقتل فلا يجوز بحال، أن تكون على حساب مسلم آخر ، " وذلك إذا كان الكفار غالبين ظاهرين ، أو كنتم في قومٍ كفار فيرخص لكم مداراتهم باللسان على ألا تنطوي قلوبكم على شيءٍ من مودتهم ، بل تدارونهم وأنتم لهم كارهون ، وألا تعملوا ما هو محرمٌ كشرب الخمر ، وإطلاعهم على عورات المسلمين والانحياز لهم في مجافاة بعض المسلمين فلا رخصة إلا في المداراة فباللسان " (مخلوف ، ١٤٠٧هـ ،٧٨).

فلا عذرَ إذن للذين خانوا الله ورسوله والمؤمنين واشتروا حياتهم بأرواح المسلمين ، وباعوا دينهم بدنياهم من الذين يتعاملون مع أعداء الله من العملاء والمنافقين حكاماً ومحكومين بل هم من المقبوحين ، أما المؤمن فيثبت ويضحي ويواجه المحن في سبيل دينه ودعوته ؛ " فهذا حبيب بن زيد الأنصاري لما قال له مسيلمة الكذاب : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم . قال : أتشهد أني رسول الله ؟ قال : لا أسمع ، فلم يزل يقطعه إرباً وهو ثابت على ذلك" (ابن كثير ، ب. ت ، ج٢، ٥٨٧) .

٣ - أن التقية لا تكون إلا في حال الظن الغالب بوجود خطر على حياة المسلم ، والتأكد من جدية هذا الخطر ، وأن من استطاع الفرار منه فالفرار أولى ، فلا يجوز بمجرد سماع تهديدٍ من هنا أو من هناك ، كما يحدث في زماننا من تهديد أعداء الله للمسلمين مما يجعل بعضهم يجافي مساجد الله ويجافي أولياءه المؤمنين خوفاً من أن يدرج في قائمة المشبوهين ، فكم من الناس هجر مساجد الله بل منعوا أبناءهم ارتيادها تحت ذريعة الخوف غير المبرر .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- أن يكون التهديد فورياً ، كأن يقع الإنسان أسيراً بأيدي الكفار والمشركين والمجرمين مثلاً فيداري وينفي حبه للمسلمين ، "وقلبه مطمئنٌ بحبه لهم " إن ظن أن في هذا نجاته منهم ، فهذا لا بأس عليه . فقد جاء في تفسير المنار " وأما المداراة فيما لا يهدم حقاً ولا يبني باطلاً فهي كياسة مستحبة ، تقتضيها أدب المجالسة ما لم تنته إلى حد النفاق ، وتجر إليها الدهان والاختلاق ، وتكون مؤكدة في خطاب السفهاء تصوناً من سفههم ، واتقاءً لفحشهم " (عبده ، ب. ت ، ٢٨١/٣) .

سابعاً : عوامل ضعف عقيدة الولاء والبراء عند المسلمين في القرون المتأخرة

وضّح الباحث في الصفحات السابقة الولاء والبراء من حيث المفهوم والمعنى ، والأدلة على وجوب موالاة المؤمنين والبراءة من المشركين بكل ألوانهم وأشكالهم ، وذلك من الكتاب والسنة ، كما بيّن العلاقة بين الولاء والبراء ، ومعتقد أهل السنة والجماعة فيه ، وتطرق لمفهوم التقية وحدودها وشروطها . وعلى الرغم من وضوح المفهوم وغزارة حضوره في الكتاب وفي السنة كما أشار الباحث إلا أن هناك ضعفاً عاماً لدى كثير من المسلمين اليوم في هذا المفهوم ، هذا من جانب ؛ ومن جانبٍ آخر هناك انحرافٌ بيّنٌ في فهمه ، والأسباب التي أدت إلى هذا الانحراف وهذا الضعف كثيرة ومتنوعة ،بل متشابكة مترابطة يصعب فصلها ، أو حصرها ، منها ما هو خارجي نتيجة كيد أعداء الإسلام ، حيث أننا في الواقع : " لا نستطيع أن نتصور: كم استخدم من الوسائل الجهنمية لجعل المسلمين غير مسلمين في تركيا وروسيا . إذ أن في تركيا وحدها قد أُريقت فيها دماء الآلاف من المسلمين لا ذنب لهم إلا أنهم عارضوا استبدال القبعة بالطربوش " (المودودي ، ب. ت ، ٥٣) . ومنها ما هو داخلي يتعلق بتقصير من المسلمين أنفسهم فهم وإن كانت الهجمة عليهم شرسة ليسوا بريئين منه أو مبرئين، يقول ﷻ : ﴿ وَلَوْلا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (القصص:٤٧) .

ويمكن إجمال العوامل التي أدت إلى ضعف عقيدة الولاء والبراء عند المسلمين في القرون المتأخرة في العوامل التالية :

١- غياب الخلافة وتعطيل الحكم بما أنزل الله

لقد أدرك أعداء الإسلام حقيقة هذا الدين العظيم وسر قوته الكامنة في تطبيق شرع الله ﷻ ، كما أدركوا أن سر قوة المسلمين تكمن في استمرار الخلافة على الارض ، وأن هذه العزة وهذه القوة تندحر بتعطيل حكم الله في الارض ، وذلك انطلاقاً من قوله ﷺ : " لَيُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عُرْوَةً عُرْوَةً فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ " (مسند أحمد ، مسند الكوفيين ، ح٢١١٣٩) .

ومن هنا أخذ أعداء الإسلام بالكيد والتخطيط ليل نهار من أجل إقصاء شرع الله عن الحكم ، وإبداله بقوانين وضعية ، فيكون لهم بذلك ما أرادوا من زعزعة عقيدة الولاء والبراء من صدور المسلمين . " لذا أخذوا يعملون على تحطيم ذلك الجدار وتذويب ذلك الحاجز – عقيدة الولاء والبراء – عن طريق صنائعهم وعملائهم في البلاد الإسلامية ممن بأيديهم مقاليد الأمور من الحكام وغيرهم " (الزهراني ، ١٤١٥هـ ، ١٤٣) .

وقد كان لتواطؤ بعض حكام العرب والمسلمين كبير الأثر في تعطيل الحكم بما أنزل الله ناسين أو متناسين قول الله ﷻ وتحذيره لمن تجرأ على هذه الجريمة النكراء: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (المائدة: الآية٤٤) وقوله ﷻ: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (المائدة: الآية٤٥) وقوله ﷻ :﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (المائدة: من الآية٤٧) . من هنا كان " مجمل آراء جمهور العلماء في قول الحق في الآيات السابقة : أن الحاكم أو القاضي أو المجتمع أو الفرد الذي يحكم بغير ما أنزل الله جاحداً أو منكراً أو معتقداً أن قوانين البشر أفضل وأولى بالاتباع من قانون الله فهذا هو الكافر . أما من أهمل الحكم بما أنزل الله تردداً أو خوفاً ، أو تراخياً أو تكاسلاً ، ولكن مع الاعتقاد فيها وفي أحقية تنفيذها، فهؤلاء عصاة أو ظالمون أو فاسقون ولكنهم ليسوا بكافرين " (مدكور ، ١٤٢٢هـ ، ٢٤٠) .

فلم يتوان هؤلاء الحكام ولو للحظةٍ واحدة في تمييع هذا الأصل في نفوس المسلمين بكل الطرق وشتى الأساليب ، بكل استخفافٍ وازدراء ، وبكل عنادٍ وكبرياء ، دون النظر إلى مشاعر شعوبهم ، " فقد حدث هذا الانحراف الخطير عند فئةٍ ممن كانوا يتولون أمور المسلمين ويتربعون على مقاعد الحكم في ديارهم ، فقد ولى هؤلاء الحكام وجوههم شطر أعداء أمتهم ، وخرقوا هذا السياج المنيع الذي أقامته عقيدة الولاء والبراء متحدِّين بذلك شعوبهم المسلمة غير آبهين بمستنكرٍ أو ساخط ، وظلوا يعملون دائبين على تخطي هذا السياج وتحطيمه في نفوس شعوبهم واجتثاثه بالكلية " (الزهراني، ١٤١٥هـ ،١٤٦) . مستغلين اسم الدين واسم الخلافة – إلا من عصم ربك – لصيانة مصالحهم الخاصة وتحقيق مآربهم الذاتية فضيعوا البلاد والعباد بعد أن ضيعوا الولاء والبراء . وحتى لا يكون الطرح مجرد عاطفة كما يدعي البعض ، أو نسجاً من الخيال كما يصوره آخرون ، سنعرض بعض الصور والحقائق كما وردت في كتب التاريخ. ولكن قبل هذا وذاك يجب أن لا يغيب عنا أننا لسنا هنا بصدد تكفير المعين " فمسمى الموالاة يقع على شعبٍ متفاوتة ، منها ما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يوجب الردة كذهاب الإسلام بالكلية ، ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر والمحرمات " (آل الشيخ ، ١٣٩٨هـ ، ٤٣) .

والغاية من ذلك توضيح إلى أي مدى ساهمت به هذه الزعامات في ذبذبة ولاء المسلمين ، بكل وضوحٍ وموضوعية بعيداً عن التجريح ، مبتدئين بالدولة العثمانية ،على اعتبار أنها آخر مراحل الخلافة الإسلامية في الزمن الماضي . ومن هذه الصور :

١- ما أورده (البحراوي) في كتابه – حركة الإصلاح العثماني – بقوله : " فهذا السلطان العثماني محمود الثاني (المتوفى سنة ١٨٣٩م) .والذي قام بحركة نسبت إلى الإصلاح واعتمدت على مسخ عقيدة الولاء والبراء ومحاولة طمسها في النفوس ، واستبدال الطابع الأوروبي بالإسلامي يقول: إنني أريد ــ ابتداء من الآن ــ أن لا يميز المسلمون إلا في المسجد ، والمسيحيون إلا في الكنيسة ، واليهود إلا في المعبد " (البحراوي ، ١٣٩٨هـ ، ٢١٤) .

ولم يقف الحال عند هذا الحد بل لقد قام هذا السلطان بما نهى عنه النبي ﷺ والصحابة الكرام من تعيين الكفار من اليهود والنصارى وأعداء الدين في أدق المناصب وأكثرها حساسية . " والأدهى من ذلك ما حدث من استعانة الدولة العثمانية بضباطٍ دانوا بالولاء لروسيا من قبل ، وظلت الدولة غافلةً عن هذه الحقيقة ، وبالتالي كان لروسيا عيون في جيش السلطان الجديد تزودها بأدق المعلومات والخطط " (البحراوي ، ١٣٩٨هـ ،٢٤٧) . هذا غيضٌ من فيض من دور الحكام في عهد الخلافة العثمانية والذي عكس مدى استهانتهم بالولاء والبراء ، بل العمل من جانبهم على تفتيته وتمزيقه في صدور المسلمين .

وفي تونس يشير أحمد بن أبي الضياف كاتب الديوان في دولة المشير أحمد باي "ملك تونس" إلى وجود وزير فرنسي في بلاطه هو "دافو" الوزير المعتمد من حكومة فرنسا ، وقد كان هذا الوزير كما أشار أبو الضياف مقرباً ومؤتمناً على الأسرار في حكومة الباي ، وكان له دورٌ كبير في رسم السياسة الداخلية والخارجية لتلك الدولة وتسخيرها لمصالح بلاده (أبو الضياف ، ١٤١٩هـ ، ج٦،١٤١) .

ويستطرد الضياف قائلاً : " ولعل أخطر دورٍ قام به ذلك الوزير الماكر هو إلحاحه المستمر على الباي وتشجيعه على تخفيض عدد الجيش التونسي ، وتسريح عدد كبير من جنوده ، حيث قال : " إن الدول بأوروبة لا يبقون تحت السلاح إلا القدر المحتاج إليه ولابد ، ويسرحون الزائد للمصروف ولراحة المسرحين مع غناهم الشديد " (أبو الضياف ، ١٤١٩هـ ، ج٦،١٥٢)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكما جاء في كتاب البلاد العربية والدولة العثمانية " فإنه بعد حوالي ربع قرنٍ تقريباً وفي عام ١٨٨١م قامت فرنسا باحتلال تونس ، حيث ساقت عليها من البر جيشاً مؤلفاً من ثلاثين ألف جندي ، ومن البحر أسطولاً قوياً يحمل ثمانية آلاف جندي ، وقامت بحركاتٍ سريعة ، مكنتها من الاستيلاء على مدينة تونس بسهولة ، ومن حمل " الباي " على قبول الحماية الفرنسية بموجب الاتفاقية التي وقع عليها في " قصر باردو " في ١٨٨١/٥/١٢م " (الحصري ، ١٣٨٥هـ ، ١٥٩)

ولم يكن النصارى وحدهم هم الذين ركن إليهم " الباي " واتخذهم بطانة من دون المؤمنين ، فلقد كان لليهود في عهده دورٌ كبير ومكانةٌ بارزة ، وليس أدل على ذلك من أن النائب من دار المال وهو ما يضاهي وزير المالية في عصرنا كان كبير اليهود في عصره ، ويدعى نسيم بيش "(أبو الضياف ، ١٤١٩هـ ،ج٦،١٥٧) . فمن خلال هذه المواقف التي سبقت على سبيل المثال- لا الحصر- يبدو واضحاً وجلياً مدى موالاة هؤلاء الحكام لمن برئ الله منهم ورسولُه ، وكم كان لذلك من أثرٍ على الرعية من أبناء الإسلام ، فزعزع ولاءهم ، ونزع انتماءهم ، وشوّه براءهم ، وأثّر على ذراريهم .

أما الصورة الأخيرة في هذا الجانب فهي في مصر الكنانة ، فلم يكن حال " محمد علي " بأحسن من حال السلطان العثماني محمود الثاني أو الملك الباي ملك تونس ، فلقد عمد على تحطيم الولاء والبراء بالحديد والنار ، ليرضي أسياده من الكفار " اليهود والنصارى " فهذه مواقفه تدل على آثاره ، مثل " بيعه للغلال والحبوب إلى الإنجليز وغيرهم من الإفرنج حتى شحت الغلال وغلت الأسعار ، وخلت منها الأسواق ، بل أمر بمداهمة البيوت والدور لكبس الأقوات المدخرة بدون ثمن لسوقها إلى الكفار والإنجليز الذين كانت تجوب أساطيلهم البحار لضرب المسلمين والتربص ببلادهم والاستعداد للاستيلاء عليها" (الجبرتي ،ب.ت ، ج٣،٣٦٣). متجاهلاً قول رسول الله ﷺ : " اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ " (مسلم ، كتاب الإمارة ، ، ج٣،١٤٥٨ ، ح ١٨٢٨) .

٢- " وإن كان بكوات مصر قد ركنوا إلى بعض النصارى واتخذوهم بطانةً من دون المؤمنين ، فإن محمد علي اعتاد أن يكون أغلب المحيطين به من النصارى واليهود " (بيومي ، ١٤١١هـ ، ١٥٩) .

٣- " أما إدارة الجمارك وهي من الوظائف المهمة ، فقد كان يرأسها رجلٌ نصراني له أعوان وجند كما يقول الجبرتي : "يحجزون أمتعة الناس ، ويقبضون على المسلمين ، ويسجنونهم ، ويضربونهم حتى يدفعوا ما عليهم ، ومن العجب على حد قوله: أن بضائع المسلمين يؤخذ عُشرها ، وبضائع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإفرنج والنصارى ومن ينتسب إليهم يؤخذ عليها في المائة اثنان ونصف " (الجبرتي ، ب. ت ، ج٣،٣٧١) .

لقد حقق الاستعمار الأوروبي هدفه في الاستفادة من المنشآت والإصلاحات المادية التي قام بها " محمد علي " . أما شعب مصر المسلم فقد سيطر عليه اليأس ودفع ثمناً باهظاً يفوق حجم كل إصلاح ، وهو تحطيم هويته الحضارية التي صقلها الإسلام والتي ميزت دوره خلال العصور الإسلامية ، ولم يكتف بذلك بل فتح باب الدعوة إلى الوطنية والقومية ومارس سياسة التضييق على دعاة الفكر الإسلامي من العلماء والمشايخ ، فكان هذا الاتجاه مسايراً لمساعيه الرامية إلى الاستقلال بمصر وبالتالي إبعادها عن الارتباط بدولة الخلافة الإسلامية " (الصلابي ، ١٤٢٠هـ ، ٥٥٦) .

وليس غريباً أن تحتوي الدول الغربية (محمد على) وتقوده في ركابها ، خصوصاً وأن فيه من الصفات ما ينشدها المستعمرون ، " فليس من المصادفة أن الذين اختيروا للأدوار الكبرى في حرب الإسلام كانوا متصفين بجنون العظمة وقسوة القلب من أمثال محمد علي وكمال أتاتورك وجمال عبد الناصر . ذلك أنهما صفتان لازمتان لهذا الدور العظيم " (قطب، ١٤٠٧هـ ، ٢٠٥)

أما الخديوي إسماعيل فيصف الدكتور (عبد الستار سعيد) مدة حكمه فيقول : " نستطيع القول أن المدة التي حكمها هذا الشاب السفيه (١٨٦٣-١٨٧٩م) كانت من أخطر المراحل في تدمير الشخصية الإسلامية وإذابتها وحل عروتها وهدم شريعة الإسلام جملةً ، هدماً غير مسبوق في تاريخها ، والتثبيت لشرائع الكفار " (سعيد ، ١٤٠٨هـ ، ٦٢) .

هذه بعض الصور من مئات توضح مدى إخلاص الحكام لأعداء الإسلام ، فأين هؤلاء الحكام من مقولة عمر رضي الله عنه إلى عامله أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : " أما بعد فإن أسعد الولاة من سعدت به رعيته ، وإن أشقى الولاة من شقيت به رعيته ، وإياك والتبسط فإن عمالك يقتدون بك ، وإنما مثلك مثل الدابة رأت مرعى مخضَّراً فأكلت كثيراً حتى سمنت ، فكان سمنها سبب هلاكها ، لأنها بذلك السمن تذبح وتؤكل " (البدري ، ١٤٠٠هـ ، ٤٤) .

٢ - غياب العلماء الربانيين وظهور علماء السلاطين :

إن هذه الخيانات ما كان لها أن تتمادى مع وجود العلماء الربانيين أمثال ابن تيمية والعز ابن عبد السلام الذي آثروا الآخرة على الدنيا " ولولا رجالٌ من طراز ابن تيمية ما كنا لنستشرف مبادىء السلف الحقة ، وما كنا لنعرف الحق إلا مشوباً برأي ضالٍ مبتدع ، أو ملبس بحيلةِ متحيلٍ يرى أن دين الحق تبعُ لهواه ، وأن ذوقه أو وجده هو مقياس الحق ، لا الحق والشرعة والمنهاج الذي جاء به مولانا محمدٌ صلوات الله عليه وسلامه " (المراغي ، ب. ت ، ١٤٥) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فتاريخ الأمة الإسلامية في القرون السابقة ما قبل سقوط الخلافة الإسلامية حافلٌ بأمثال هؤلاء العلماء الصادقين . " فهذا العالم الجليل سفيان الثوري أُدخل على أبي جعفر المنصور ، وسأله أن يرفع إليه حاجته ، فأجابه : اتق الله فقد ملأت الأرض ظلماً وجوراً ،فطأطأ المنصور رأسه ثم أعاد عليه السؤال ، فأجابه : إنما أُنزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار ، وأبناؤهم يموتون جوعاً ، فاتق الله وأوصل إليهم حقوقهم ، فطأطأ المنصور شاكراً ، ثم كرر عليه السؤال ، ولكن سفيان تركه وانصرف " (البدري ، ١٤٠٠هـ ، ٨٨).

أما في حال غياب هذا النوع من العلماء ، وظهور علماء السلاطين الذين اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً ، نتيجة الأَثَرة الغالبة وحب الدنيا وزخرفها وتفضيلها على الآخرة وديمومة نعيمها الذين باعوا آخرتهم بعرضٍ من الدنيا ، فكان وزر ضياع الأمة عليهم ،فلا عجب من تمكين أعداء الأمة من تحقيق أهدافها . " فعن حذيفة ﷺ قال : إياكم ومواقف الفتن ! قيل : ما مواقف الفتن يا أبا عبد الله ؟ قال : أبواب السلاطين ، يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول له ما ليس فيه . وعن ابن مسعود قال: إن على أبواب السلاطين فتناً كمبارك الإبل ، والذي نفسي بيده ! لا يصيبون من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينكم مثله – أو قال مثليه " (الكاندهلوي ، ١٤١٠هـ ، ج٤،٩٨)

٣ - الجهل الذي أحاط بالأمة الإسلامية :

إن الجهل إذا أصاب شخصاً أفقده ذاته وشخصيته ، وإذا استشرى في أمة أفقدها هويتها واستقلاليتها ، فقد كان " الانهيار الحضاري في الأمة الإسلامية وليد تخلّف عقليّ اجتاح أرجاءها بعد خيانات علمية وتربوية واجتماعية وسياسية شملتها من القمة إلى القاع ، وجعلت الإسلام فيها أثراً بعد عين " (الغزالي ،١٤٠٨هـ ،١٠٨) .

وقد تمثل هذا الجهل في أكثر من جانب ، ومن أهمها :

أ- جهل الأمة الإسلامية بواجباتها تجاه دينها وعقيدتها ، وعدم إدراكها لحقيقة الإسلام كمنهج حياة ودستور أمة مما أعمى القلوب وغشّى على الأبصار ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ (الزمر:٦٤) . وما كان لهذا الصدأ المركوم وهذه الغشاوة السوداء أن تتكون من تلقاء نفسها بل كان لها وبكل تأكيد مخططٌ ومدبرٌ من أعداء هذه الأمة ، وممن تربوا في أحضان حضارتهم الزائلة ، من الذين داروا في فلكهم من أبناء هذا الدين ، فكانوا أخطر على الأمة من الأعداء أنفسهم ، فأول ما عمدوا إليه إبعاد المسلمين عن مصدر عزتهم ومنبع وحدتهم القرآن الكريم ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنبياء:١٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب ـــ الجهل الناجم عن أمية القراءة والكتابة ، فالأمي الذي لا يعرف القراءة والكتابة محرومٌ من فهم آيات القرآن الكريم ، بعيدٌ عن فهم دينه وعقيدته ، عاجزٌ عن الاعتبار من حضارة أمته ، أسيرُ كل ما يلقى عليه من حوله ، لا يشارك إخوانه همومهم ولا آراءهم ، ولا يشاطرهم عواطفهم ، بل هو صيدٌ سهلٌ وسمين ،ليس له إلا أن يصدِّق كل يسمع من هنا أو من هناك ، ولا يرى إلا ما يراه غيره فإن وفقه الله بصحبةِ أهل الصلاح فاز ونجا ، وإلا كان مآله إلى الضياع . ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (غافر: الآية٢٩).

جـــ - جهل الأمة بحقيقة عدوهم ، وطبيعة تكوينه ، ومنطلق تفكيره ، رغم تحذير الله لهم من مغبة موالاتهم ، وعواقب مجاراتهم وتقليدهم في كثيرٍ من الآيات الكريمة الواضحة الجلية ﴿ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (آل عمران:١١٩) . فقد " غاب عن العرب الوعي الصحيح ، والإدراك السليم ، وذهبت عنهم كياسة الإيمان ، فلم يفطنوا إلى ما يراد بهم وبالإسلام ، فوثقوا ببلاهة غريبة ، في وعود الإنجليز التي كانت كالسراب حسبه العرب ماءً يروي ظمأهم ، كما قال كبيرهم " الشريف حسين " : إن وعود الإنجليز عندي كالذهب الأصفر ، فكلما جلوته ازداد لمعاناً ولكن حتى إذا جاءوه لم يجدوه شيئاً " (الصافوري ، ١٤١٠هـــ ، ١٦٦) .

٤ - ضعف التربية في البلاد الإسلامية :

لم يكن الجهل وحده العامل الوحيد وراء ضعف مفهوم الولاء والبراء لدى كثيرٍ من المسلمين ، فالناظر لواقع المسلمين وحالهم لا يحتاج إلى كثيرِ جهدٍ ومشقةٍ وعناء لتشخيص عاملٍ واضحٍ للعيان ، إنها التربية .. بكل ما تحمل هذه الكلمة من معانٍ ، وبكل ما ينطوي عليها من تداعيات . ذلك " إن هدف التربية الأول هو أن نضع لهذا الإنسان كياناً مستقلاً ، له شخصيته المستقلة ، قد تسلح بما يؤمن به مجتمعه من مثل وقيم وعادات وتقاليد يعمل على خيره لنفسه وخير مجتمعه وعلى تقويم ذاته ، يحاسب نفسه على أقواله وأفعاله قبل أن يحاسبه الله ، ويتطلع إلى مستقبلٍ مشرق يكون هو نفسه أحد صانعيه ، يعتز بحريته وكرامته ، يُقدم على عمل الخير بوازعٍ من ذاته وبوحيٍ من ضميره ، هدفه المصلحة العامة بعيداً عن الأنانية والمصلحة الشخصية " (عدس ، ١٤١٦هـــ ، ٥٠) .

مما سبق يتبين أن هدف التربية هو صقل الشخصية صقلاً متكاملاً ومتوازناً بحيث يعود نفعه على نفسه وعلى أفراد مجتمعه ،وفق فلسفة المجتمع وقيمه ومبادئه بعيداً عن حب الذات . ونحن المسلمين لنا مبادؤنا ، كما لنا قبل هذا وذاك قيمنا المنبثقة من عقيدتنا ، إلا أن التربية في مجتمعنا الإسلامي المعاصر ليست وفق هذه الرؤيا بل إنها وفق فلسفات ومدنيات الآخرين ممن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جلبوا لنا الضنك والدمار ، فما تربى أبناؤنا على الحب والعطاء ؛ وما غرسنا فيهم التضحية والفداء " إلا من رحم ربي " كما تربى سلفنا الصالح وصحابتنا الكرام كما أشار الشعبي في تعداد محامدهم بقوله " ما رأيت أحداً أعظم حلماً ، ولا أكثر علماً ، ولا أكفّ على الدماء من أصحاب عبد الله بن مسعود إلا ما كان من أصحاب رسول الله ﷺ "(ابن سعد ، ١٤٠٥هـ ، ج١١،٦)

لقد تعاقبت أجيال المسلمين عبر السنين وهي تستضيء بنور هدايتهم ، وتنهل من معين بطولاتهم ، وتحذوا في بناء المجد حذوهم ، وتنهج في التربية نهجهم ، حتى غيِّب الإسلام عن القيادة ، وزالت من الأرض معالم الخلافة ، وتمكن الأعداء من تحقيق أهدافهم ، فحولوا العالم الإسلامي إلى دولٍ متناحرة ، وأممٍ متنافرة ، فضعف الولاء الذي وحدهم وذاب البراء الذي جردهم ، فتقاذفتهم الأهواء وفرقتهم المطامع ، وانساقوا وراء الأهواء والشهوات والمصالح ، متخبطين في أوحال التحلل والانحطاط ، سائرين بلا هدفٍ وغاية ، فكثر الخبث والدخن ، وغابت التربية عن الأنظار ، حتى أصبح الحليم فينا حيران .

لقد كان لضعف التربية في بلاد المسلمين كبير الأثر في تمييع ولائهم وبرائهم ، جاء هذا الضعف متمثلاً في المناهج التي ما بنيت وفق فلسفة هذا الدين العظيم وقيمه العظيمة ، كما جاء هذا الضعف متمثلاً في مؤسسات التربية والتي أجملها شهلا في خمس مؤسسات عبّر عنها بقوله : " هنالك مؤسسات رئيسية خمس تتولى أمر الحضارة ، محتفظة بماضيها وصائنة حاضرها ومؤمنة مستقبلها التقدمي ، وهذه المؤسسات هي ، البيت والمدرسة والدولة ومؤسسة العمل ومؤسسة الدين المساجد " (شهلا وآخرون ، ١٣٩٢هـ ، ٣٠٥) .

أما عن دور الأسرة " البيت " في تقوية وإضعاف الولاء لهذا الدين العظيم لدى الناشئة فيبدو واضحاً من الحديث الذي رواه أَبَو هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه عن النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : " مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهم عَنْهم ﴿ **فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** ﴾ الْآيَةَ " (مسلم ،كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، ٢٠٤٧/٤ ، ح٢٦٥٨) . (جمعاء) : سليمة الخلقة والأعضاء . (جدعاء) : الجدع قطع الأنف والأذن أو غيره من الأطراف. وقد ذهب أهل التربية إلى أن " الأسرة مسئولة من اللحظة الأولى لميلاد الطفل عن صبغه بالصبغة الدينية ، وحمله على الانتماء الديني إلى أقصى حدٍ ممكن "(أسعد ، ب.ت ، ١٨٥) .

مما سبق يتضح أن الأسرة بمسئولَيْها الأساسيين وهما الأبوين لهما الدور الأعظم في غرس هذا المفهوم العقدي وتقويته وتعزيزه ومن هنا فقد حث النبي ﷺ على هذه المسئولية العظيمة بقوله

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

: " أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ (مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل، ١٤٥٩/٣ ،ح ١٨٢٩) .

بيْد أنّ هذا الدور العظيم لا يقوم به إلا عدد ضئيل من المسلمين ، والأسباب في ذلك كثيرة ومتنوعة منها ما يعود إلى جهل الأسرة بطريقة التربية، أو قد يكون بسبب انشغال الأبوين في أعمالهما ، أو لمشاكل الحياة ، أو ربما لجهل الأبوين أنفسهما ، أو فساد الأسرة نفسها وعدم اهتمامها بأمور دينها أو التفكك الأسرى والله أعلم .

أما التربية في المدارس فهي ليست بأحسن حال منها في البيوت ، فما يبنيه المعلمون الأفاضل من قيم ومبادىء ، تهدمه الشوارع والملاعب ، ونحن هنا نثني على جهود المعلمين المخلصين الذين يبنون القيم ؛ وإن كانت هذه القيم في المناهج لا تتناسب مع حجم الفساد المستشري في كل مكان . ويرى الباحث أن الخلل التربوي في المدارس له عدة جوانب ،منها ما يتعلق بالمناهج ذاتها من حيث مضمونها وحجمها وكثافتها ، ومنها ما يتعلق بالنواحي الإدارية ، ومنها ضعف الاتصال والتواصل بين المدرسة والمجتمع ، فهو يكاد يكون معدوماً ، وإن وجد في بعض المناطق فهو لا يرتقي إلى الحد الأدنى لمتابعة أبنائنا " وقد تنعدم الصلة بين المدرسة والمجتمع المحلي لتصبح معتمدة على العلاقات الشخصية وهي علاقة محدودة وأثرها كذلك محدود ، وقد تقف العلاقة جامدة بين المدرسة والمجتمع يستوي بذلك أولياء الأمور مع الهيئة التدريسية لعدم استجابة هؤلاء إليها أو بسبب التردد في أخذ زمام المبادرة من قبل أحد الطرفين أو كليهما معاً " (عدس ، ١٤١٦هـ ، ٤٩) .

أما المؤسسة الرابعة فهي الدولة ، والتي لها ارتباط مباشر بالزعماء والقادة وأصحاب القرارات المسئولة . أما في أماكن العمل ، حيث الاختلاط والفتن ، والرشاوى والمحن ، ورب سائلٍ يقول ما للتربية وأماكن العمل ؟ نقول إن التربية كلها في أماكن العمل ، فهي الجانب التطبيقي لما تم تعليمه في البيوت وفي المدارس ، ففيها يظهر الإخلاص ،كما يظهر الغش والنفاق ، وفيها تظهر الرحمة ، كما تظهر الجفوة والقسوة ، وما دام الولاء مبنياً على الحب وعلى التراحم ، وعلى تيسير أمور الناس وتسهيل مصالحهم ، فتعطيل مصالح الناس ، والغش والفساد الإداري والاجتماعي والثقافي في مؤسسات العمل ، وعدم الرفق بالناس وعدم وضع الرجل المناسب في المكان المناسب ، وغيره من الأمور الحياتية اليومية التي تتنافى مع مفهوم الولاء القائم على التراحم والرفق وتسهيل مصالح المسلمين ، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب ، فضعف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التربية في مؤسسات الدولة الخاصة منها والعامة ، الرسمية منها وغير الرسمية مآله إلى إضعاف التماسك والترابط والتراحم والتناصر بين المسلمين والذي يعكس وبشكلٍ مباشر مدى ضعف ولائهم لهذا الدين .

أما عن دور المسجد في التربية فلا شك في أن رسالة المسجد رسالةٌ عظيمة ، حيث " تتركز في الدرجة الأولى على التربية الروحية ، لما لصلاة الجماعة وقراءة القرآن من فيوضات ربانية ورحماتٍ إلهية لا تنتهي ولا تنقطع " (علوان ،١٣٩٨هـ ،١٠١٨/١) .

بيْد أنّ رسالة المسجد لا تتوقف عند هذا الحد بل لابد وأن تمتد لتشمل صقل شخصية المسلم صقلاً سليماً وفق المنهج الرباني والعقيدة الغراء " فهو مركز الهداية ، وإشعاعٌ وإصلاحٌ ، جامعاً للعبادة ، ومدرسةً للثقافة ، ومعهداً للتربية ، وندوة للتعارف ، وبرلماناً للتشاور " (القرضاوي ، ١٣٩٤هـ ، ٥٢) .

وحتى تكتمل التربية ، لا بد من تكامل الأدوار بين البيت والمدرسة والمسجد وأماكن العمل ، وسياسة الدولة ، فإذا وجد التعاون والتواصل بين هذه المؤسسات ، بعيداً عن التناقضات التي تحدث الآن في ديار المسلمين ، حصلنا على فردٍ مسلم ، لا تهزمه الشهوات ولا تسقطه النزوات ، فالوالدان في البيت مسئولان عن تربية الولد الجسمية والخلقية والمسجد مسئول عن تربيته روحياً وفي المدرسة يتكون عقيدياً وعلمياً وثقافياً ، وفي أماكن العمل يتكون إدارياً واقتصادياً ، دون أن نستثني أحدهم في المجالات كلها العقائدية والأخلاقية والروحية والعقلية والثقافية والجسدية والاجتماعية وغيرها من المجالات الأخرى .

٥ - غلبة الأَثَرة وحب الدنيا والعناية بالمصالح الشخصية :

والأَثَرة : " استئثار صاحب الشيء به عليك ، وحَوْزه لنفسه دونك " (ابن القيم ، ١٤٠٣هـ ، ج٢،٣٠٩) . ويوضح ابن القيم حقيقة الشح بقوله : " والشحيح : حريص على ما ليس بيده . فإذا حصل بيده شيء شح عليه وبخل بإخراجه ، فالبخل ثمرة الشح ، والشح يأمر بالبخل " (ابن القيم ، ١٤٠٢هـ ، ٤٠٥) . وذلك لأن حب الذات يعمل على تفتيت أسس المجتمع ودعائمه " فالأثرة يصحبها عناصر لئيمة : كإقفار النفس من الإيمان ، وضعف التقوى ، واللؤم والكبر والحسد والاستعلاء ووزن الأمور بموازين فاسدة وقياسها بمقاييس باطلة " (قرعوش ، ١٤٢هـ ، ١٩٥).

بل إن الأثرة آفة وخيمة لا تقتصر على اصطحابها لعناصر لئيمة بل وفي المقابل تتعدى لتقضي على كل خلق وفضيلة ، وذلك لأن " الأثرة الغالبة آفة الإنسان وغول فضائله ، إذا سيطرت نزعتها على امرىء محقت خيره ونمت شره ، وحصرته في نطاق ضيق خسيس لا يعرف فيه إلا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شخصه ، ولا يهتاج بالفرح أو الحزن إلا لما يمسه من خير أو شر . أما الدنيا العريضة والألوف المؤلفة من البشر فهو لا يعرفهم إلا في حدود ما يصل إليه عن طريقهم ليحقق آماله أو يثير مخاوفه " (الغزالي ، ب. ت ، ١٦٦) .

ومن هنا كان لهذه الأَثَرة التي تغلغلت في نفوس المسلمين الأثر الكبير في تغليب مصالح كل منهم عن غيره من المسلمين ففتحت لهم الدنيا فتنافسوها فمزقت بنيانهم وشتتت أفكارهم ، وهذا ما حذر منه النبي ﷺ حين قال : " مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ " (البخاري ، الزهد والرقائق ، ح٥٢٦١) . ومن هنا كان مدخل أعداء الله إلى هذه النفس ، بإثارة نزواتها وشهواتها ، مما يؤدي إلى هذه الأنانية الظالمة ، فضعف التراحم والتعاطف ، وضعفت صلة الرحم ، واعتدى القوي على أخيه المسلم الضعيف بعد أن كان يذود عنه ويواسيه ، فضعف الولاء وانحسرت مظاهره في أضيق الأمور ، وسيتناول الباحث هذا الموضوع عند حديثه عن الأبعاد الأخلاقية بحوله تعالى .

٦ - أثر تيار التغريب وفصل الدين عن الحياة الثقافية والاجتماعية :

لم تقف عوامل الضعف في الولاء والبراء لدى المسلمين اليوم على المسلمين أنفسهم؛ بل امتدت لتشمل الأيدي الخبيثة من أعدائهم الذين يتربصون بهم الدوائر ليل نهار ، وهذه المرة عن طريق ما يسمى بالتغريب . **والتغريب** هو " حمل المسلمين على قبول ثقافة الغرب وأفكاره ، وغرسها في نفوسهم ، ثم سلوك طريقة الغربيين في الحياة بجميع جوانبها حتى تصبح حياة المسلمين صورة من صور حياتهم " (هندي ، ١٤١٣هـ ، ٣٠) .

وقد يطلق على التغريب أسماء أخرى جميعها تحمل المعنى نفسه لتجميله في نفوس المسلمين مثل :المدنية والتقدم والتحضر والتحديث .

فهدف التغريب ، تذويب ثقافة المسلمين وحملهم على الانصهار في الثقافة الغربية القبيحة ، وقد كان رسولنا الكريم واضحاً وضوح الشمس في التحذير من هذا التغريب فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّه عَنْه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ ؟ ! " (البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، ح ٣١٩٧) .

ولم يتم تغريب العالم الإسلامي جملة واحدة ، فهو خطة طويلة الأمد تعتمد على النفس الطويل ، والتغيير الهادىء ، حتى لا يشعر المسلم به ، فيثور عليه . إنه عملية إسقاطٍ جماعي بتخطيط

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عميق وتنفيذ دقيق ، في ظل التخلف العلمي والتراجع العقدي ، وتغييب العلماء الربانيين خلف أسوار السجون ، فهو إذاً خطةٌ مدروسةٌ تم الإعداد لها سنينَ عديدة ، ابتدأها أعداؤنا في أدنى مظاهر الحياة كالمشرب والمأكل والملبس والمظهر ، مدعمين ذلك بفئةٍ عاشت في أحضان حضارتهم الزائلة ، من أبناء المسلمين ، من الأدباء والمفكرين والمثقفين ، منتشرين في أوساط مجتمعنا الإسلامي ، مستغلين لحظة فراغٍ روحي ، وتراجعٍ أخلاقي ، وضعفٍ تربوي ، وخللٍ عقدي ، وانهيارٍ اقتصادي ، وفسادٍ سياسي ، مستخدمين ألمع المصطلحات و أبرقها ، مزينين لبسطاء المسلمين وسذَّاجهم خبث مكرهم ، ولؤم تدبيرهم . حيث " يوجد في أمريكا الآن حسب آخر إحصائية حوالي سبعة و ثمانين ألفاً من أبناء المسلمين يدرسون قضايا مختلفة . ومن المؤسف أن معظم هذه القضايا التي تدرس هي قضايا للعالم العربي ، فعندما يسأل دارس الإنسانيات أو الاجتماعيات ماذا تدرس ؟ يقول : أدرس قبيلة بني غامد أو زهران و اللغوي ماذا تدرس ؟ يقول : أدرس اللهجة الفلانية من لهجات أفريقيا و آسيا .... الهدف كله هو أن الطالب المسلم يقدم هو أو بلده من ٦٠ إلى ٧٠ إلى ١٠٠ ألف دولار من أجل أن يتخرج في الدراسات الإنسانية و الاجتماعية و ربما يصل إلى ٢٠٠ ألف من الأقسام العلمية ، يتعرض فيها الطالب إلى خسارة شخصيته الثقافية و إلى اهتزاز انتمائه الإسلامي و العقائدي ، ثم يقدم بحثاً يخدم هذه الحضارة " (العلواني ، ١٤٠٩هـ ، ٥٠) .

لقد كان لنجاح التغريب في ديار المسلمين عوامل عديدة منها ما أكدنا عليه آنفاً : تخلف الأمة الإسلامية عن باقي الأمم في جميع المجالات وشتى الميادين ، وجهل أبناءها بحقيقة الإسلام وعظمته ، وكذا جهل الأمة بحقيقة أعداء البشرية والإنسانية التي طالما حذر القرآن الكريم والسنة النبوية منها ، ومن العوامل أيضاً ما قدَّمه زعماء المسلمين لليهود والنصارى من خدماتٍ جليلة وتسهيلاتٍ عظيمة بتولية أبنائهم أدق المناصب وأخطرها ،حتى مكنوهم من الإسلام وأهله ، ومن العوامل كذلك :وقوع غالبية بلاد المسلمين تحت الاحتلال الغربي ، كل هذه العوامل وعوامل أخرى وفي ظل ندرة العلماء الربانيين والدعاة المخلصين ، كل ذلك ساعد على تغريب الكثير من المسلمين ، وتغيير نمط حياتهم الاجتماعية ، وطرق تفكيرهم ، حتى وصل بنا الحال أننا حين نرى على شاشات التلفاز وفي نشرات الأخبار ومن خلال اللقاءات والمؤتمرات التي تجمع اليهود والنصارى وسفراء أو مندوبي الدول الإسلامية ،لا نستطيع التمييز بين المسلم والنصراني أو بين المسلم واليهودي لا في الشكل ولا في الكلام ، ولا حتى في صفحات الوجوه .

أما وسائله فهي كثيرة ، متداخلة أهمها وأخطرها ، طبقة المثقفين ثقافةً غربية ، والكتَّاب والأدباء الذين تربوا في أحضان حضارتهم الزائفة . " وهؤلاء المثقفون ثقافةً أوروبية يجهلون

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإسلام والشريعة الإسلامية إلى هذا الحد ، هم المسيطرون على الأمة الإسلامية ، ويوجهونها في مشارق الأرض ومغاربها ، وهم الذين يمثلون الإسلام والأمم الإسلامية في المجامع الدولية " (عودة ، ب .ت ، ٤٠) . ومن أبرز هؤلاء الكتَّاب والأدباء الدكتور " طه حسين " الذي دعا إلى اعتبار مصر جزءاً من الغرب ، وقال : نريد أن نتصل بأوروبا اتصالاً يزداد قوةً من يومٍ إلى يوم ، حتى نصبح جزءاً منها لفظاً ومعنى وحقيقةً وشكلاً " (حسين ، ١٣٥٨هـ ، ج١،٣٤) .

كما عملت وسائل الإعلام المتمثلة بالتلفاز والراديو، والكتاب والقصة ، والمجلة والجريدة ، والسينما وغيرها من الوسائل الحديثة كالانترنت على تغريب الأمة الإسلامية وسلخها عن دينها . أما أخطر النتائج لهذا الغزو الحاقد فكان متمثلاً في :

✪ **إحياء العصبيات الجاهلية** " العرقية والجغرافية والقبلية " والدعوات الهدامة مثل النزعات الجاهلية قبيل الإسلام : كالقومية والتي تعني الانتماء إلى عنصر أو جنس معين ، والتعصب له على اعتبار أنه أفضل العناصر والأجناس وصاحب السيادة عليها ، والتي تهدف من خلالها إلى :

أ- إضعاف أثر رابطة العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين وبالتالي تفريق وحدتهم ، ومن ثم انقسامها إلى دويلاتٍ متناحرة ، كما هو واقع حال الدول العربية اليوم .

ب- تحقيق سياسة النفوذ الأجنبي القائم على قاعدة " فرِّق تسد" تمهيداً للسيطرة على بلاد المسلمين

جـ جعل ولاء المسلم لوطنه قبل عقيدته ، وتقديمه الكافر إذا كان من بني جنسه على المسلم إذا كان من جنسٍ آخر ثم يسميه أجنبياً ويعامله معاملة الأجانب (هندي ، ١٤١٣هـ ،٣٢) .

وذلك من خلال إدراك أعداء الإسلام للدور الخطير التي تلعبه هذه النعرات في تفريق جمع المسلمين وإضعاف ولائهم ، فيسهل سلخهم عن دينهم ومن ثم يسهل السيطرة على مقدرات الأمة . " فالولاء لله والولاية بين المؤمنين ، يناقضان مناقضة تامة الولاء العرقي والقومي . والقومية داؤنا ووباؤنا المفرق للمسلمين على حيثيات النسب ، كما يفرقهم على حيثيات السياسة الفتنوية في حدود هذه الدويلات القومية " (ياسين ، ١٤١٠هـ ، ١٥٢) .

ولقد نجح أعداء الأمة والإنسانية في إثارة هذه النعرات وتفعيلها ، ولم يجدوا من يصدهم كما فعل النبي ﷺ مع شاس بن قيس . كما نجحوا في تقسيم البلاد الإسلامية إلى دويلات وأقطار متناحرة " والمهم في هذه التجزئة أن التفتيت للوطن العربي ، قد أصبح حقيقة سياسية . تغذيها مشاعر (الوطنية) المستوردة، التي لم يكن يعرفها المسلمون من قبل ، حيث لم يكن للإقليم وارد في ذهن المسلم ، إنما كان ولاؤه للإسلام ، ودفاعه عن(دار الإسلام) "(القرضاوي،ب. ت ، ١٥٨) .

٧- كيد الأعداء ومحاربة الإسلام بالتشويه والتجهيل والتشكيك :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أيقن أعداؤنا أن سر قوتنا كامنٌ في التفافنا حول عقيدتنا ، في تناصرنا وتحاببنا ، كما أدركوا أن منبع ذلك تمسكنا بكتاب الله ﷻ وبسنة نبيه ﷺ ، فخططوا بليلٍ ونهار جاهدين من أجل زعزعة ولائنا لهذا الدين من خلال :

أ- **سياسة التجهيل** بمقتضيات الولاء والبراء المفصلة في كتاب الله ﷻ . وهذه بعض آرائهم ومخططاتهم التي تظهر بكل وضوح وجلاء هذه السياسة التجهيلية . قال الحاكم الفرنسي في الجزائر في ذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر : " إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن ويتكلمون العربية فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم ، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم " (العالم ، ب. ت ، ٢٨) .

كما أظهر غلادستون (رئيس وزراء بريطانيا سابقاً) حقده وسياسته بقوله: "ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبة السيطرة على الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان " (أسد ، ١٣٩٤ ، ٤١) .

ب- **سياسة التشكيك** : وهي سياسة يعمد إليها أعداء الإسلام كثيراً من أجل دب الفرقة والخلاف بين المسلمين ، فيشتغل المسلمون فيها ويبتعدون عن الأخطر والأعظم كتنحية منهاج الله وشريعته عن السيادة والحكم . " وقد بيّن الله لنا ما كان من أهل الكتاب وتحيلهم على تشكيك المسلمين في دينهم كقول بعضهم لبعض بأن يؤمنوا أول النهار ويكفروا آخره لعل ضعفاء الإيمان يرغبون عن الإسلام اقتداءً بهم " (عبده ، ب.ت ، ج١، ٤٢٠) .

ومما يدلل على ذلك صراحة في عصرنا الحالي ما أشار إليه (الندوي ، ١٣٩هـ ، ١٨٢) بقوله : " لقد قام المستشرقون بعملية التحقيق في كل موضوعٍ من مواضيع الكتاب والسنة والسيرة النبوية ، والفقه والكلام ، كما تحدثوا عن الصحابة الكرام والتابعين والأئمة المجتهدين ، والمحدثين والفقهاء والمشائخ الصوفية ، ورواة الحديث ، وعن فن الجرح والتعديل ، وأسماء الرجال ، وحجية السنة ، وتدوينها ، ومصادر الفقه الإسلامي ، وتطوره في أسلوبٍ لا يخلو عن التشكيك وإثارة الشبهات ، ويكفي لزعزعة العقيدة والترغيب عن الإسلام لرجلٍ ذكي ليس له نظرٌ عميق في هذا الموضوع ".

جـ- **سياسة التشويه** : ومن أكثر الوسائل دناءةً واستخداماً من قبل أعداء الإسلام من أجل أن يعملوا حاجزاً يمنع المسلم من الاتصال والتواصل مع ربه ودينه وإخوانه هي وسيلة التشويه ، " فحملات التشويه الموجهة ضد الإسلام تشمل : محاولة تشويه القرآن الكريم ، محاولة تشويه السنة النبوية ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

محاولة تشويه شخص النبي ﷺ ، محاولة تشويه التاريخ الاسلامي ، محاولة تشويه الحياة الإسلامية ، محاولة تشويه التراث الاسلامي " (يوسف ، ١٤١٨هـ ، ١٤١) .

بيد أن أقوى هذه الحملات كانت موجهة ضد القرآن الكريم كما أشار أحد قادتهم ، يقول المبشر تكلي : " يجب أن نستخدم القرآن ، وهو أمضى سلاح في الإسلام ، ضد الإسلام نفسه ، حتى نقضي عليه تماماً ، يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديداً ، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً " (فروخ والخالدي ، ١٣٨٣هـ ، ٤٠) .

وعلى الرغم من تحقيقهم بعض مآربهم في فترةٍ من الفترات لجهل العباد وندرة الربانيين من العلماء ، وظهور المفسدين من الأدباء والكتَّاب ، إلا أصحاب القلوب اليقظة من المسلمين المخلصين ، فإنهم وبأمر الله محفوظون ، ولأعداء الأمة قاهرون، فكم من المليارات من الدولارات أُنفقت ، وكم من الأرواح البريئة الطاهرة أُزهقت من قبلهم لصد الناس عن الإسلام وإضعاف ولائهم للرحمن ونزع برائهم من الشيطان ، ولكن مآلها إلى الندامة والخسران ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (لأنفال:٣٦) . " من أجل ذلك ترصد أمريكا سنوياً أعظم وأضخم ميزانية في العالم لمواجهة الإسلام ومكافحته في بلاد المسلمين خاصة في أفريقيا ، وغالبية هذه الميزانية الضخمة تصرف على الجامعات والمدارس التبشيرية ، كجامعة بيروت وكلية بغداد ، وجامعة السند وغيرها من الجامعات الأمريكية المنشورة هنا وهناك " (الصواف ، ١٣٩٩هـ ، ٢١٣) .

٨ - التبشير ووسائله الخبيثة في إضعاف عقيدة الولاء والبراء :-

التبشير " هو التنصير الرامي إلى زعزعة العقيدة الإسلامية في قلوب ونفوس المسلمين وتشكيكهم فيها ، وبالتالي إخراجهم من الإسلام ، ويعلق أحد الباحثين على تسميته بهذا الاسم قائلاً : الصواب أن يسمى التنصير – كما هو واضحٌ من تعريفه – لان التبشير مطلقاً يكون في الخير " (الرقب ، ١٤٢٢هـ ، ٣٣) .

يبدو جلياً من التعريف أن الهدف الأساسي للتبشير هو زعزعة الولاء والبراء عند المسلمين بل تنصيرهم وجعلهم نصارى من أجل السيطرة على العالم الإسلامي من قبل الاستعمار ، بل وصلت السفاهة بزعيمهم " القس زويمر " أن يعلن وبكل تبجحٍ في مؤتمر المبشرين الذي عقد في القدس عام١٣٦٥هـ عن غايته من التبشير قائلاً : " مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي في إدخال المسلمين في المسيحية ، فإن في هذا هدايةً لهم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتكريماً ، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بـالله " (العـالم ، ١٣٩٤ هـ ، ٤٥) .

ليس هذا فحسب بل إنه يهدف إلى جعل المسلم يحارب إخوانه مجابهاً لهم ومنابذاً لدينهم بعد أن كان المسلم يضحي بماله ونفسه من أجل نصرة دينه وإخوانـه " إن للتبـشير بالنـسبة للحـضارة الغربية مزيتين : مزية هدمٍ ، ومزية بناء ، أما الهدم فنعني به انتزاع المسلم من دينه ولو بدفعه إلى الإلحاد ، وأما البناء فنعني به تنصير المسلم إن أمكن ليقف مع الحضارة الغربيـة ضـد قومـه " (العالم ، ١٣٩٤هـ ، ٤٦) .

فهم ليسوا مسالمين كما يدعي البعض من المسلمين الذين سـقطوا فـي مـستنقعاتهم ، ولا يقدّرون الإنسان لكونه إنساناً ، بل إنهم ألد الأعداء . وهذا ما أعلنه المبشر القس رايد بقوله : " إنني أحاول أن أنقل المسلم من محمد إلى المسيح ، ومع ذلك يظن المسلم أن لي في ذلك غاية خاصـة ، أنا لا أحب المسلم لذاته ، ولا لأنه أخ في الإنسانية ، ولولا أنني أريد ربحه على صفوف النـصارى لما كنت تعرضت له لأساعده " (فروخ والخالدي ، ١٣٨٣هـ ، ١٩٣) .

ولتحقيق هذه الأهداف فقد لجأوا إلى استخدام كل ما أوتوا من قوة ، ورصدوا المليارات من الدولارات ، وذللوا للذين أخذوا على عاتقهم القيام بهذه المهمة كل امكانات وسبل النجاح فمن وسائلهم : التعليم في المدارس والكليات والجامعات ، البعثات والإرساليات ، التطبيب والتمريض في المستشفيات والمستوصفات ،استخدام وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة، كالتلفاز والراديو والصحف والمجلات والنشرات والمطبوعات ، والأندية الرياضية ودور العجزة والمسنين.

ففي مجال التعليم أشار (الصواف ، ١٣٩٩هـ ، ٢١٣) إلى أن المستعمرين حينما: " انتبهوا إلي قوة الإسلام الهائلة ، أخذوا يتهامسون و يتشاورون حوله ، و كيفية مكافحته وحربه ، و أقاموا المؤتمرات ووضعوا المخططات و أخيرا أجمعوا أمرهم و اتفقوا على أن يولي المبشرون و المستشرقون و مستشارو حكومات المستعمرات عنايتهم بالمدارس و مناهجها التعليمية ".

وما يؤكد هذه الحقيقة ما صدر عن كثيرٍ منهم صراحةً وبدون ترددٍ أو تحفظ ، فمن أقوالهم : قول المبشر هنري حبيب : " إن التعليم إنما هو واسطة إلى غاية فقط في الإرساليات المسيحية ، هذه الغاية قيادة الناس إلى المسيح ، وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً مسيحيين وشعوباً مسيحية "(فروخ والخالدي ، ١٣٨٣هـ ، ١٦٦) .

هذه هي غايتهم من تعليم أبناء المسلمين ، زعزعة ولاء المسلمين وإخراجهم من حظيرة الإسلام إلى الكفر والفسوق والعصيان ، فركزوا فيما غفل عنه المسلمون في التربية ، على النشء الصغير ، رغم تحذير نبينا محمدٍ ﷺ من مغبة التهاون فيها ؛ فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْه عن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : " مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهم عَنْهم ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ " (مسلم ، كتاب القدر ، ج٤،٢٠٤٧ ،ح٢٦٥٨) .

علموا خطورة هذه المرحلة العمرية ، فخططوا ليل نهار ، سراً وعلانية ، للقضاء على هذا الجيل ، في غياب انشغال أولياء الأمور في البيوت ، وفي الشوارع والمساجد ، فرصدوا الميزانيات ، وأقاموا المؤتمرات ، وأسسوا رياض الأطفال والأندية والمنتزهات . يقول المبشر جون لوط : " إن الأثر المفسد في الإسلام يبدأ باكراً جداً ، من أجل ذلك ، يجب أن نحمل الأطفال الصغار إلى المسيح قبل بلوغهم سن الرشد ، وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية " (فروخ والخالدي ، ١٣٨٣هـ ، ٦٨) .

ولم يغفلوا عن علمنة التعليم ، حيث وضعوا جلَّ مكرهم وحقدهم في مناهج المسلمين التعليمية ، حتى تكتمل دائرة التخطيط لتمييع ولاء المسلمين وتذويب برائهم ، يقول المبشر تكلي : " يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي لأن كثيراً من المسلمين زعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية وتعلموا اللغات الأجنبية"(العالم ، ١٣٩٤هـ ، ٤٧).

فنجحوا وبشكلٍ كبير في ما خططوا له ، حتى تخرج من مدارسهم مجموعةٌ من المثقفين ثقافةً غربية ، يجهلون الإسلام والشريعة الإسلامية ، حتى أصبحوا في فترةٍ من الفترات التي غُيِّب فيها الربانيون من العلماء ، أصبح هؤلاء هم المسيطرون على الأمة الإسلامية ، ويوجهونها في مشارق الأرض ومغاربها . " وقد أفلح المبشرون إلى حدٍ كبير إذ تخرج من مدارسهم كثيرٌ من حكام المسلمين وكتَّابهم ، فهؤلاء نهجوا نهج أساتذتهم فسمموا أفكار المسلمين ووجهوهم نفس الاتجاه الذي يعمل له الاستعمار والمبشرون " (عودة ، ١٣٩٩هـ ، ١٣٧) .

حتى أضحى التناقض واضحاً بين فلسفة المجتمع المنبثقة من عقيدته ، وبين المناهج التي نعلمها لأبنائنا كيفاً وكماً ، فأين الولاء والبراء من مناهجنا في كل المراحل وفي جميع المواد ؟ أين مناهجنا من تعزيزه في نفوس أبنائنا ؟ ما لنا وخوفو وخفرع ؟ ما لنا والحضارة الآشورية ؟ أين سيرة المصطفى ﷺ ؟ ! أين الولاء في التاريخ ؟ حتى التاريخ الإسلامي ملطخٌ بأيدي المستشرقين ، لا يعرض منه إلا ما هو مسموم ، أما الصفحات الخالدة والمسطرة بالذهب فليس للمسلم أن يعرفها ، وقد يقول قائل ! ما شأن العلوم والرياضيات في الولاء ؟! فنقول في ظل غياب المفهوم وعدم فهمه معذورٌ هذا المتسائل المستهجن ، ولكن الباحث يجيب على ذلك بمقولة أحد الكتَّاب الأجانب وهو فليب فلينكس حيث يقول : " إن المهمة الدينية المركزية ، كامنة في كل تدريس ، بغض النظر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عن ميدان الدراسة ، وهو الهدف الذي لابد له أن يسيطر على تدريس الرياضيات والآداب والفنون الميكانيكية والكيمياء العضوية وغيرها " (عبود ، ١٤٠٠هـ ، ١٢٦) .

وحتى لا يفهم حديثنا خطئاً فنحن هنا لا نقلل من قيمة المواد العلمية أو نحط من قدرها ، ولكننا نعني أن نعزز ولاء أبنائنا من خلال جميع المواد ونربطهم بحضارة الإسلام الخالدة العظيمة ، وتاريخ المسلمين المشرق في جميع المجالات ، ففي كل مجال وفي كل ميدانٍ من ميادين العلم ومجالاته كان القسط الأكبر لعلمائنا المسلمين ، وما هذه المدنية الغربية المتقدمة التي نراها اليوم إلا ثمار جهود علماء المسلمين " لقد عمد المستعمرون على حجب نور حضارتنا عنا ، وحجبنا عنها ، فأحيوا لنا وفي أوساطنا الحضارة الآشورية والبابلية والفينيقية والفرعونية والهندية ، ثم جعلوا من تلاميذهم الذين تربوا في أحضانهم يكتبون فيها المقالات ويؤلفون لها المجلدات ويقيمون لذكراها الاحتفالات ، وكأنما أمتنا خوت من الرجال وانعدمت فيها البطولات ، وليس لنا من التاريخ إلا هؤلاء الأقدمون الذين يشيد بحضارتهم رجال الغرب ونحن تبعاً لهم أشدنا بهذه الحضارات البائدة " (الصواف ، ١٣٩٩هـ ، ١٣٧) .

ولم ينسوا دور المرأة ، حيث أدركوا أنها ذات أثرٍ عميق في التربية ، فأولوها اهتماماً عظيماً حيث فتحوا لهم العديد من المدارس ، ووضعوا جلَّ اهتمامهم على الأسر الكبيرة ذات النفوذ والتأثير ، تقول المبشرة " أنّا ميليغان " " في صفوف كلية البنات في القاهرة بنات آباؤهن باشاوات وبكوات ، وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي ، وليس ثمة طريق إلى حصن الإسلام أقصر مسافةً من هذه المدرسة " (فروخ والخالدي ، ١٣٨٣هـ ، ٨٦).

لقد غطَّ المسلمون في سباتٍ عميق عقوداً من الزمن ، في الوقت التي لم ينم فيها أعداؤهم لحظةً واحدة ، فنسوا دينهم ونسوا ربهم ، فأنساهم أنفسهم ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (الحشر:١٩) وتناسوا مهمتهم التي خلقوا لأجلها ، ملقين اللوم على الحكام والأعداء ، فوقفوا مكتوفي الأيدي أمام مخططات أعدائهم ، بل خذلوا علماءهم ، حتى نُحِّيّ الإسلام عن الحياة ، وأصبح يقتصر على الشعائر والعبادات . يقول جب : " لقد فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية ، وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئاً فشيئاً ، حتى انحصرت في طقوس محددة ، وقد تم معظم هذا التطور تدريجياً ،من غير وعيٍ وانتباه ، لكن نجاح هذا التطور يتوقف إلى حدٍ بعيد على القادة والزعماء في العالم الإسلامي ، وعلى الشباب منهم خاصة ، كل ذلك كان نتيجة النشاط التعليمي والثقافي العلماني " (حسين ، ١٣٨٨هـ ، ٢١٠/٢) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٩ - الاستشراق :-

الاستشراق " هو تعلم علوم الشرق الإسلامي ، وتطلق كلمة الاستشراق على الدراسات التي يقوم بها غير المسلمين ــ من اليهود والنصارى ونحوهم ــ للدين الإسلامي ، وعلوم المسلمين ، وتاريخهم ، ولغاتهم ، وأوضاعهم السياسية والثقافية والاجتماعية " (الرقب ،١٤٢٢هـــ ، ٤٣) .

وهو من الوسائل القوية التي ساهمت وبشكلٍ كبير في إضعاف الولاء والبراء لدى كثيرٍ من أبناء الإسلام ، يقول أحد المستشرقين : " إننا في كل بلدٍ إسلامي دخلناه نبشنا الأرض لنستخرج حضارات ما قبل الإسلام ، ولسنا نطمع بطبيعة الحال أن يرتد المسلم إلى عقائد ما قبل الإسلام ، ولكن يكفينا تذبذب ولائه بين الإسلام وبين تلك الحضارات " (قطب ، ١٤٠٧هـــ ، ٢٠٢) .

وأهداف الاستشراق وإن اختلفت في الصياغة عن التبشير وغيره من الوسائل الاستعمارية الأخرى ، إلا أنها جميعاً تصب في إناءٍ واحدٍ كما قلنا سابقاً ، وهو سلخ الناس عن دينهم ، وتمييع عقيدتهم . يقول الأستاذ (عبد الرحمن الميداني) : " وأخطر أهدافهم في الأمة الإسلامية تحويل المسلمين عن دينهم ، وتقطيع أوصال جماعتهم الإنسانية الكبرى ، وبثها إلى وحدات صغرى متقاطعة متنافرة متدابرة ، يقاتل بعضها بعضاً ، ويصارع بعضها بعضاً ، ويجافي بعضها بعضاً " (الميداني ، ١٣٩٥هـــ ، ٩٤) .

أما **وسائلهم** لتحقيق مآربهم فقد أجملها الدكتور صالح في البنود التالية :

١. تأليف الكتب والدراسات العربية والدينية فقد ألفوا في التاريخ الإسلامي وفي الشريعة والعقيدة والأدب العربي ، وقد بلغت أعداد الكتب التي ألفوها منذ القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين ما يقرب من ستين ألف كتاب ، أكثرها مشحونة بالأكاذيب والطعون في الإسلام ومملوءة بالشبهات والشكوك .
٢. إصدار الموسوعات والمعاجم بلغاتٍ مختلفة ،
٣. إلقاء المحاضرات وعقد الندوات في الجامعات والمعاهد والمؤسسات العلمية في العالم الإسلامي ، وهم في الغالب يستدعون عن طريق عملائهم ،وكذا التدريس في الجامعات الأوروبية والأمريكية وخاصة في أقسام الدراسات العربية والإسلامية التي أنشأوها في بلاد الغرب لاستقبال أبناء العالم الإسلامي ، لتخريج الغربيين العاملين في النشاط الدبلوماسي بالسفارات والقنصليات لبلدانهم ، والذين يلتحقون بمراكز البحوث والدراسات المهتمة بالشرق .
٤. إصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الإسلام والمسلمين ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥. جمع المخطوطات وفهرستها وتحقيقها ونشر الكثير منها ، وخاصة تلك التي تحمل الأفكار الضالة والعقائد المنحرفة ، وقد بلغت هذه المخطوطات عشرات الآلاف ، ومن وسائلهم الترجمة مثل ترجمتهم للقرآن الكريم ووضعهم في الهوامش ومقدمات الترجمة تصوراتهم الخاطئة للحقائق والمفاهيم الإسلامية .
٦. نشر المقالات والبحوث في الصحف والمجلات الإسلامية .
٧. عقد المؤتمرات الاستشراقية .
٨. التدريس في الجامعات والمدارس الأوروبية التي أقامتها الدول الأوروبية في بلاد المسلمين .
٩. تربية عدداً من أبناء المسلمين على أفكارهم المعادية للإسلام ومن ثم استخدامها معاول هدم للإسلام من الداخل . (الرقب ، ١٤٢٢هـ ، ٤٨) .

هذه هي وسائلهم ، أما منهجهم في هذا الإضلال وهذا التضليل فيصفه (السيد الندوي) أجمل وصفٍ فيقول : " لقد قام المستشرقون بعملية التحقيق في كل موضوعٍ من مواضيع الكتاب والسنة والسيرة النبوية ، والفقه الكلام ، كما تحدثوا عن الصحابة الكرام والتابعين والأئمة المجتهدين ، والمحدثين والفقهاء والمشائخ الصوفية ، ورواة الحديث ، وعن فن الجرح والتعديل ، وأسماء الرجال ، وحجية السنة ، وتدوينها ، ومصادر الفقه الإسلامي ، وتطوره في أسلوبٍ لا يخلو عن التشكيك وإثارة الشبهات ، ويكفي لزعزعة العقيدة والترغيب عن الإسلام لرجلٍ ذكي ليس له نظرٌ عميق في هذا الموضوع " (الندوي ، ١٣٩٧هـ ، ١٨٢) .

فعلى سبيل المثال يبين (البهي) إحدى طرق المستشرقين في تمييع مفهوم البراء من الكافرين قائلاً : " ويشرح المستشرقون مبدأ الإسلام في " عدم قبول المسلم لولاية الأجنبي " بفكرة عدم التعاون مع الشعوب الأخرى ، أو بفكرة النفرة من رياسة غير المسلم ، ولو كان ذا كفاية وأهلية للرياسة والتوجيه من المسلمين أنفسهم " (البهي ،١٣٩٣هـ ، ٥٨) .

هذا هو الاستشراق باختصارٍ شديد وهذه هي أهدافه بكل وضوح ، وهذه هي وسائله بسمومها ، وهذا هو منهجه بكل مكر وكل دهاء . أما **آثاره** فهي كما وصفها الدكتور علي جريشة والدكتور محمد الشريف بقولهما : " إن أخطر آثار الاستشراق ، هو اعتبار كتب المستشرقين وبحوثهم مراجع أساسية في التاريخ واللغة والسيرة والفقه والعقائد وغير ذلك ، وخاصة في الجامعات والمعاهد العالية أو في دراسات المبعوثين إلى الجامعات الغربية في أوروبا وأمريكا، الذين يقعون دائماً تحت سيطرة الاستشراق والأساتذة اليهود والنصارى المتعصبين ، ثم يعودون إلى بلادهم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيحتلون مناصب التوجيه الثقافي والتعليمي ويرفعون ما تلقوه من الغرب من سموم باسم التجديد وحرية البحث (جريشة والزيبق ،١٣٩٧هـ ، ٢٦).

١٠- الهزيمة النفسية أمام الحضارة الغربية :

والانهزام النفسي أخطر أنواع الانهزاميات لما له من أثر مباشر وفعال في جعل المرء يشعر بعجزه ، ويفقد شخصيته "، يقول (يوسف) : " إن الانهزامية النفسية واليأس داء عضال لا يتسلط على إنسان إلا أودى به ، ولا على أمة إلا ساقها إلى الفناء . وهو أشد على الأمة من الجيوش الجرارة ، ومن الأسلحة الفتاكة " (يوسف ، ١٤١٨هـ ، ٢٠٠) .

وهذا السلاح الخطير لم يغفل عنه أعداء الأمة الإسلامية بل قاموا بتفعيله وخصوصاً بين الفئة المثقفة والطبقات المؤهلة للحكم والنفوذ والتأثير في المجتمع الاسلامي وقد " أفلح الاستعمار في تكوين جيل ٍ يستحي من الانتساب للإسلام ، ويكره أن يُرى وهو يقوم بشيءٍ من شعائره خصوصاً بين المثقفين الكبار والطبقات التي تهيأ للحكم والنفوذ . ويستطرد قائلاً : الواحد من هؤلاء يحب أن يراه الناس خارجاً من حانة ، ولا يحب أن يرونه خارجاً من مسجد " (الغزالي ، ١٤١١هـ ، ١٤٤) .

فكان من نتائج هذه السياسة الماكرة والخبيثة فقدان الذاتية والاستقلالية الإسلامية التي اعتز بها الرعيل الأول ، وانحدار الاستعلاء الاسلامي الذي منحه إياهم ربهم بموالاتهم لدينه " وبروز ظاهرة اجتماعية من أخطر الظواهر هي التقليد الأعمى والتبعية المطلقة للغرب ، في كل ما يصدر عنه من ماديات ومعنويات حتى نادى بعضهم جهرة بأخذ الحضارة الغربية بخيرها وشرها وحلوها ومرها ، ما يحب منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب " (القرضاوي ، ب. ت ، ١٤٦) .

وهذه الهزيمة الداخلية هي التي دفعت العديد من المسلمين إلى المداهنة والمجاملة والمداراة على حساب الدين " وهذه نتيجة طبيعية للانهزام الداخلي في نفوسهم . حيث رأوا أن أعداء الله تفوقوا في القوة المادية فانبهروا بهم ، ولأمر ما رسخ في أذهان المخدوعين أن هؤلاء الأعداء هم رمز القوة – فأخذوا ينسلخون عن تعاليم دينهم مجاملة للكفار ، ولئلا يصفهم أولئك الكفار بأنهم متعصبون " (القحطاني ، ١٤٠٤هـ ، ٢٤١) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

الأبعاد الروحية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام

الأبعاد التربوية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام .

الأبعاد الإيمانية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام .

١. **إخلاص العبودية لله ﷻ .**

٢. **التوكل على الله ﷻ .**

٣. **تحقيق تقوى الله ﷻ**

٤. **تحقيق الإيمان .**

٥. **بلوغ كمال الإيمان .**

٦. **الهداية والاستقامة .**

٧. **إعانة المسلم على طاعة الله ﷻ وطاعة النبي ﷺ .**

٨. **تحقيق شرع الله ﷻ .**

٩. **بلوغ ولاية الله ومحبته ورضاه .**

١٠. **التثبيت على الحق .**

١١. **الخشية والرجاء والتضرع والدعاء .**

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الأبعاد التربوية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام

مما سبق تبيَّن أهمية الولاء والبراء في الإسلام ، كما تبيَّن مدى وضوحه في كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ وأثر هذه الرابطة الصلبة في تماسك المسلمين وتعاضدهم وتكاتفهم ، كما أكد من خلال الفصل السابق على الأسباب التي عملت على إضعاف هذه الرابطة ومحاولات تفتيتها من قبل شياطين الإنس والجن ، من أعداء عقيدتنا ومن أبناء جلدتنا ، فأوصلوا المجتمع البشري من خلالها إلى ظلمات الضنك والتفكك والانحلال الأخلاقي والفساد الاجتماعي ، فعم الدمار والخراب ، ليس فقط في بلاد الإسلام والمسلمين ، بل امتد ليشمل دول العالم جميعها ، من أقصاها إلى أدناها ، ومن برها إلى بحرها ، وقد يقول قائل : كيف ترى أن هناك خراباً ، ونحن لا نشهد إلا تقدماً وعمراناً في كل مجالات الحياة الأوربية و الأمريكية ؟ " والواقع أن النشاط الحضاري في هاتين القارتين قد ركز على الجانب المادي ، الذي يمنح الحياة متعاً أفضل من الطعام و الشراب و المأوي و الرعاية الطبية و الخدمات و سائر الطيبات ، حتى أصبح من هذه الناحية مثلاً أعلى لكل تخطيط للنهضة في أي وطن ، أما الجانب الأخلاقي فقد تخلف كثيراً ، لدرجة أن أحداً لم يتصور أن من الممكن تحقيق أدنى تقدم في سبيل إصلاحه ، و لاسيما بعد أن وكل أمر الحياة بكل أبعادها غلى حكم العقول الالكترونية ،فهي التي تأمر و تنهى و تعطى و تمنع لقد أصبحت الحياة أرقاماً و علاقات حسابية خلواً من قيمة إنسانية "(دراز،١٤٠٠هـ ، ك) .

وسيبرز الباحث في الفصول القادمة الأبعاد التربوية للولاء والبراء في جوانب عديدة تتفاعل جميعها في صقل الإنسان الصالح المنقذ لنفسه أولاً ، ولمجتمعه ثانياً ، وللبشرية ثالثاً، من براثن الجاهلية العمياء ، سواء أكانت من الناحية الإيمانية أم الأخلاقية أم العقلية والفكرية وكذا من الناحية الوجدانية النفسية بالإضافة للناحية الاجتماعية ، وذلك من جانبين ، الأول منها يتعلق بموالاة المؤمنين لدينهم ولربهم ولبعضهم وبراءتهم من الكفار والمشركين والمنافقين وهو يمثل الجانب الايجابي من الأبعاد ، أما الجانب الثاني فيتعلق بالجانب السلبي المتمثل في التخلي عن موالاة المؤمنين ، ليقف المسلم على حقيقة ولائه وبرائه وتداعيات هذا الولاء والبراء ، كما يقف أصحاب القرار المسئول في التربية من المخلصين من أبناء هذا الدين الذين لديهم المقدرة على تأصيل وغرس هذا المفهوم العقدي الهام في مناهجنا عند رسم السياسة التعليمية ، كما يقف الموجهون والدعاة المخلصون وقفة صدقٍ مع أنفسهم ومع أبناء دينهم من عوام الناس ومتعلميهم ومثقفيهم .

الأبعاد الروحية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأبعاد الروحية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام

يعيش العالم الإسلامي اليوم وسط تياراتٍ كثيرة ومتنوعة ، تحمل في ظاهرها البريق اللامع ، والشعارات الرنانة ، وفي باطنها ومضمونها الضلال والعذاب والضياع ، والمسلم بين هذه الشعارات وتلك الأفكار تائه حيران ، لا ينقذه من الوقوع في شَركها إلا الفهم الدقيق لدين الله ﷻ ، والإيمان العميق به، فالإيمان ضروري لكل مسلم ، ليواجه به هذه الموجات المتلاحقة من قوى الشر والطغيان ، وكذلك لكونه الأساس الذي يُبنى عليه كل ما يتعلق بصلاح الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة " فالإيمان هو أصل الحياة الكبير الذي ينبثق منه كل فرعٍ من فروع الخير ، وتتعلق به كل ثمرة من ثماره ، و إلا فهو فرعٌ مقطوع من شجرته ، صائر إلى ذبولٍ وجفاف ، و إلا فهي ثمرة شيطانية ، وليس لها امتداد أو دوام ! وهو المحور الذي تشتد إليه جميع الخيوط الدقيقة ، و إلا فهي مفلته لا تمسك بشيءٍ ، ذاهبة بدداً مع الأهواء والنزوات " (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج٦،٣٩٦٦) .

ولا يكفي أن يحدث الإيمان في قلب المؤمن ، بل لا بد من تفقده وتحسسه ، وتعاهده بشكلٍ دائم ومستمر، والعمل على تقويته وتعزيزه واستكماله " من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه ما نقص منه ، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينقص ، وكان عمر بن الخطابﷺ يقول لأصحابه : هلموا نزدد إيماناً " (الطحاوي ، ب. ت ، ٣٢٦) . وذلك لأن الإيمان كما هو معروف يزيد وينقص لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال:٢) . وجاء في الهدي النبوي الشريف ﷺ : "الإيمان بضعٌ وسبعون أو بضعٌ وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان " (صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ، ج١،٦٣ ، ح٣٥) .

وسيتناول الباحث في هذا الفصل ، الأبعاد الإيمانية لموالاة المؤمنين ، وفي المقابل الآثار السلبية لموالاة الكافرين .

لقد كان لولاء المسلمين من الرعيل الأول لدينهم آثاراً عظيمة في شتى المجالات ومختلف الميادين ، والتي كان من أعظمها شأناً وأجلّها قدراً تلك الآثار والأبعاد في الجانب الإيماني والتي من أهمها :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١ - إخلاص العبودية لله ﷻ

إن لإخلاص النية لله ﷻ منزلةً جليلةً في ديننا الحنيف ، بل في كل الرسالات السماوية التي جاء بها الرسل والأنبياء جميعهم عليهم الصلاة والسلام ، فهي أساس دين الله على الإطلاق ، قال الله ﷻ :﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (البينة:الآية٥) **والإخلاص** كما عرَّفه النووي " إفراد الحق ﷻ في الطاعة بالقصد ، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله دون شيءٍ آخر ، من تصنعٍ لمخلوق ، أو اكتساب محمدةٍ عند الناس ، أو محبة مدح ، أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله تعالى " (النووي ، ١٤١٢هـ ، ١٣) .

وإذا كان الولاء لدين الله ﷻ مبنياً في أساسه على الحب الصادق ، " فإن العلاقة بين الصدق والإخلاص علاقة وثيقة ، فقد يذكر الصدق ويراد به الإخلاص ، وذلك إذا كان متعلقاً بالنية والإرادة ، فيقال للمخلص صادق النية " (عارف ، ١٤١٩هـ ، ١٨٠) . وتبعاً لذلك فإن هناك علاقةً وثيقة بين الولاء والإخلاص ، وهذا ما يؤكده قوله ﷻ : ﴿ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ (الزمر:٣) .حيث أن " ولاء الإنسان لله ، ولاء تدفعه الفطرة التي فطر الناس عليها ، ولاء ينشأ عنه ، وينبع منه ، ويرتبط به ، ولاء المؤمنين بعضهم لبعض ، وتتبع منه روابط المؤمنين كلها في حياتهم الدنيا ، وينشأ عن هذا الولاء الأول ، الولاء الخالص لله أمورٌ أساسية منها : النية الخالصة لله مع كل عملٍ يقوم به المؤمن ، نية واعية ممتدة " (النحوي ، ١٤١١هـ ، ٢٧٩) .

بيد أن إخلاص العبودية لله لا يتنافى مع حب الذات ، وحب الأوطان ، وحب الآباء والأمهات ، "فإذا كان الإنسان مفطوراً على حب الذات والآباء والأبناء والأوطان والأموال ، فإن إخلاص العبودية لله لا تعني القضاء على هذه الفطرة ، وإنما المطلوب من المؤمن أن يكون حب كل شيء في الدنيا بعد حب الله ﷻ ، وحب الله ﷻ عنده فوق كل حب ، حتى يضحي بكل هذه القيم في سبيل الله إذا تعارض بينها وبين ما يقتضيه حبه لربه " (ياسين ، ١٤١٢هـ ، ١٤) .

وأهمية موالاة المسلم لدينه وللمسلمين تكمن في التناصح فيما بينهم والتشاور ، والتذكير والتعاون على البر والتقوى ، وعدم التعاون على الإثم والعدوان والإفساد مما يجعل المسلم في تحسسٍ دائمٍ لقلبه . " وهنا يرى المؤمن أهمية الروابط الإيمانية ، الروابط النقية من العصبيات الجاهلية المفسدة في حياة الناس ، يرى المؤمن أثر النصيحة من المؤمن وهو يوقظه إذا غفا ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويذكره إذا نسي ، ويعينه إذا ضعف ، حتى تظل نيته خالصة لله ، نقية من الشوائب " (النحـــوي ، ١٤١٢هــ ،١١٤) .

ليس هذا فحسب ، بل يتجسد عنه أيضاً تحقيق مظاهر توحيد الألوهية الــذي يتــضمن فـــي حقيقته جميع أنواع التوحيد الأخرى ، فيتضمن توحيد الله في ربوبيته ، وتوحيده في أسمائه وصفاته ، " فتوحيد الألوهية مبني على إخلاص العبادة لله وحده ، في باطنها وفي ظاهرها ، بحيث لا يكون شيء منها لغيره ﷻ : فالمؤمن يعبد الله وحده ولا يعبد غيره ، فيخلص لله المحبة والخوف والرجاء والدعاء والتوكل والطاعة والتذلل والخشوع ، وجميع أنواع العبادة وأشكالها ، وهــذا النـــوع مـــن التوحيد يتضمن في حقيقته جميع أنواع التوحيد الأخرى " (ياسين ، ١٤١٢هــ ، ١٢) .

فمن أجله أرسلت الرسل ، ومن أجله أُنزلت الكتب ، ومن أجله جردت السيوف ، ومن أجلــه يقع الثواب والعقاب ، يقول ابن تيمية رحمه الله " وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والمشركين ، وعليه يقع الجزاء والعقاب في الأولى والآخرة ، فمن لم يأت به كان من المشركين " (ابن تيميــة وابن عبد الوهاب ، ب.ت ، ٢٦١) .

ويؤكد(النحوي ، ١٤١١هــ ، ٦٩) على دور الولاء الخالص لدين الله والبراء الواضح مما سواه في تجسيد هذا التوحيد ، معتبراً إياه من أخطر مظاهره ، " فمن أهم مظــاهر التوحيــد فـــي الممارسة الإيمانية هو الولاء ، الولاء الخالص الصادق لله ﷻ ، حين تتجه النية والعزيمة والحب لله في كل عمل ابن آدم . إن الولاء هو من أخطر مظاهر التوحيد في الممارسة الإيمانية ".

ولم يقف أثره عند ذلك الحد ، بل يمتد ليصل إلى درجةٍ أعلى من ذلك ، فيؤكد علـــى دوره في تعميق تذوق هذا الشطر الرئيس في حياة المسلمين ، حيث أن " المذاكرة مـــع أهــل الــصلاح والاجتماع مع أهل الخير والانتماء لأهل الحق ، والانخراط في البيئات الصالحة كل ذلــك وســائل تعمِّق تذوق التوحيد " (حوى ، ١٤٠٨هــ ،٢٦٤) .

من هنا برزت الحاجة إلى التأكيد على غرس مفهوم الولاء لدين الله ﷻ والبراء من كل مـــا سواه لدى الناشئة من أبناء الإسلام ، لينشئوا نشأةً إسلامية صحيحة بعيدة عن كل مـــا ينـــافي هـــذه العقيدة العظيمة ، وذلك من خلال إعادة بناء وصياغة مناهجنا جميعها ، وفقـــاً لمقتــضيات الـــولاء والبراء ، وذلك بربطها بتراثنا الإسلامي العظيم والابتعاد عن الــشبهات التـــي لا يــزال أعــداؤنا يثيرونها ، من أجل التشكيك في ديننا تارة ، وفي سلفنا الصالح تارةً أخرى " وهذا المعنى من أهــم ركائز التربية الإسلامية ، لذلك يجب أن تبنى أهداف التربية الاجتماعية ، في جميع مراحل التعلــيم والحياة ، وأن يعاد النظر في جميع كتب التاريخ والجغرافيا على هــذا الأســاس ، لأن الـــولاء لله وحزبه من تمام توحيده وعبادته ، والولاء للكفار ينافي عقيدة التوحيد " (النحلاوي ، ١٤٠٣هـــــ ،

الأبعاد الروحية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٨٦) . بل لأن توحيد الألوهية لله ﷻ ، تجرِّد المسلم من كل شائبةٍ ، من شوائب الرياء والشرك ، وتنزهه من براثن الجاهلية ومظاهرها " فمع التوحيد يصبح الرجاء في الله وحده ، والدعاء لله وحده ، والخشية من الله وحده ، والخشوع والتضرع إليه ، ولنعش مع ظلال الآيات الكريمة تعرض لنا هذه الصورة من جلال التوحيد . قال ﷻ : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ۞ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (الزمر الآيتان :٣،٢) (النحوي ، ١٤١١هـ ، ٧١) .

وإذا كان الولاء لدين الله مظهر من مظاهر التوحيد ، بل من أخطر هذه مظاهره ، بالإضافة إلى عظيم أثره في تعميق تذوق التوحيد ، ومع أن التوحيد يستلزم الإخلاص ومبني عليه ، فإنه وفي المقابل نفي الولاء لدين الله فيه **نفيٌ للتوحيد ونفيٌ للإخلاص** ، وذلك لأنه " لا يتخذ العبد نداً لله في الحب ، يحبه كما يحب الله ، أو يقدمه في المحبة على حب الله ﷻ ، فمن فعل ذلك كان من المشركين ، قال ﷻ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ﴾ (البقرة: من الآية١٦٥)(ياسين ، ١٤١٢هـ ، ١٣) .

ولقد حذر الله ﷻ عباده المؤمنين من موالاة الكافرين ، بل من أقل من ذلك ، حيث حذرهم من طاعتهم ، خوفاً عليهم من أن يرتدوا كافرين بعد أن ذاقوا حلاوة الإيمان ، حيث قال ﷻ :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ (آل عمران:١٠٠) ثم استنكر الله ﷻ عليهم هذه الفعلة الشنيعة قائلاً ﷻ :﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (آل عمران:١٠١) .وإلى هذا المعنى يشير (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج٢،١٩) بقوله: " إنها لكبيرة أن يكفر المؤمن في ظل هذه الظروف المعينة على الإيمان – وإذا كان رسول الله قد استوفى أجله ، فان آيات الله باقية وهدى رسوله باقية ".

ولئن جاء التحذير من الشرك واضحاً ، جرَّاء موالاة الكفار والمشركين والمنافقين في الآيات السابقة ، فقد جاء التحذير منه بشكلٍ آخر ، على اعتبار أن الظلم نوع من أنواع الشرك ، أو أنها تعني الشرك كما فسرها قطب . وذلك عند تفسيره لقوله ﷻ :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْأِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (التوبة:٢٣) . حيث قال : " والظالمون هنا تعني المشركين ، فولاية الأهل والقوم - إن استحبوا الكفر على الإيمان شرك لا يتفق مع الإيمان " (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج٣،١٦١٥).

ولقد ضرب الله ﷻ مثلاً رائعاً يصف فيه حال المؤمن المتجه إلى ربٍ واحدٍ ، بقلبٍ سليمٍ ، وبين أولئك الحيارى من المشركين ، ومن والاهم من المسلمين الذين يتخبطون تائهين لنداء هنا ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ودعوةٍ هناك ، حيث قال ﷻ :﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (النحل:٧٦) " هذا حال المشرك يخضع لمعبودات شتى ، يحار بينها ، و يتوزع ولاؤه لها ، وما هو ببالغ إرضائها ، وصفة المؤمن وولاؤه لإلهٍ واحد شكور حليم رحيم ، يتقبل ممن أخلص دينه العمل القليل ، و يمنحه عليه الأجر الجزيل و الثواب الجميل ، فهل يستويان حالاً وصفة ؟ كلا والحمد لله الذي هدانا لتوحيده والانقياد له دون سواه ولكن المشركين لا يعملون أن الله هو الحق المبين فيبقون في ضلالتهم يعمهون وفي دينهم يترددون "

تــركت اللات و العزى جميعاً كذلــك يفعل الرجل البصيــر

(تعيلب ،١٤١٦هـ ،ج٦،٣١٠٠)

وقد اعتبر ابن القيم رحمه الله أن اتخاذ العبد نداً من دون الله شرك أكبر مشيراً بذلك إلى أنه " من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ﷻ إلا بالتوبة منه : أن يتخذ العبد من دون الله نداً يحبه كما يحب الله ﷻ " (الشرقي ، ١٣٨٢هـ ، ٢٦٨) .

٢ - التوكل على الله ﷻ :

إذا كان الولاء والبراء من أخطر مظاهر التوحيد ، فإن هذا التوحيد من عوامل استقامة التوكل " فلا يستقيم توكل العبد حتى يصح توحيده ، بل حقيقة التوكل : توحيد القلب . فما دامت علائق الشرك ، فتوكله معلولٌ مدخول ، وعلى قدر تجريد التوحيد : يكون صحة التوكل ، فإن العبد متى التفت إلى غير الله ، أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه ، فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة "(ابن القيم ، ١٤٠٣هـ ،ج٢،١٢٥) .

وجاء في **معنى التوكل** أقوالٌ كثيرة ، تصب جميعها في معينٍ واحد ، وذلك أن " التوكل مشتق من الوكالة ، يقال : وكَّل أمره إلى فلان ، أي فوضه إليه ، واعتمد عليه فيه ، ويسمى الموكول إليه وكيلاً ، ويسمى المفوض إليه متكلاً أو متوكلاً عليه مهما اطمأنت إليه النفس ووثق به ، ولم يتهمه بتقصير ، ولم يعتقد فيه عجزاً أو قصوراً ، فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده " (الغزالي ، ب. ت ، ج٤،٢٤٠) .

لقد نصر المؤمنون الأوائل دينهم نصراً صادقاً ، فكان ولاؤهم واضحاً وبراؤهم نقياً ، فانعكس عنه ونتج منه ، توكلٌ حقيقيٌ ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال :﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا : ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران:١٧٣) .(البخاري ، كتاب التفسير ، باب ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ ، ج٦،٣٦٦ ، ح٩٨٨) .

الأبعاد الروحية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وللتوكل على الله ﷻ أثرٌ كبير في تقوية العزائم وشحذ الهمم " فهو حقيقته وواقعه قوة دافعة خفية ، لها في حياة المسلمين شأنٌ عظيم ، آمنوا بها ، ومُنحوا النصر والغلبة من خلالها ، ولذا كانت عزائمهم لا تلين ، وقواهم لا تخور فيما يصبون إليه من معالي الأمور " (العك ، ١٤٠٨هـ ، ١١٠) . وهذا ما نلمسه واضحاً في قول هود عليه السلام للكافرين متحدياً إياهم بعزيمة الجبال ، بعد أن برأ منهم . ﴿ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۞ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ ۞ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (هود:الآيات ٥٤-٥٦) جاء في تفسير﴿ مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾ " أي ما من نسمةٍ تدب على وجه الأرض ، إلا هي في قبضته وتحت قهره ، والأخذ بالناصية تمثيل للملك والقهر ، والجملة تعليل لقوة توكله على الله ، وعدم مبالاته بالخلق " (الصابوني ، ١٤٠١هـ ، ٢١/٢) . ومن قبله قول نوح عليه السلام ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ﴾(يونس:الآية ٧١) .

أما ما وصل إليه المسلمون اليوم من تفككٍ وهوانٍ ، وهزيمة وخسران ، فعلاقته وثيقة بضعف ولائهم وتخليهم عن نصرة دينهم ، وموالاتهم لأعدائهم ، **فحلَّ التواكلُ مكان التوكل** ، حيث اطمأن المسلمون لأعداء الإسلام ، وتوكلوا عليهم ، ووثقوا بهم رغم تحذير الله ﷻ لهم ، فركنوا إليهم ، وآزروهم ، وأعانوهم على تنفيذ مخططاتهم في ضرب بلاد المسلمين ، وتقسيم أراضيهم ومقدرات أمتهم ، والأدهى من ذلك والأمر أنهم اعتمدوا عليهم ووثقوا بهم في تحرير أوطانهم ، وهذه الصور وغيرها من الصور الكثيرة لا تحمل في طياتها إلا التواكل بكل ما تحمله هذه الكلمة من تبعاتٍ وتداعيات ، وهذا كله ما هو إلا انعكاسٌ طبيعيٌ لعدم تولي المسلمين بعضهم لبعض . يقول الله ﷻ :﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ ﴾ (هود:١١٣) . قال القرطبي :" الركون حقيقته : الاستناد والاعتماد ، والسكون إلى الشيء والرضا به " (القرطبي ، ١٤٠٧هـ ، ج٩،١٠٨) .

٣- تحقيق تقوى الله :-

إن الإسلام حين آخى بين المسلمين ، ربط بينهم برباط الولاء والبراء المتين، فنزع من خلال ذلك رواسب الجاهلية والعصبية ، ضارباً بكل قوة التفاخر بالآباء والأنساب والعشائر عرض الحائط ، غارساً في الوقت نفسه أسس التفاخر بالإيمان والتقوى ، فاتحاً بذلك الباب على مصراعيه أمام المسلمين جميعهم للتنافس ، على أساس تقوى الله ﷻ مصداقاً لقوله ﷻ :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣) . " فبهذا الميزان الدقيق العادل لمعرفة أقدار الناس وفضلهم أصبح المجال واسعاً للتنافس في الخير ، وبلوغ المنزلة العالية ، التي يطمح إليها الإنسان ، فلا يمنعه مانع ، من فقرٍ أو لونٍ أو ذكورةٍ أو أنوثة أو خسة نسب أو ضعف ، كما لا يرفع الإنسان – إذا فاتته التقوى – شرف نسبه ، أو كثرة ماله ، أو سعة سلطانه أو كثرة ولده ، أو فصاحة لسانه، أو كثرة أتباعه " (زيدان ، ١٣٩٥هـ ، ١٠٠) .

وهذا ما أكده النبي ﷺ في الحديث الذي رواه جابر ﷺ قال : خطبنا رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال ﷺ : " يا أيها الناس إن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربيٍ على عجمي ، ولا لعجميٍ على عربي ، ولا لأحمرٍ على أسود ، ولا لأسودٍ على أحمر إلا بالتقوى ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم " (البيهقي ، باب حفظ اللسان ، فصل في حفظ اللسان عن الفخر بالآباء ، ج٤، ٢٨٩ ، ح٥١٣٧) .

ولقد أكد القرآن الكريم على دور الولاء لهذا الدين والبراء من كل ما سواه ، في تحقيق هذه التقوى ، من خلال قوله ﷻ : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام:١٥٣) .

فإذا كانت غاية الصيام في قوله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣) . هي حدوث التقوى ، فلا شك أن غاية اتباع منهج الله ﷻ هي حدوث التقوى ، وذلك من خلال نصره وتطبيقه والالتفاف حوله ، وخلع كل المناهج الوضعية التي تتناقض مع منهج الإله الواحد ، الحكيم الخبير المتمثل في قوله ﷻ : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ (الأنعام:١٥٣) . فالتقوى تحتاج إلى مجاهدة دائمة ومستمرة . والتقوى كما عرفها العلماء الربانيون " أن لا يراك الله حيث نهاك ، وأن لا يفقدك حيث أمرك أو هي : اتقاء عذاب الله بصالح العمل ، والخشية من الله في السر والعلن " (علوان ، ١٣٩٨هـ ، ٧٨٢) .

وإذا كانت الغاية من الولاء والبراء تحقيق الإيمان ، وبلوغ تقوى الله ﷻ ، فإن اتباع غير سبيل المؤمنين ، ونصرهم وتأييدهم ، وتقليدهم ، واللهث وراءهم ، **يورث النفاق** ، كما جاء في قوله ﷻ : ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ۞ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ (النساء:١٣٨ ، ١٣٩) . وقد أشار الزحيلي معقباً على هاتين الآيتين أنها تعنى " أن موالاة الكافرين دليل على النفاق ، ولا يصدر هذا إلا من منافق ، وأن الله ﷻ لم يخاطب المنافقين مباشرة لأنهم ليسوا أهلاً لذلك ، ولكن حين يكون الخطاب للمؤمنين ، فيكرمهم الله ﷻ بالخطاب المباشر فينهاهم عن اتخاذ الكافرين أولياء من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دون المؤمنين ، وخاطبهم بهذا النهي ، إشعاراً لهم بخطورة المنهي عنه ، وأنه ليس مجرد وصفٍ يتصف به المنافقون من جملة ما يتصفون به ، بل هو من الكبائر التي يحذر الله الذين آمنوا منها تحذيراً شديداً " (الزحيلي ،١٤١١هـ ، ج٥،٣٣٠).

والنفاق لغةً - مصدر: نافق – يقال : نافق ينافق نفاقاً ومنافقة ، وهو مأخوذ من النافقاء : أحد مخارج اليربوع من جحره ، فإنه إذا طلب من واحد هرب إلى الأخر منه ، وقيل من النفق ، وهو السرب الذي يستتر فيه (ابن الأثير ، ١٣٩٩هـ ، ج٥،٩٨) .

وقد أشار(ياسين ، ١٤١٢هـ ، ١٧٤) إلى أن موالاة الكفار بالقلب ، والميل إليهم ، وأن عدم إظهار هذه المودة وهذه الموالاة يعصم دم صاحبه وماله ، ولكنه لا يعصمه من صفة النفاق " فمن والى الكفار بقلبه ، وميله إليهم ، فهو كافر على كل حال . فإن أظهر موالاته بلسانه أو بفعله ، عومل في الدنيا بكفره وفي الآخرة يخلد في النار ، وإن لم يظهرها بفعلٍ أو قولٍ ، وعمل بالإسلام ظاهراً ، عصم ماله ودمه ، وهو منافق في الدرك الأسفل من النار ".

ولئن وصف الله ﷻ المؤمنين بأنهم بعضهم أولياء بعض ﴿ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (التوبة: الآية٧١) . يتجهون بهذه الولاية لعمارة الأرض بالبر والخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة . وفي مقابل ذلك وصف الكفار بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (لأنفال: الآية٧٣) . كما هو الحال في تولي اليهود والنصارى بعضهم بعضاً . ولكن هذه الولاية ولاية إفسادٍ في الأرض ﴿ يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾(المائدة: الآية٥١) . لكنه ﷻ نفى صفة الموالاة بين المنافقين فقال ﷻ : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ (التوبة: الآية٦٧) وذلك " لأن المنافقين والمنافقات مع وحدة طبيعتهم لا يبلغون أن يكونوا أولياء بعضهم لبعض ، . فالولاية تحتاج إلى شجاعة وإلى نجدة وإلى تعاون وإلى تكاليف ، وطبيعة النفاق تأبى هذا كله ولو بين المنافقين أنفسهم " (قطب ، ١٣٨٦هـ ،ج٤،٢٥٢) .

٤ - تحقيق الإيمان :-

إن بلوغ المسلم درجة الإيمان ، غاية يتمناها كل مسلم عارف لحقيقة الإيمان ، فكيف به إذا ما حصل على شهادة من الحكيم الخبير المؤمن المتعال ، بصدق إيمانه ، لاشك أن فرحته لا يحدها حد ،وماذا لو علم هذا المسلم أن الله قد كتب في قلبه الإيمان ؟! فالله ﷻ يتجلى على عباده المؤمنين ، حين يجعلون حبه فوق كل حب ، وحين يبغضون من يبغض ، ويحبون من يحب . فيقول ﷻ : ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة:٢٢) . من هنا كان " من اتصف بأنه لا يواد من حاد الله ورسوله ، ولو كان أباه أو أخاه فهذا ممن كتب الله في قلبه الإيمان " (ابن كثير ، ب. ت ، ج٤،٣٢٩) . وأشار (قطب ،١٣٨٦هـ ،ج٨،٢٥) في قوله ﷻ : ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾ بقوله : " إنه مثبت في قلوبهم بيمين الرحمن . فلا زوال له ولا اندثار ، ولا انطماس فيه ولا غموض " .

وقد يظن البعض أن المحبة عملٌ قلبي ولا يستطيع الإنسان التحكم فيه ، فكيف يرغم على محبة المسلمين ؟! والجواب ؛ أن هذا ليس صحيحاً ، لأن القلب تابع للعقيدة والإيمان ، فمن آمن بالله وأحبه فلابد أن يحب من يحب الله ، والمسلم يجب عليه أن يحب الله ويطيعه ، ولذلك وجب علينا محبة المسلم لمحبتنا لله ولدينه، بل لا يمكن أن يتصور إيمان أصلاً دون أن يحب المسلمون بعضهم بعضاً ، فقد " أخبر الله تعالى أنك لا تجد مؤمناً يواد المحادين لله ورسوله ، فإن نفي الإيمان ينافي موادته كما ينفي أحد الضدين الآخر ، فإذا وجد الإيمان انتفى ضده ، وهو موالاة أعداء الله . فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه كان ذلك دليلاً على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب " (ابن تيمية ، ١٣٩٢هـ ، ١٣) .

والولاء لدين الله ﷻ يحمل بين جنباته ، عبادة الله وحده ، والإخلاص فيها ، ومعاداة المشركين . " فعبادة الله وحده وإخلاص الدين له ، والميل عن الشرك وأهله :﴿ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وعقيدة خالصة في الضمير ، وعبادة تترجم هذه العقيدة ، وإنفاق للمال في سبيل الله وهو الزكاة ، فمن حقق هذه القواعد فقد حقق الإيمان ، كما أُمر به أهل الكتاب ، وكما هو في دين الله على الإطلاق " (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج٦،٣٩٥٢) .

فإذا ما تحقق الإيمان ، من خلال الولاء الصادق والبراء الواضح ، فإنه وفي الاتجاه المقابل ، حين يتخلى المسلم عن موالاته لدينه ، ويسعى لإرضاء أعدائه ، بدلاً من التبري منهم ، فإن ذلك سببٌ لخروجه من دائرة الإيمان ، إلى دائرة الفسوق والعصيان .

والفسوق يعني خروج الشيء أو الشخص عما كان فيه أو عما من شأنه أن يكون فيه بحسب الخلقة أو العرف أو الشريعة قال في المصباح : ويقال أصله خروج الشيء من الشيء على وجه الفساد يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها"(عبده ، ب.ت ،ج١٠، ٢١٠) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الآيات التي تدلل على ذلك قوله ﷻ :﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة:٢٤) " فإن لم يكن الله ورسوله والجهاد في سبيله أحب إلى العبد من الأهل والمال – على اختلاف أنواعه- فإنه داخلٌ تحت هذا الوعيد " (ابن تيمية ،* ب. ت ، ج٣،١٣/٤١٣) . ومنها قوله ﷻ : ﴿ وَلَو كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (المائدة:٨١).

والفسوق صفة من صفات أعداء الله وأعداء دينه من اليهود والنصارى ؛ قال ﷻ : ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلّاً وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (التوبة:٨) . كما وصف به المنافقين فقال ﷻ : ﴿ وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (التوبة:٨٤) بل لقد كان أكثر تصريحاً بفسوق المنافقين حيث قال ﷻ : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (التوبة:٦٧) . كما جعل ﷻ الفسوق صفة أصحاب القلوب القاسية من أهل الكتاب ، فقال ﷻ : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (الحديد:١٦) .

ومما يدلل على أن موالاه الكفار مآله إلى الفسوق ؛ ربطه ﷻ بين موالاة بنى إسرائيل للكفار وتخليهم عن دين نبيهم موسى ﷺ وكتابه الذي أنزله عليه، والذي يأمرهم فيه بإتباع الحق وهو دين الإسلام وبين الفسوق، وإلى هذا يشير القاسمي مفسراً﴿ لَوْ كَانُوا ﴾ بأن هؤلاء الذين يتلون عبث الأوثان من أهل الكتاب ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ﴾ أي نبيهم موسى عليه السلام ﴿ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ ﴾ أي من التوراة ﴿ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ إذ الإيمان بالله يمنع من تولى من يعبد غيره ﴿ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ خارجون عن دينهم، أو متمردون في نفاقهم " (القاسمي ، ١٣٧٧ هـ ، ج٦، ٢١١٤) . وذلك لأن أهل الكتاب يعرفون أن دين محمد ﷺ هو الحق ،وأن التوراة التي جاء بها موسى ﷺ تدعوهم لموالاته ونصرته والدخول في دينه حيث قال ﷻ : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام:٢٠) .

الأبعاد الروحية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥ - بلوغ كمال الإيمان :-

إن تحقيق الإيمان في قلب المسلم مِنَّة يكرم الله بها من أحب من عباده الصادقين ، وقد تبين لنا في قوله ﷻ : ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة:٢٢) . أن الإيمان يتحقق لمن برئ من أعداء الله ، فلم يتبع خطواتهم ، ولم يرغب فيهم عن ربه ودينه وإخوانه المؤمنين ، حيث أن الحب والبغض في الله والعطاء والمنع في الله ، بمثابة الشحنات التي تشحن هذا الإيمان فتصل به إلى أعلى المستويات ، فتكمل الخلل ، وتزيل الغمم ويدلل على هذا ما جاء في التوجيه النبوي الشريف في قوله ﷺ : " من أحب في الله وأبغض في الله ، وأعطى في الله ومنع في الله فقد استكمل الإيمان " (سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ، ح٤٦٨١) .

وكأن النبي ﷺ يرشدنا بذلك إلى أن الإيمان لا يكتمل ، بل ويظل ناقصاً ، حتى يأتي المسلم بهذه اللبنة العظيمة ، وهو تصويرٌ جميل ، يجعل المسلم يقف متأملاً لهذا البناء الشامخ "والإيمان وراء ذلك كله ، هو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علماً والتصديق به عقداً والإقرار به نطقاً ، والانقياد له محبةً وخضوعاً والعمل به ظاهراً وباطناً وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان ، وكماله في الحب في الله والبغض في الله والعطاء لله والمنع لله ، وان يكون وحده إلهه ومعبوده " (الفوائد ، * ب. ت ، ٧٩) .

وهذا ما أكده التوجيه النبوي الشريف بقوله ﷺ : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" (البخاري ، كتاب الإيمان ، ج١، ٦٩ ،ح١٢) . والمعنى أنه لا يكتمل إيمان المرء إلا بحب الخير لأخيه مثل ما يحب لنفسه ، وهذا لا يحدث إلا بحب المسلم أخاه المسلم إذ لا يعقل أن يحب الإنسان الخير لمن يكره . حيث "يمتد مع الولاء حبٌ عظيم لله ﷻ ولرسوله ﷺ لا يعدله حبٌ آخر أبداً ، وبدون الحب العظيم لا يكتمل الإيمان ولا تصدق ممارسته " (النحوي ، ١٤١١هـ ، ٧١) .

ويبدو ذلك واضحاً من خلال حديث رسول الله ﷺ مع الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ، فعن عبد الله بن هشام قال : كنا مع رسول الله ﷺ وهو آخذٌ بيد عمر بن الخطاب ﷺ فقال له عمر : يا رسول الله لأنت أحب إليَّ من كل شيءٍ إلا نفسي التي بين جنبيَّ ، فقال النبي ﷺ " لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك " فقال عمر : فإنه والله لأنت أحب إليَّ من نفسي ، فقال الرسول ﷺ : " الآن يا عمر " (البخاري ، كتاب الأيمان والنذور ، ج٤، ٥٢٠ ، ح١٤٨٦) .

الأبعاد الروحية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد ربط (ابن تيمية ، ١٣٩٩هـ ، ١٠٣) بين العبودية لله ، والولاء والبراء ، واستكمال الإيمان فقال رحمه الله :" وإنما عبد الله ، من يرضيه ما يرضي الله ورسوله ، ويُسخطه ما يُسخِط الله ورسوله ، ويحب ما أحب الله ورسوله ، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله ، ويوالي أولياء الله ، ويعادي أعداء الله ، وهذا هو الذي استكمل الإيمان ".

ولم يقف أثر الولاء الصادق لدين الله ﷻ والبراء الواضح مما سواه عند تحقيق الإيمان وكماله ، بل امتد ليدلل على قوة الإيمان ، فهذا الولاء ، وهذا الحب، هما من جعلا إيمان الصحابة يصل إلى أعلى درجات القوة حتى قال ﷺ : " ملئ عمار إيماناً إلى مشاشته " (الحاكم ، ١٣٩٨هـ ، ج٣،٣٩٣) . حيث لا تظهر حقيقة الإيمان ، وذروته ، وكماله وقوته إلا عند المحن والشدائد ، فهو ليس كلمةً تقال ، ولا شعراً ينشد ، بل مواقف يسطرها التاريخ بصحافٍ من ذهب " فلقد دل صنيع كعب يوم أن قاطعه الرسول ﷺ والصحابةﷺ على قوة إيمانه ومحبته لرسول الله ﷺ ، وإلا فمن صار في مثل حاله من الهجر والإعراض ، قد يضعف عن احتمال الأذى ، وفي مكاتبة ملك غسان له بالمصير إليه ابتلاء من الله ﷻ ، وامتحان لإيمانه ومحبته لله ورسوله ، وإظهار للصحابة أنه ليس ممن ضعف إيمانه بهجر النبي ﷺ والمسلمين له ، ولا هو ممن تحمله الرغبة والجاه والملك مع هجران الرسول والمؤمنين له ، على مفارقة دينه ، فهذا فيه تبرئة الله له من النفاق ، وإظهار قوة إيمانه " (ابن القيم ، ١٤٠٧هـ ، ج٣،٥٨١) .

ولم يقف دور الولاء والبراء في تحقيق الإيمان في قلوب المسلمين ، ولا في بلوغ قمته واستكماله ، كما لم يقف دوره في الوصول بقلب صاحبه إلى أعلى درجات القوة ، بل تعداها ليكون هو نفسه بمثابة الروح لهذا الإيمان ، فجعل المسلمين قلوبهم قلب رجلٍ واحد ، تجمعهم روحٌ واحدة من الإيمان " فهذه الأخوَّة هي روح الإيمان الحي ، ولباب المشاعر الدقيقة التي يكنها المسلم لأخيه المسلم ، حتى أنه لحيا بهم ويحيا لهم ، فكأنهم أغصانٌ انبثقت من دوحةٍ واحدة أو روحٍ واحد حل في أجسادٍ متعددة " (الغزالي ، ب. ت ، ٢٠٦) . وهذا أكده الرسول ﷺ على أن محبة قومٍ نصروا الله ﷻ ورسوله ﷺ من علامات الإيمان ، وبغضهم من علامات النفاق فقال ﷺ : " الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق ، فمن أحبهم ، أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله " (مسلم ، كتاب الإيمان ، ج١،٨٥ ، ح٧٥) .

وإذا كان الولاء مبنياً في الأساس على الحب والتقدير والوفاء والعرفان ، فمن الأولى للمسلم أن يوقر العلماء ويجلَّهم لأنهم من دعائم الإيمان وركائزه " فالناس بلا علماء هم جهَّال ، تتخطفهم شياطين الإنس والجن من كل حدبٍ وصوب ، وتعصف بهم الضلالات والأهواء من كل جانبٍ ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهم مصابيح الدجى وأئمة الهدى ، وحجة الله في الأرض ، بهم تمحق الضلالة من الأفكار ، وتنقشع غيوم الشك من القلوب والنفوس ، فهم غيظ الشيطان ، وركيزة الإيمان ، وقوام الأمة ، مثلهم مثل النجوم في السماء ، يهتدى بهم في ظلمات الحياة في البر والبحر" (البدري ، ١٤٠٠هـ ، ٣٧) .

وإذا كان تحقيق الإيمان واستكماله من آثار الولاء الصادق لدين الله ﷻ والبراء الواضح من كل ما سواه ، فإن قطع موالاة المؤمنين والتخلي عنهم ، والسعي وراء الكافرين ومودتهم دلالة على نقص الإيمان ، يقول (العك) : " هذا هو أثر الإيمان بالله تعالى : حب له ، واتباع لدينه ، وإقتداء برسوله ﷺ ، فمن وفّى بهذا كان إيمانه كاملاً ، ومن أنقص شيئاً منها دل على نقصان إيمانه ، فعليه أن يبادر بإتمام النقص وسد الخلل ، ليبقى إيمانه كاملاً غير منقوص " (العك ، ١٤٠٨هـ ، ٥٠).

وإن كان موالاة دين الله ونصرة عباده المؤمنين دلالة من دلالات تحقيق الإيمان وكماله وقوته ، فإنه في مقابل ذلك ، موالاة أعداء الله ونصرهم ، ومحبة الكافرين والظالمين ، ومحاباتهم ، وتفضيلهم على المسلمين ، وقلب موازين المحبة والجفاء ، فلا شك أنه دلالة انعدام الإيمان في القلب أو ضعفه ضعفاً شديداً ، لذلك كان " الحب في الله والبغض في الله من عناصر الإيمان ، فإذا أحببت جائراً لنفعٍ يعود عليك ، أو كرهت عادلاً لطمعٍ لم يسُقْهُ إليك ، فاتهم إيمانك ! إن المشاعر المعتلة دليل إيمانٍ مزيف " (الغزالي ، ١٤١٧هـ ، ٤٥٣) .

بل إن الله تبارك وتعالى ، لينفي صفة الإيمان عن الذين يوالون أعداءه دون المؤمنين ، وذلك في قوله ﷻ : ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾ (آل عمران: الآية٢٨) وهذا ما ذهب إليه قطب رحمه الله بقوله : " إنه لا يجتمع في قلبٍ واحد حقيقة الإيمان ، وموالاة أعدائه الذين يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم فيتولون ويعرضون ... وهذه الآية تقرير حاسم بخروج المسلم من إسلامه إذا والى من لا يرضى أن يحكّم كتاب الله في الحياة ، سواء كانت الموالاة بمودة القلب ، أو بنصره ، أو استنصاره سواء " (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج١، ٥٦٨).

ويرى الباحث أن المفسرين والتربويين ، وإن اختلفوا في الوصف ، فهم متفقون في المضمون ،فاختلافهم في التعبير اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ، فلا يجتمع الإيمان مع موالاة أعداء الله وهذا ما يؤكد ما يدلل عليه الباحث ، ومن هنا كان لا بد للتربويين أن يأخذوا مواقعهم في صقل أبنائنا على هذا المفهوم العظيم ، وغرس ولائهم لله ورسوله وبرائهم من كل أعدائه ﷻ لينشأوا على عقيدة سليمة ، وإيمان راسخ متين .

٦ــ الهداية والاستقامة :-

الأبعاد الروحية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الهداية : " الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب ، وقد يقال : هي سلوك طريق يوصل إلى المطلوب " (الجرجاني ، ١٤٠٣هـ ، ٢٥٦) .

والاستقامة : " هي الوفاء بالعهود كلها ، وملازمة الصراط المستقيم ، برعاية حد التوسط في كل الأمور من الطعام والشراب واللباس ، وفي كل أمر ديني ودنيوي ، فذلك هو الصراط المستقيم ، كالصراط في الآخرة " (الجرجاني ، ١٤٠٣هـ ، ١٩) .

فسؤال المؤمن ربه ﷻ ومناجاته بأن يلهمه الهداية إلى الصراط المستقيم ، من أجلِّ المطالب ، ونيلها من أشرف المواهب ، ولأهميتها ، كان هذا المطلب النبيل وهذه الغاية الشريفة ، آية في أعظم السور ، لا تصح صلاة العبد إلا بقراءتها ، فيرددها المسلم في كل يومٍ على الأقل سبع عشرة مرة إذا اقتصر على الفرائض الخمس في اليوم والليلة ، والهداية ليست شيئاً سهل المنال ، أو كلمة يتغنى بها المرء ، فهي محتاجة إلى الإخلاص ، فإن أخلص المسلم الطلب ، سهّل الله عليه المنال ، وإن اعتصم المسلم بدين الله ﷻ ، وبرئ من كل ما سواه ، كانت الهداية أمراً ميسوراً ، وفي ذلك يقول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ۞ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (آل عمران :الآيتان ١٠٠ ،١٠١) .

جاء هذا المقطع بعد الاستفهام الإنكاري و التعجبي من قبل خالق السماوات و الأرض ، لرجوع المسلم كافراً بعد إذ هداه الله للإسلام ، وأكرمه بالرسول صلى الله عليه وسلم ووجود آيات الله بين يديه تتلى عليه ليلَ نهار ، جاء هذا المقطع ليؤكد لنا أن الاعتصام بالله و نصرة دينه وأوليائه المؤمنين ، ينعكس عنه مباشره الهداية إلى الطريق المستقيم ،وكأن الله ﷻ يقول لنا ، مخاطباً عقولنا التي حبانا إياها ، أن الطلب الذي تطلبونه كل يوم ، وذلك في كل ركعة من ركعات صلاتكم في الليل والنهار ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة:٦) منوطٌ باعتصامكم بالله ،و بموالاتكم لعباده المؤمنين ،وبراءتكم من الكفار والمشركين ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (آل عمران : الآية ١٠١) . فإن خلع هؤلاء الأنداد من البشر ، والأحزاب اللادينية ، ذات الأسماء والمسميات التي ما أنزل الله بها من سلطان ، هو توحيد للخالق ﷻ ، يتفضل الله من خلاله على عباده وأوليائه بأسمى النعم وأجلِّها ، ألا وهي نعمة الهداية والاستقامة .يقول ابن كثير : " من خلع الأنداد والأوثان ، وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله ، ووحد الله فعبده وحده ، وشهد أن لا إله إلا هو ، فقد ثبت أمره ، واستقام على الطريقة المثلى والصراط المستقيم " (ابن كثير ، ب. ت ، ج١،٣١١) . يقول الله ﷻ : ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة:١٦) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد ذهب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب إلى أبعد من ذلك ، مشترطاً لحدوث الاستقامة : أن يعادي المسلم أعداء ربه ودينه وأمته حيث قال : " إن الإنسان لا يستقيم له إسلام ، ولو وحد الله وترك الشرك إلا بعداوة المشركين . مصداقاً لقوله ﷻ : ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة:٢٢) (ا بن تيمية وابن عبد الوهاب ، ب. ت، ٢٤).

ويتضح من خلال الآيات القرآنية الحكيمة والأحاديث النبوية الشريفة ، وأقوال العلماء والتربويين ، أن موالاة المسلمين ، ومعاداة الكافرين ، عونٌ للمسلم على الهداية والاستقامة ، بل إن الهداية والاستقامة أثر من آثار المولاة الصادقة والمعاداة الواعية النقية .

أما إن قطع المسلم موالاته للمسلمين ، ودخل في طاعة الكفار ، ولم يتبرأ منهم ، فإن ذلك عونٌ للشيطان عليه ، سيؤدي بالضرورة إلى تخلي الله ﷻ عنه ، **فيحرم نفسه من الهداية والتوفيق** ، وسيهديه الله إلى سواء الجحيم ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئاً ﴾ (مريم:٦٠) وفي ذلك يقول المولى ﷻ :﴿ فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (لأعراف:٣٠) فكان سبب ضلالهم هو اتخاذهم الشياطين أولياء من دون المسلمين وتخليهم عن موالاة المسلمين. وهذا ما نلمسه واضحاً من خلال قوله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (الممتحنة:١) . وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة أن حاطباً هذا كان رجلاً من المهاجرين وكان من أهل بدر أيضاً ، وكان له بمكة أولاد ومال ، ولم يكن من قريش ، بل كان حليفاً لعثمان ، فلما عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة ، لما نقض أهلها العهد ، فأمر رسول الله ﷺ المسلمين بالتجهيز لغزوهم ، وقال : " اللهم عمِّ عليهم خبرنا " فعمد حاطب هذا فكتب كتاباً ، وبعثه مع امرأةٍ من قريش إلى أهل مكة يعلمهم بما عزم عليه رسول الله ﷺ من غزوهم ليتخذ بذلك يداً ، فأطلع الله ﷻ على ذلك رسوله ﷺ استجابة لدعائه ، فبعث في إثر المرأة فأخذ الكتاب منها " (ابن كثير ، ب. ت ، ج٤،٣٤٤) .

بل إن تقديم محبة القرابة والمصلحة على محبة الله ﷻ يطعن في ولاء العبد لربه ويعرضه للفسق والحرمان من الهداية كما قال ﷻ : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة:٢٤) . وكذلك التحاكم إلى الطاغوت ، والرضا به ، بدلاً من حكم الله ، جزء لا يتجزأ من هذه الولاية الفاسدة ، الضالة المضلة ، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم وبكل وضوح في قوله ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾ (النساء:٦٠) .

وهذا ما نلمسه واضحاً في هذه الأيام من الذين خدعتهم الشعارات البراقة ، وأخذتهم الزخرفة الزائلة من حضارة الغرب المزعومة الضالة المضللة ، فيقع هؤلاء في شركها ، فترديهم إلى مهاوي الردى حيث " يقع المفتونون بالشعارات المزخرفة المزينة ، أو الشعارات المشوهة المقبحة في حبائل شياطين الضلال والإفساد في الأرض ، فيتقدمون إلى هلاكهم اغتراراً بشعار التقدمية المزخرف المزوَّق المزين بالباطل ويفرُّون من الرجوع إلى الحق والفضيلة والخير والكمال والعلاء والجمال " (الميداني ، ١٤١٢هـ ، ٢٤٣) .

وقد تضمنت أعظم سورة في القرآن الكريم طلب الهداية إلى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، المخالف لصراط المغضوب عليهم ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾ (الفاتحة: الآيتان ٦،٧) .والقرآن الكريم ما ترك للمسلم من طريقٍ من طرق التربية في غرس المفاهيم العقدية وغيرها من المفاهيم إلا وسلكه ، ومن هذه الطرق ، استخدام مشاهد يوم القيامة ، لتصوير الخصومة والعداوة بين الأتباع والمتبوعين ، بين الضعفاء والمستكبرين ، الذين سلكوا غير منهج الله في حياتهم الدنيا ، فأعطوا ولاءهم لأعداء الله ، وتخلوا عن نصرة أولياء الله ، طبقاً لعادات آبائهم ، وطبيعة بيئاتهم ، وفي ذلك شواهد كثيرة منها قوله ﷻ : ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا۝ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً ﴾ (الأحزاب:الآيتان ٦٧،٦٨) .

٧ - إعانة المسلم على طاعة الله ﷻ وطاعة رسوله ﷺ :-

إن ولاء المسلم لدينه يعني أول ما يعني ، نصرته لهذا الدين ، وبالتالي نصرة الذين يحملوه من المسلمين المخلصين ، فلا يحمل هذا الدين العظيم إلا أصحاب القلوب اليقظة ، الذين يغارون على دينهم ، والذين أدركوا حقيقة هذا الدين العظيم ، وبالتالي فإن وجود المسلم بين هذه الفئة المؤمنة التقية لهي أكبر عونٍ له على طاعة الله ﷻ ، والسير على خطى نبيه ﷺ ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ

الأبعاد الروحية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة:٧١) . " إنه ولاء الإنسان لله ، ولاء تدفعه الفطرة التي فطر الناس عليها ، ولاء ينشأ عنه ، وينبع منه ، ويرتبط به ، ولاء المؤمنين بعضهم لبعض ، وتتبع منه روابط المؤمنين كلها في حياتهم الدنيا ، وينشأ عن هذا الولاء الأول ، الولاء الخالص لله أمورٌ أساسية منها : السمع والطاعة لله ﷻ ولرسوله ﷺ وهما أمران هامان ينشآن عن صدق الولاء لله وصدق النية وصدق الحب الأكبر لله ولرسوله " (النحوي ، ١٤١١هـ ، ٢٧٩) .

وطاعة الرسول ﷺ وإن كانت من آثار الولاء الصادق والبراء الواضح ، فهي في الوقت ذاته ، دلالة من دلالات وجود الإيمان أو نفيه عند صاحبه " فإذا كان شخص عالماً بأن محمداً ﷺ رسول الله ، ولم يقترن بذلك حبه وتعظيمه ، بل كان يبغضه ويحسده ويستكبر عن إتباعه ، فإن هذا ليس بمؤمن بمحمد بل كافرٌ به،والإنسان قد يكون عارفاً بالحق ويبغضه لغرضٍ آخر " (قراعة، ب. ت ، ١٣٥) .

مما سبق تبيَّن أثر الولاء والبراء في طاعة المسلم لربه ولرسوله ، وفي المقابل فإن قطع المسلم موالاته للمسلمين ، وطاعته للكفار ، وموالاتهم ، من أعظم **أسباب معصية المسلم لله** ﷻ ولرسوله ﷺ ، بل هي السبب الرئيس في هذه المعصية وهذا البعد ، وفي ذلك يقول الله ﷻ : ﴿ وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ (الأنعام:١٢١) .

ولقد كان أول معصية لآدم سببها طاعة الشيطان ، فعصى من خلالها الرحمن ، وفي ذلك يقول الله ﷻ :﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (لأعراف:٢٧) . بل إن الكفار يحسدون المسلمين على تثبيت الله لهم على طاعته ، ويتمنون أن يكونوا مثلهم في الشرك ، والمعصية ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ (النساء: من الآية٨٩) . والآيات في هذا المجال كثيرة ، ولكن الأمر واضح ، ودلالاته بيِّنة .لذا برزت الحاجة إلى ضرورة غرس مفهوم الولاء والبراء لدى الناشئة من أبناء المسلمين بطريقة صحيحة وبمنهجية مدروسة ، مع الأخذ بعين الاعتبار ضرورة التكامل بين المناهج المدرسية المعدة وبين برامج المساجد ، والأندية ، وكذلك التنسيق بين دور المدرسة والمجتمع المحلي من أجل إنشاء الجيل الرباني الذي لا يحتاج إلى مراقبة دائمة ، بحيث يغرس في هذا الطفل الرقابة من داخله ، منطلقة من حبه لله ولدينه وعقيدته ، ومن طاعته لله ولرسوله .

الأبعاد الروحية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٨ -تحقيق شرع الله :-

إن تحقيق شرع الله ﷻ في الأرض مهمة الأنبياء والرسل والمؤمنين أجمعين ، بل هي الغاية من وجود الإنسان على هذه الأرض ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذريات:٥٦) ، سواء أكان هذا التحقيق بشكل فردي يلزم الإنسان نفسه من خلاله بتحري الحلال فيأتيه وتحري الحرام فيجتنبه ، أو بشكل جماعي يلزم الجماعة بتطبيق شرع الله في الأرض ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾(المائدة:٤٨) .

وهي مهمة شاقة تحتاج إلى جهد عظيم وولاء لله متين وبراء مما سواه صريم ، وأياً ما كان الأمر ، " فإن الإيمان لا يكتمل إلا بحب الله ﷻ الحب الحقيقي الصادق ، الذي يتمثل باتباع هدي الله ﷻ وهدي رسوله ﷺ ، والتمسك بشريعته المطهرة " (العك ، ١٤٠٨هـ ، ٥٠) .

بيد أن هذه المحبة ليست كلمة تقال ، ولا شعراً ينشد ، ولا احتفالاً بذكراه يقام هنا أو هناك إلا أن يُصاحبه الاتباع لهديه ﷺ ، إذ المحبة اتباع لسنة رسول الله ﷺ والسير على هداه ، والقيام بالدعوة لما جاء به ﷺ وتحقيق منهجه في الحياة ، وهذا في مجمله تدريب للنفس على مراقبة الله ﷻ في الأقوال والأعمال " فإذا تتبعنا حياة الرسول ﷺ وأصحابه نرى أن محبة الله من أهم الدوافع التي تجعل الإنسان حريصاً على تحقيق شريعة الله في سلوكه وحياته ، دون أن يكون عليه رقيب من البشر . ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران:٣١) " (النحلاوي ، ١٤٠٣هـ ، ٢٩٢) .

أما إذا قطع المسلم علاقته بدينه ، وارتباطه بعقيدته ، فإن تعطيل منهج الله في الأرض حادث لا محالة ، فيعم في الأرض الفساد ، وتحدث الفتنة ، ويقع الشرك ، ويُحكم بين الناس بشريعة الغاب . وفي ذلك يقول الله ﷻ : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (لأنفال:٧٣) " أي : إلا تفعلوا ما أمرتكم به ، من تواصل المسلمين ، وتولي بعضهم بعضاً ، واعتبار الكافرين أمة واحدة ، تحصل فتنة في الأرض ، ومفسدة عظيمة ، لأن المسلمين ما لم يصيروا يداً واحدة على الكفر ، ويعتبروا الكفر يداً واحدة عليهم ، يكون الكفر ظاهراً والفساد زائداً " (حوى ، ١٤٠٥هـ ، ج٤، ٢٢٠٥) .

٩ - بلوغ ولاية الله ومحبته ورضاه :-

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن جلَّ أمنية المسلم الذي تذوق طعم الإيمان ، وغاية مراده من جرَّاء عبادته ، أن ينال ولاية الله التي تؤهله إلى توفيقه في عبادته ، حتى يلقى الله ﷻ وهو عنه راضٍ ، فإذا ما قرأ المسلم قول عباس رضي الله عنهما: " أحب في الله وابغض في الله ، ووالِ في الله وعادِ في الله ، فانك لا تنال ولاية الله إلا بذلك ، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك ، وقد صارت مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئا " (الأصفهاني، ب. ت ،ج١، ٣١٢) . علم أن مبتغاه ومناه قريب ، إن جسَّد ما فيه ، فإذا ما قرأ في سيرة الصحابة والتابعين بعض صورهم في الولاء والبراء ، أيقن يقيناً جازماً بحتمية السير على خطاهم ، واقتفاء أثرهم ،فولاية الله للعبد تعني كما أشار الباحث سابقاً أنه : الولي وحده لا ولي سواه ، فالمراد به هو المتولي لأمور العباد في الواقع ، وذلك بما خلق لهم من المنافع ، ومن الأعضاء والقوى ، التي تمكنهم من الانتفاع بها ، وبما بيَّن لهم من السنن ومهد لهم من الأسباب وهذه الولايات العامة المطلقة ." أما ولايته للمؤمنين خاصة : فهي عنايته بهم وإلهامه وتوفيقه إياهم لما فيه الخير والصلاح الروحي والجسماني بما اختاروا لأنفسهم من الإيمان به وبما جاءت به رسله . أما ولايتهم له : فقد عبر عنها بالإيمان والتقوى ، فهم بالإيمان بولايته له يتولونه " .(عبده ، ب. ت ،ج٣،٤٤) .

وولاية الله لعباده الذين يتولونه تختلف تماماً ، عن ولاية المسلم لأخيه المسلم " فالله يتولى عباده المؤمنين ، فيحبهم ويحبونه ، ويرضى عنهم ويرضون عنه . وهذه الولاية من رحمته وإحسانه ، ليست كولاية المخلوق للمخلوق لحاجةٍ إليه ، قال الله ﷻ : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾ (الإسراء:١١١) . فالله ﷻ ليس له ولي من الذل ، بل لله العزة جميعاً ، خلاف الملوك وغيرهم ممن يتولاه لذله وحاجته إلى وليٍ ينصره " (الطحاوي ، ب. ت ، ٣٤٣) .

وأما حب الله لمن والاه ، فهي تبدو واضحةً جلية من خلال قوله ﷻ :﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ وإلى ذلك يشير ابن تيمية رحمه الله " فإن محبة محبوب المحبوب من تمام محبة الله ، فإذا أحب أنبياء الله وأولياء الله لأجل قيامهم بمحبوبات الحق ، لا شيء آخر ، فقد أحبهم لله لا لغيره . (ابن تيمية ، ١٣٩٩هـ ، ١٠٤). فعن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً زار أخاً له في الله في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكاً . فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية . قال : هل لك عليه من نعمةٍ تَرُبُّها ؟ قال : لا غير أني أحببته في الله عز وجل . قال : فإني رسول الله إليك ،بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه " (مسلم ، كتاب البر ،ج٤،١٩٨٨، ح٢٥٦٧) .

الأبعاد الروحية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويعود (ابن تيمية) رحمه الله ليؤكد على أن الولاء لدين الله والبراء مما سواه ، لا يقف عند حد محبة الله لأوليائه ، بل يتعدى ذلك ليصل إلى حقيقة هذا الحب " فاتباع سنة رسوله ﷺ واتباع شريعته ، باطناً وظاهراً هو موجب محبة الله ، كما أن الجهاد في سبيل الله ، وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه هو حقيقتها " (القحطاني ، ١٤٠٤هـ ، ١١١) .

وأما رضاه فهو متحققٌ لا محالة ، وذلك من خلال تأكيد الله ﷻ في أكثر من موضع ، ففي سورة المجادلة يقول ﷻ : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة:٢٢) " وهذه صورة وضيئة راضية مطمئنة ، ترسم حالة المؤمنين هؤلاء ، في مقام عال رفيع ، وفي جو راض وديع ، ربهم راض عنهم ، وهم عنه راضون . انقطعوا عن كل شيء ووصلوا أنفسهم به ، فتقبلهم في كنفه ، وأفسح لهم في جنابه ، وأشعرهم برضاه ، فرضيت نفوسهم بهذا القرب ، وأنست به ، واطمأنت إليه " (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج٨،٢٥) .

ويثني الله ﷻ على هذه النصرة وهذا الولاء ويباركه في سورة الفتح ، حيث قال تباركت أسماؤه : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾ (الفتح:١٨) . وأما الموضع الثالث فهو في سورة التوبة حيث قال ﷻ :﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة:١٠٠) .

وفي مقابل ولاء المسلمين لدينهم وبراءتهم من أعدائهم ، يكون التخلي عنهم ، والمسارعة في إرضاء أعدائهم ،من قبل مرضى القلوب والجهّال من المسلمين ، الذين بهرتهم الحضارة الزائفة الزائلة ، فيطيعون أعداء الله ، خطوة خطوة ، ودرجةً درجة ، حتى يصلوا بهم إلى الهاوية وبئس القرار ، **فتتحقق ولاية الشيطان وغضب الرحمن وسخطه** بدلاً من ولايته ﷻ ومحبته ورضاه . وفي ذلك يقول الله ﷻ :﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (لأعراف: الآية ٢٧) . ويقول أيضاً في تبيان تولي الشيطان لهم ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: الآية٢٥٧) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما الآيات التي تربط بين غضب الله وعدم رضاه ﷻ وبين موالاة المسلم لأعدائه فمنها قوله ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (المجادلة:١٤) وكذلك قوله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ (الممتحنة:١٣) . وأما عن سخطه وعدم محبته للذين يتولَوْن أعداءه فيتمثل في قوله ﷻ :﴿ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئاً وَلا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (الجاثية:١٠)

١٠ - التثبيت على الحق :-

إذا كان تحقيق الإيمان في قلب المسلم من أجلِّ المطالب ، وأنبل المقاصد ، فإن طلب التثبيت على هذا الإيمان من أكرم هذه المطالب ، إذ أن قلب ابن آدم كما أخبر رسول الهدى وعنوان المحبة محمد ﷺ بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ، وذلك كما جاء في الحديث الشريف فعن أنس بن مالك ﷺ قال : كان النبي ﷺ يُكثر من قول : " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " . قال : فقلنا : يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به ، فهل تخاف علينا ؟ قال : " نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله تعالى يقلبها " (سنن الترمذي ، كتاب القدر ، ح٢٠٦٦) .

لذا لم يترك الله ﷻ عباده المؤمنين ، حيارى فقد أرشدهم إلى طرق التثبيت على دينه ، مطمئناً إياهم ، بأن نصرهم لهذا الدين ، والتفافهم حول شرعه ، وموالاتهم لبعضهم البعض من أجل تحقيق منهاجه ، وحملهم الناس على تطبيق أركانه ، وحب أنبيائه صلوات الله عليهم وسلامه ، وتقدير علمائه ، ومقارعة أعدائه ، لهو أعظم أسباب التثبيت لهم ، فقال ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد:٧). فلقد فهم الصحابة ﷺ هذه الآية كفهمهم لسائر آياته ﷻ فجسدوها ، فانعكست على حالهم " فلقد ربى الكتاب والسنة الأمة ، على الحب في الله والبغض في الله ، والولاء في الله والبراء في الله ، حتى وصلت إلى حد ، أن لو قذفت في النار لكان أحب إليها من أن تعود في الكفر بعد إذ أنقذها الله منه " (القحطاني ، ١٤٠٤هـ ، ١١١) .

كما أن مصاحبة الصالحين ومفارقة الفاسدين ، وقطع الصلة بهم ، إن كان للمرء علاقةٍ قديمة مظهر من مظاهر الولاء لهذا الدين ، وهو أيضاً من وسائل الثبات ، بل من خيرها " هذا وإن خير وسائل الثبات ؛ الصلة الحسنة بالصالحين ، وصحبتهم ، والبعد عن الطالحين ، وعدم مرافقتهم ابتداءً أو تجديداً (موسى ، ١٤٢١هـ ، ٨٩) .

الأبعاد الروحية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وما دام الحديث عن الولاء والتثبيت ، فمن الوفاء بمكان ،عرض إحدى صور الصحابة الكرام ﷺ رموز الولاء والبراء ورموز الثبات ، فقد أورد البيهقي رحمه الله أن عمر رضي ﷺ وجَّه جيشاً إلى الروم ، وبينهم عبد الله بن حذافة، ، فأسروه ، فقال له ملك الروم : تنصَّر أُشركك في ملكي ، فأبي . فأُمر به فصلب ، وأمر برميه بالسهام ، فلم يجزع ، فأُنزل ، وأُمر بقدر فصب فيها الماء وأُغلي عليه ، وأُمر بإلقاء أسير فيها ، .فإذا عظامه تلوح ، فأُمر بإلقائه إذا لم يتنصر ، فلما ذهبوا به ، بكى ، قال : ردُّوه ، فقال : لم بكيت ؟ قال : تمنيت أن لي مائة نفس تُلقى هكذا في الله . فعجب فقال : **قبّل** رأسي وأنا أُخلي عنك . فقال : وعن جميع أسرى المسلمين ؟ قال : نعم . فقبَّل رأسه فخلَّى عنهم ، فقدم بهم على عمر ، فقام عمر فقبَّل رأسه .(العسقلاني ، ب. ت ، ج٢،٢٨٨)

ومواقف الثبات لدى الصحابة ﷺ كثيرة ، شأنها شأن سائر الأخلاق ، ولأن ضرب الصحابة أروع الأمثلة في الثبات ، فقد ضرب أنصار هذا الحزب الغالب والمنتصر بإذن الله في الوقت الحالي أروع الأمثلة أيضاً ، ذاك هو الأستاذ سيد قطب رحمه الله حيث "حاول الظالمون محاولات جاهدة يائسة للحصول منه على موقف تراجع ، أو كلمة اعتذار ، أو عبارة اعتراف ، وعرضوا عليه مقابل ذلك مغرياتٍ مادية كثيرة ، وساوموه مساومات عديدة ، ولكنه استعلى على هذه المغريات ، وآثر أن يذهب إلى ربه شهيداً ، عزيزاً كريماً ،واختار الدار الآخرة على الدنيا الفانية ، وأطلق عباراتٍ تقطر عزة وكرامة ، وإيماناً ويقيناً ، وثباتاً واستعلاءً ، منها قوله : إن أصبع السبابة الذي يدين لله بالوحدانية في الصلاة ، ليرفض أن يكتب حرفاً يقرّ به حكم طاغية " (الخالدي ، ١٤٠٦هـ ، ٢٥) .

من هنا كانت الحاجة ملحة لغرس الولاء لهذا الدين في نفوس أبنائنا ، ليكون لهم عوناً على التثبيت ، وخصوصاً في هذا الزمان المليء بالفتن ، وحتى لا تعصف بنا وبهم ، فتودي بنا إلى بئس القرار والعياذ بالله ، كما يتوجب على الدعاة المخلصين من أبناء الإسلام التركيز على ربط الأمة بدينها ، والتأكيد على هذه الأبعاد المهمة ، كما يتوجه الباحث إلى مسئولي مراكز التحفيظ ، والمحفظين إلى مصاحبة ما يقوم أبناؤنا بحفظه من كتاب الله بتفسير ما يتم حفظه ، مع ربط حفظهم بغاية جليلة وهي إقامة شرع الله في الأرض ، من خلال نصرة أبنائه والوقف إليهم جنباً إلى جنب ، وذلك لأن التقاعس عن نصرة المسلمين ، معناه أنك أعنت عليهم الظالمين ، وهذا مدعاة **للنكوص** بدلاً من الثبات ، حيث يقول ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران:١٤٩). وهي آية واضحة المعاني ، بينة المعالم ، يشير الله ﷻ فيها إلى أن طاعة الكافرين ، ومصاحبة الأشرار والمفسدين تورث الردة والنكوص والتراجع " فإن عدداً ممن صلح شأنه ، انتكس بسبب حنينه إلى رفاق سوء ، وإعادة الصلة بهم ، أو التعرف إلى أصحاب سوءٍ يمنونه ويضلونه " (موسى ، ١٤٢١هـ ، ٨٩) . وفي آية أخرى شبه

الأبعاد الروحية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ﷺ هذا النكوص ، وهذه الردة عن دين الله ، تشبيهاً خطيراً ، فقال ﷻ : ﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأنعام:٧١).

ولئن عزز الولاء والبراء ثبات المسلم فكان له عوناً على الشيطان ، كما تبين في الموقفين السابقين ، فإن طاعة الكافرين ، عززت من ردة أبي معيط وهو كما جاء في الدر المنثور " أبو معيطٍ هذا كان يجلس مع رسول الله ﷺ بمكة لا يؤذيه ، وكان رجلاً حليماً ، وكان إذا جلس مع بقية قريشٍ آذوه ، وكان لأبي معيط خليل غائب عنه بالشام ، فقالت قريش : صبأ أبو معيط . وقدم خليله من الشام ليلاً ، فقال لامرأته:ما فعل محمد مما كان عليه ؟ فقالت : أشد مما كان عليه أمراً .فقال : ما فعل خليلي أبو معيط ؟ فقالت : صبأ ، فبات بليلة سوء ، فلما أصبح أتاه أبو معيط فحياه ، فلم يرد عليه التحية ، فقال : مالك لا ترد علي تحيتي ؟ فقال : كيف أرد عليك تحيتك وقد صبوت ؟ قال : أوقد فعلتها قريش فقالت ؟ قال : نعم ، قال : فما يبرئ صدورهم إن أنا فعلت ؟ قال : تأتيه في مجلسه وتبصق عليه ، وتشتمه بأخبث ما تعلمه من الشتم ، ففعل . فلم يزد النبي ﷺ وأن مسح وجهه من البصاق ، ثم التفت إليه فقال : إن وجدتك خارجاً من جبال مكة أضرب عنقك صبراً . فلما كان يوم بدر وخرج أصحابه أبى أن يخرج ، فقال له أصحابه : اخرج معنا ، قال :قد وعدني هذا الرجل إن وجدني خارجاً من جبال مكة أن يضرب عنقي صبراً ، فقالوا : لك جمل أحمر لا يُدرك، فلو كانت الهزيمة طرت عليه ، فخرج معهم ، فلما هزم الله المشركين وكّل جمله في جُدد من الأرض ، فأخذه رسول الله ﷺ أسيراً في سبعين من قريش ، وقُدم إليه أبو معيط ، فقال : تقتلني من بين هؤلاء ؟ قال : نعم بما بصقت في وجهي فأنزل الله ﷻ في أبي معيط قوله :﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ۞ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً ۞ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً ﴾ (الفرقان: الآيات من ٢٧-٢٩) (السيوطي ، ١٤٠٣هـ ، ج٦، ٢٥٠) .

١١ - الخشية والرجاء والدعاء والتضرع

أشار الباحث في الصفحات السابقة إلى أن الولاء الصادق لدين الله والبراء الواضح من كل مما سواه من أخطر مظاهر التوحيد ، فإذا ما أخلص المسلم توحيده لله ، كان له تبعاتٍ وآثار ، ولازمته دلالات إيمانية جليلة " فمع التوحيد يصبح الرجاء في الله وحده ، والدعاء لله وحده ، والخشية من الله وحده ، والخشوع والتضرع إليه ، ولنعش مع ظلال الآيات الكريمة تعرض لنا هذه الصورة من جلال التوحيد . قال ﷻ : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ۞ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (الزمر الآيتان :٣،٢) (النحوي ، ١٤١١هـ ، ٧١) .

وللخشية من الله آثار عظيمة في وقاية المسلم من الوقوع في المعاصي والانجرار وراء أهوائه وشهواته ، فهي بمثابة حصن له ووقاية من الانكباب على المحرمات والشهوات . " ولولا خشية الله لاسترسل الإنسان في شروره ، وانكب على شهواته ، غير مقيم لمصلحة الغير أي اعتبار ، ولما نفعت في ذلك كل القوانين التي شرعت للمحافظة على الإنسان من عدوان الغير ، وهذا ما يعاني منه عالمنا المعاصر " (طبارة ، ١٣٩٩هـ ، ١٨٣) .

وخشية الله ﷻ تنبع من حب المسلم لدينه ، وحبه لربه وتعظيمه لحرماته وشعائره ، وتوقيره لرسوله ﷺ ، وهذا كله لا يتحقق إلا من خلال وجوده ضمن جماعة تحمل هذا الدين في قلوبها وعقولها، قبل أن تحمل الناس عليه ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾ (الكهف:٢٨) . وهذا يعني أن يوالي الإنسان هذا الدين وينصر هذه الجماعة المؤمنة . وذلك لأن " ولاء الإنسان لله ، ولاء تدفعه الفطرة التي فطر الناس عليها ، ولاء ينشأ عنه ، وينبع منه ، ويرتبط به ، ولاء المؤمنين بعضهم لبعض ، وتنبع منه روابط المؤمنين كلها في حياتهم الدنيا ، وينشأ عن هذا الولاء الأول ، الولاء الخالص لله أموراً أساسية منها : الخشية والرجاء والدعاء والتضرع ، كل ذلك يتوجه به الإنسان لربه خالقه ، لله رب العالمين " (النحوي ، ١٤١١هـ ، ٢٧٩) وللخوف والرجاء من الله ﷻ منزلة عظيمة في ميزان الإيمان " فلا يقود إلى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الأرجاء ثقيل الأعباء محفوفاً بمكره القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء ، إلا أزمّة الرجاء . و لا يصد عن نار الجحيم والعذاب الأليم ، مع كونه محفوفاً بلطائف الشهوات ، وعجائب اللذات ، إلا سياط التخويف وسطوات التعنيف ،والرجاء : هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده " " (حوى ، ١٤٠٨هـ ، ٢٨٧) .

وفي بيان العلاقة بين الولاء والرجاء يقول الله ﷻ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ (البقرة:١٦٥) " فعلى حسب المحبة وقوتها يكون الرجاء ، فكل محبٍّ راجٍ خائف ، بالضرورة فهو أرجى ما يكون لحبيبه أحب ما يكون إليه وكذلك خوفه " (ابن قيم الجوزية ، ١٤٠٣هـ ، ج٢،٤٤) .

أما التخلي عن نصرة المسلمين ، والوقوف في صف الأعداء ضدهم ، فإن ذلك يورث في **القلب قسوة** ، وفي الجوارح تبلداً ، وذلك لأن من صفات الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم كما

الأبعاد الروحية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أخبر الله تعالى ، قسوة قلوبهم ،ولا يرجى صلاحهم ، قال الله ﷻ : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ۞ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً﴾ (الفرقان: الآيتان ١٧،١٨) "يجيب المعبودون بعد تقريعهم من الله ﷻ لهم بقوله أأنتم دعوتم هؤلاء إلى عبادتكم ؟ فيجيبون : ليس للخلائق كلهم أن يعبدوا أحداً سواك ، لا نحن ولاهم ، فنحن ما دعوناهم إلى ذلك بل هم فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم من غير أمرنا ولا رضانا ، ونحن برآء منهم ومن عبادتهم ﴿ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ ﴾ أي طال عليهم العمر حتى نسوا الذكر ، أي نسوا ما أنزلته إليهم من ألسنة رسلك ، من الدعوة إلى عبادتك وحدك لاشريك لك ﴿ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً ﴾ قال ابن عباس : أي هلكى ، وقال الحسن البصري ومال والزهري : أي لا خير فيهم " (ابن كثير ، ب.ت ، ج٣،٣١٢).

ومن والى الكافرين صار منهم ، في كل شيء ، في الطباع والصفات ، والنوايا والأعمال ، ومن قسا قلبه ، لا رجاء منه ، فلا يتجه إلى الله بالدعاء ، ولا يعيش بين رجاء وخوف كحال المؤمن ، بل تجده يأمن من مكر الله ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (لأعراف:٩٩) .

الأبعاد الروحية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع

الأبعاد العقلية والفكرية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام

الأبعاد العقلية والفكرية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام .

الأبعاد العقلية والفكرية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام .

١. الوحدة الفكرية و الثقافية .

٢. الإبداع العلمي .

٣. اعتماد التفكير الموضوعي وأبعاده العقلية ومنها.

أ- البعد عن اتباع الظن .

ب- البعد عن اتباع الهوى .

جـ البعد عن التقليد الأعمى وسلبياته ومنها.

أولاً : طمس معالم التفكير والتفكر .

ثانياً : الحرمان من العلم وفهم الأمور على حقائقها .

ثالثاً : الرؤية النصفية وعقلية البعد الواحد .

رابعاً : التدني بمستوى التفكير إلى أدنى صوره .

٤. التفكر والتدبر والاعتبار .

٥. تفعيل دور العقل لما فيه صلاح الفرد والمجتمع

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الأبعاد العقلية والفكرية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام

لقد أكرم الله ﷻ الإنسان بالعقل ، ليدرك من خلاله صور المعارف ، ويفهم الكثير من حقائق الأشياء المادية ، وكذا حقائق المعاني المجردة ، وجعله مسئولاً عن التفكير في الأدلة الموصلة إلى هذه الحقائق ، فيميز بين طريقي الحق والباطل ، في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وهو مسئولٌ أيضاً عن حجب النفس عن الانجرار وراء أهوائها وشهواتها ونزعاتها ، التي تورده إلى ما فيه شره وضرّه ، أو هلاكه في عاجل أمره أو آجله ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (الإسراء:٧٠) . لذا اهتمت شريعة الله ﷻ بالعقل ، وكذا التفكير الموصل إلى الفهم اهتماماً عظيماً ، متناولةً إياهما بشكل كبير في القرآن الكريم والسنة النبوية ، وعملت على تمجيدهما ، وذمت في الوقت ذاته الذين يعطلون عقولهم عن الغاية التي خلقت من أجلها من تفكيرٍ سديدٍ ، كما ذمت أولئك الذين لا يأخذون بأسباب الفهم المتين وضوابطه الرصينة ، ممن يكتفون بالتقليد الأعمى ويتمسكون بالحجج الواهية ، والمزاعم الباطلة ، في اللحظة التي تقدم لهم فيها الدلائل القاطعة والبراهين الساطعة على بطلان أفكارهم ، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة:١٧٠) .

فقد كان لانتماء المسلمين لهذا الدين كبير الأثر في تفتيح عقولهم وقلوبهم إلى أسرار العلم ومكنوناته ، وتبصيرهم إلى حقيقة الكون والحياة ، مبتعدين عن ذل التبعية والأسر الفكري ، فمن خلال علماء المسلمين الأوائل الذين جردوا انتماءهم إلا من هذا الدين ، قامت حضارات الغرب التي نعاصرها اليوم . " ولولا جهود العرب لبدأت النهضة الأوروبية في القرن الرابع عشر من النقطة التي بدأ العرب نهضتهم العلمية في القرن الثاني للميلاد (طوقان ، ب.ت ، ٧) .

ومع هذه العلوم أخذ الغربيون من المسلمين عن طريق هذه المعابر ، أصول المنهج العلمي الحديث في شتي فروع العلم وبه اقتحموا مجاهل المستقبل و عليه أقاموا الحضارة الغربية الحديثة (حسن ،١٣٨٦هـ ،٦٦) .

وسيقف الباحث في هذا الفصل على الأبعاد العقلية والفكرية لولاء المسلمين الأوائل لدينهم وعقيدتهم . فقد أشار القرآن إلى العقل بمعانيه المختلفة مستخدماً لذلك كل الألفاظ التي تدل عليه أو تشير إليه من قريبٍ أو بعيد ، فسمي : تذكراً ونظراً واعتباراً وتدبراً واستبصاراً ، وهذه المعاني متقاربة، تجتمع في شيءٍ وتفترق في آخر " (عبيدات ، ١٤٢٠هـ ، ٣١) .

قال أهل العلم : العقل جوهر مضيء خلقه الله تعالي في الدماغ و جعل نوره في القلب ، و قال أهل اللسان :العقل ما ينجي صاحبه من ملامة الدنيا و ندامة العقبى. وقال حكيم : العقل حياة الروح و الروح حياة الجسد . وقال حكيم : ركب الله في الملائكة العقل بلا شهوة ، و ركب في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البهائم الشهوة بلا عقل ، و في ابن آدم كليهما ، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ، ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم . (التهانوي ، ١٤١٨ هـ ، ج٣،٣١٤) .

والعقل قسمان : ١-العقل الغريزي : وهو النضج الذي يتعلق به التكليف ، بحيث يعلم المدركات الضرورية التي لا تخفي على سليم العقل ، مثل : الواحد أقل من الاثنين ، و اجتماع الضدين من المحال ، و الصدق خير و الكذب شر إلي غير ذلك.

٢-العقل المكتسب : وهو ثمرة العقل الغريزي بالمعرفة بحيث يصبح مصيباً و ليس له حد ، لأنه ينمو بإطالة التفكير ، وكثرة التجارب و ممارسة الأمور ، لذا قيل : المشايخ أشجار الوقار ، ومنابع الأخبار ، ولا يطيش لهم سهم، ولا يسقط لهم وهم ، إن رأوك في قبيح صدوك وإن أبصروك على جميل مدَّوك (الماوردي ، ١٣٩٣هـ ، ٢٠) .

أما **الفكر في اللغة** : كما جاء في لسان العرب هو إعمال النظر أو الخاطر في الشيء (ابن منظور ، مادة فكر) . وهذا يقتضي أن الفكر هو حركة الذهن – التي عبر عنها ب " إعمال " – في موضوعٍ ما لتحصيل معرفة فيه ، فهو من باب الكيفية – إذ حركة الذهن كيفية- وليس من باب الصور والمعارف التي يحتويها الذهن ، فيكون تعريف الفكر هو المنهج الذي يسلكه العقل للوصول إلى المعرفة . أما **الفكر الإسلامي** : فهو المنهج الذي يفكر به المسلمون أو الذي ينبغي أن يفكر به المسلمون (النجار ، ١٤١٣هـ ، ٢٩) .

لقد كان لموالاة المسلمين لدينهم وبراءتهم من أعدائهم عظيم الأثر عليهم ، وعلى العالم أجمع في جميع المجالات ، وفي كل الاتجاهات ، ومنها المجال العقلي والفكري والثقافي ، ومن أهم هذه الأبعاد :

١- **الوحدة الفكرية والثقافية** :

إن موالاة الرعيل الأول من المسلمين لعقيدتهم ، كان له أثر واضحٌ جلي على وحدة الفكر لدى الجماعة المسلمة ، وذلك لأن وحدة المنهاج لأي أمة هي الركن الأساسي لوحدتها الشاملة ، حيث تفضي إلى وحدة الرؤى و الحلول في التنظيم الشامل للحياة ، فبقدر ما يختلف الناس في المنهج الذي يسلكونه ، فتتخذ كل فئة منهم منهجاً في النظر ذا صفات مخالفة لمناهج الآخرين ، بقدر ما تكون بينهم الفرقة ، وبقدر ما ينهج الناس نهجاً موحداً بقدر ما تتوحد رؤاهم وتتجانس أفكارهم حيث أن " للعقيدة سلطاناً قوياً على الفكر ، فالذي يفكر في أمرٍ من الأمور ، لا يستطيع أن ينزه عقله عن التأثر بعقيدته في تفكيره ، ولذلك تختلف طرق الناس في التفكير وأحكامهم على الأشياء تبعاً لاختلاف عقائدهم ، واتحاد العقائد أو تقاربها في الأمم يؤدي إلى وحدة الفكر " (المصري ، ١٣٩٨هـ ، ١٤٢) . ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر:٢٩) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولنا في تاريخ المسلمين مصداق بيّن في هذا الأمر يتمثل في مظاهر الوحدة التي تحققت للأمة الإسلامية " حينما كانت منفعلة في منهاجها الفكري بالخصائص التي بثها فيهم القران الكريم في المرحلة الأولي من حياتها على الأخص ، و هي خصائص مشتركة بين المسلمين، ويتمثل أيضاً في مظاهر الفرقة التي أحدثتها مناهج التفكير المستوردة من ثقافات خارجية ، مثلما أحدثه فيهم المنهج اليوناني ، و ما يحدثه اليوم المنهج الغربي ذو النزع المادي الغالب " (النجار ، ١٤١٣ هـ ، ٣٠) .

ولقد عمل الإسلام ومنذ اللحظة الأولى ، على توحيد المسلمين ليس عقائدياً فحسب ، بل فكرياً وعقلياً ، واجتماعياً ، وسياسياً ، فتوحدت الآراء وذابت الفروقات ،وصار المسلمون جسداً فكرياً واحداً ، وذلك لأنهم تحت رايةٍ واحدة ، ومنهجٍ واحد ، فتقاطعت أفكارهم في تناغمٍ يصعب على الذين لم يعايشوه تصديقه ، فانطبق قول الله ﷻ فيهم :﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء:٩٢) .

وهذه العقيدة الموحدة للمسلمين أيدلوجياً ،هي الموحدة أيضاً لعقولهم بتشكيلها خصال منهجيه متجانسة في النظر المعرفي ، أصبحوا بها يفكرون بالطريقة نفسها فيتوصلون إلى رؤى و حلول متجانسة في تدبير الحياة ، فالولاء لدين واحد ، ورب واحد هو " الذي يجمع الناس على عقيدة واحدة ، ومجموعة من الأفكار المرتبطة بها ، وهي أفكار تتصف بالوضوح ، وعدم التناقض ، ولذلك تجد الناس المؤمنين بها ، يسيرون في خط فكري واحد " (سلطان ، ب. ت ، ٥٠) .

ولقد أرجع (أبو دف) هذه الوحدة الفكرية إلى ثلاثة عوامل هي:

أ- وحدة المصدر : وهو كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ .

ب- الاحتكام إلى الله في مواطن الخلاف : مصداقاً لقوله ﷻ : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (الشورى:١٠) .

جـ - التشاور في الأمر : مصداقا لقوله ﷻ :﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾(الشورى: الآية٣٨) (أبو دف ، ١٤١٢هـ ، ٤٠٢) .

وجميعها عوامل منبثقة جميعا من الولاء لهذا الدين ، وتعمل جميعها متفاعلةً فيما بينها على جعل المسلمين المنتمين له ، المتبرئين مما سواه يسيرون في خط فكري واحد ، فتتوحد قلوبهم مع توحيد أفكارهم ، أما إذا ما تعددت مصادر التلقي ، بسبب تشتت المسلمين ، وبعدهم عن نصرة دينهم ، فإن هذا بلا شك يودي بهم إلى **التشتت الفكري** ، والاختلاف على أتفه الأمور ، كما هو حاصل اليوم في مجتمعنا الحديث ، وفي ذلك يقول المولى ﷻ على لسان يوسف عليه السلام : ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (يوسف:٣٩) .

كما لم يعمل الولاء على الوحدة الفكرية للأمة الإسلامية فحسب ، بل عمل أيضاً على وحدة الثقافة أيضاً ، التي لم تنجح أمة في التاريخ القديم ولا المعاصر في صقلها في بوتقة واحدة ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذلك لأن مقومات النجاح ما وجدت إلا في هذا الدين الخالد ، ونحن نرى في هذه الأيام الجهود الجبارة التي تبذلها الولايات المتحدة من أجل صهر الثقافات جميعها وفق الثقافة الغربية ، فما نجحت ولن تنجح ، والسبب في ذلك بسيطٌ للغاية ، وهو أن هذه الثقافة تعاني من الإفلاس في القيم الإنسانية . " و الثقافة الإسلامية ، أو إنجاز الحياة بالطريقة الإسلامية لا تتحقق إلا إذا كانت أسلوباً يقوم علي عنصرين أساسين ، الأول : القيم الإسلامية الثابتة من عقيدة و شريعة و أخلاق ، والثاني : الوسائل المتغيرة بتغير الظروف ، فإذا أقام المسلمون حياتهم علي أسلوبٍ يأخذ بالعنصر الأول و يهمل العنصر الثاني ، فان ثقافتهم تكون متخلفة قاصرة ، وإذا ما أقاموها علي أسلوبٍ يأخذ بالعنصر الثاني و يهمل الأول ، فان ثقافتهم تكون ثقافة ضالة و قد تكون فاجرة ، فالثقافة الإسلامية الحق هي التي تتفاعل فيها القيم الدينية الثابتة مع الكسب المعرفي الإنساني المتنافي باطراد " (النجار ، ١٤١٣ هـ ، ٧٦) .

والناظر عبر التاريخ ، منذ القدم وإلى يومنا هذا يرى أن العقيدة وحدها هي التي استطاعت أن تصهر جميع الثقافات الأخرى في بوتقة واحدة " فلقد تقاطر لاعتناق هذه العقيدة أقوام انسلخوا من عقائدهم و ثقافاتهم الدينية و الفلسفية المختلفة ، فإذا بها العقيدة الجديدة تحدث فيهم ثورة منهجية في النظر ، أفضت بهم إلى وحدة في الفكر تقف عليها فيما أثمروه من مؤلفات و فنون و عمران ، و استوي فيها من كان منحدراً من جاهلية أو وثنية أو مسيحية أو مجوسية ، إنها العقيدة الإسلامية (النجار ، ١٤١٣ هـ ، ٣٢) .

فقد نتج عن موالاة المسلمين لدينهم ،والتفافهم حول عقيدتهم وحدة فكرية ووحدة ثقافية ، ولكن إذا قطع المسلمون صلتهم بهذا المنهج الرباني ، فعمدوا إلى مناهج وضعية ، شرقية تارة ، وغربية أخرى ، فلا شك أن الوحدة ستصبح فرقة ، وبالتالي يسهل احتواء هذه الحضارة ، واستلاب هذه الثقافة ، فنتيجة تخلي المسلمين عن نصرة دينهم ، وموالاتهم لأعدائهم ، غابت عقلية التفكير الناقد ، و سيطرت التبعية و الإمعية والتقليد الأعمى ، بحيث استطاعت الدول الغربية بنجاح ، إيجاد ركائز عربية معبرة عنها ، ومتبنية لوجهه نظرها ،بل و تحمل أفكارها و تدافع عن مواقعها الثقافية التي احتلتها في الجامعات ، و المعاهد ، و المؤسسات العلمية ،خاضعة و محتكمة إلى قوالبها الفكرية نتيجة موالاة أصحاب هذه الركائز لمعلميهم الأجانب ، " فلقد نجحت العقلية الأوربية الاستشراقية في فرض شكليتها و آليتها على التحقيق والتقويم والنقد ، وسيطرت على مصادر التراث العربي الإسلامي ، و بادرت إلى التحقيق و الطبع و النشر لمجموعة من أكبر و أهم المصادر التراثية ، وعلى الرغم من أن بعض هذه الدراسات كانت تقترب من صفة النزاهة و الحياد ، إلا إنها في النهاية و بكل المقاييس تبقى مظهراً من مظاهر الاحتواء الثقافي"(حسنة ،١٤١٢هـ ،٢٤).

الأبعاد العقلية والفكرية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد حذرنا الله ﷻ من هذا الولاء ، وهذه التبعية ، لأن فيها خسارتنا ، من جميع مناحي الحياة ، الإيمانية والأخلاقية ، والاجتماعية ، والعقلية ، والثقافية ، وغيرها من المجالات الأخرى ، حيث قال ﷻ :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران:١٤٩) . وهذه الخسارة بدهية ، لا تحتاج إلى كثير جهد ووقت لتبيانها ، وذلك لأن الذين كفروا خسروا الدنيا والآخرة ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (يونس:٤٥) فلم نسمع يوماً وعلى مدار التاريخ ، أن خاسراً جلب لغيره ربحاً أو مكسباً .

ولقد كان القرآن الكريم أكثر تأكيداً على هذه الخسارة بقوله ﷻ :﴿ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً ﴾ حيث قال ﷻ : ﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً ﴾ (النساء:١١٩) .

٢ - الإبداع العلمي

الإبداع : هو أيجاد الشيء من لاشيء ، وقيل : الإبداع تأسيس الشيء عن الشيء والإبداع والابتداع إيجاد شيء غير مسبوق بمادة " (الجرجاني ، ١٤٠٣هـ ، ٨) .

" فلقد أبدع العقل الإسلامي ، ابتدع قيماً جديدة ، و ابتكر و اكتشف الكثير من المعطيات و النظم الحضارية التي كانت بمثابة الأسس التي بنيت عليها فيما بعد حضارات أخرى في مشارق الأرض و مغاربها " (خليل ، ١٤١٠هـ ، ٩١) .

ولقد كان لهذا الإبداع كبير الأثر ليس على المسلمين فحسب ؛ بل امتد ليشمل الغرب المسيحي المتخلف آنذاك ، وإلى ذلك يشير .(سمعان ، ١٣٨٢هـ ، ١٤) بقوله : بدأ الغرب المسيحي المتخلف ، يتصل بالشرق الإسلامي المتحضر مع بداية القرن الثاني عشر الميلادي ، عن طريق ما يصطلح المؤرخون علي تسميته " معابر الحضارة " الإسلامية إلى الغرب التي تتخلص في الأندلس و صقلية أخطر هذه المعابر و أكثرها تأثيراً و فاعلية ، و الرحلات التجارية من الشرق و الغرب : و الحروب الصليبية وآلاف الكتب العلمية التي ترجمت من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية ".

ولقد ربط القرآن الكريم بين الولاء والبراء بشكلٍ خاص وبين الفلاح الذي يعتبر الإبداع جزءاً منه ، ذلك لأن كلمة فالح ، أو مفلح كلمة واسعة تحمل في طياتها معانيَ كثيرة ، منها ما يتعلق بالدنيا ومنها ما يتعلق بالآخرة ، ونحن هنا نريد أن نوضح إحدى معانيها في الدنيا وهو النجاح والإبداع العلمي ، حيث يقول العيسوي : " إن الإبداع يتضمن التفكير المتشعب أو المتعدد ، وهو تفكير جديد ومختلف وغير عادي ومرن وطلق ، ولكنه ليس الذكاء المتبلور الرسمي " (العيسوي ، ١٤١٧هـ ، ٢٣٦) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا الإبداع العقلي الذي تميز به المسلمون الأوائل لا يستطيع أن ينكره قريبٌ أو بعيد ، بل يشهد له العدو والصديق ، يقول ﷻ :﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة:٢٢). ابتدأت الآية في نفي صفة الإيمان عن الذين يوالون من حارب دين الله ، حتى ولو من أقرب قريب ، وهو بذلك ينهى عن موالاتهم ، بل ينهى عن مودتهم وهي أحدى مظاهر الموالاة كما مر معنا في مفهوم الولاء والبراء ، وانتهت الآية بشهادة من الله ﷻ بفلاح من برأ منهم ، ونجاحهم في الدارين ، الأولى والآخرة ، وقد أتم الله وعده لأوليائه من المسلمين الأوائل في الدار الأولى عندما أخلصوا ولاءهم وصدقوا براءهم ، حيث وصلوا إلى أعلى درجات الذكاء ، والتفتح العقلي ، والإبداع العلمي ، لدرجة أن أعداء الإسلام ، بل ألد أعدائه شهدوا بعبقرية العقل الإسلامي ، وهذا إن دل على شيءٍ فإنما يدل على عظيم أثرهم ، ورفعة شأنهم ، ليس في نهضة الحضارة الإسلامية فحسب ، بل في التأسيس للحضارة الغربية المعاصرة التي قامت على الفكر الإسلامي المبدع . " و الشهادات على دور العقل الإسلامي في إغناء الحضارات البشرية ، و الإضافة عليها و ارتياد الآفاق المجهولة ، و اكتشاف القيم المعرفية و التجريبية كثيرةٌ غزيرةٌ ، صدرت عن كتَّاب و دارسين ، و علماء و أكاديميين ، شرقاً و غرباً ، بحيث يصعب علينا أن ننتقى منها " (خليل ، ١٤١٠هـ ، ٩٢) .

وهذه بعض شهاداتهم ، لنبيّن من خلالها دور الانتماء و الولاء لهذا الدين ، في بناء العقلية الإسلامية ، ليدرك المسلم الذي احتار في هذا الزمان تحت أية راية يقف ، و من أي منهج ينهل ، و حتى يرى أولئك الذين ابتعدوا عن دينهم فطُمست أعينهم ، و أُغشيت أبصارهم ، إلى ما أنتجه ولاء المسلمين لعقيدتهم من أبعاد عقلية و فكرية . ومن شهادات الغرب:

١- يقول سارتون: "حقق المسلمون ، عباقرة الشرق ، أعظم المآثر في القرون الوسطى . فكتبت أعظم المؤلفات قيمة و أكثرها أصالة و أغزرها مادة باللغة العربية ، وكانت من منتصف القرن الثامن حتى نهاية القرن الحادي عشر لغة العلم الارتقائية للجنس البشرى ، حتى لقد كان ينبغي لأيٍ كان إذا أراد أن يلم بثقافة عصره، وبأحدث صورها أن يتعلم اللغة العربية ، ولقد فعل ذلك كثيرون من غير المتكلمين بها" (مظهر ، ١٣٨٧هـ ، ١٧٠) .

٢- يقول غوستاف : " ظلت ترجمات الكتب العربية ولاسيما العلمية مصدراً وحيداً تقريباً للتدريس في جامعات أوروبا خمسة قرون أو ستة قرون ، ويمكننا أن نقول أن تأثير العرب في بعض العلوم كعلم الطب مثلاً ، دام إلى أيامنا ، فقد شُرحت كتب ابن سينا في مونبليه في أواخر القرن الماضي " (العمري ، ١٤١٠هـ ، ٢٥٥) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- يقول البند جراهر لال نهرو: " كان لابد من وجود ابن الهيثم والخازن والكندي وابن سينا والخوارزمي والبيروني لكي يظهر جاليلو وكبلر وتوبرنيق ونيوتن " (منتصر ، ب.ت ، ٢٠٥).

٤- تقول الدكتورة سيجرند هونكة : " إن أوروبا تدين للعرب وللحضارة العربية ، وإن الدَيْن الذي في عنق أوروبا وسائر القارات الأخرى للعرب كبير جداً ، وكان يجب على أوروبا أن تعترف بهذا الصنيع منذ زمنٍ بعيد ، ولكن التعصب الديني واختلاف العقائد أعمى عيوننا وترك غشاوة عليها " (هونكة ، ب. ت ، أ) .

٥- يقول المفكر الأوروبي " داربر : " ليست أوروبا أرقى حضارةً ، ولا أرقى تقدماً ، ولا أعلى ذوقاً ، ولا أجمل مظهراً ، مما كانت عليه الحضارة الإسلامية في بغداد والأندلس ، يوم أن كانت أوروبا غارقة في جهلها وظلامها .. كانت شوارع المسلمين في أيام حضارتهم الزاهية مضاءة ، مبلطة بالأحجار ، وكانت لهم جوامع كثيرة ومكتبات مرتبة ومستشفيات منظمة ، غير ما كانوا عليه من حريةٍ وحب وإخاء وتراحم " (فراج ، ب.ت ، ٤) .

كان هذا غيضاً من فيض من شهادة مفكري الغرب وعلمائهم لإبداعات المسلمين الأوائل ، ولإلقاء الضوء على بعض هؤلاء المبدعين في بعض المجالات نورد هذه الومضات .

١- في الرياضيات :أسهم المسلمون في إغناء المعرفة الإنسانية ، وقد تابعوا دراسة علم الحساب إلى مدى بعيد ، فالدولة الإسلامية تطلبت تقديرات حسابية لتنفيذ أحكام الزكاة ، والجزية ، والخراج وتقسيم الإرث...كما نص على ذلك القران الكريم. ففي الجبر، برز محمد بن موسى الخوارزمي(توفى ٨٥٠م)، الذي يعود إليه تأسيس علم الجبر ، وهو الذي تعمق في هذا العلم مدى أبعد من الإغريق ، وكتابه " كتاب الجبر و المقابلة"قدم للعالم تعبيراً خاصاً عن هذا الفرع من الرياضيات . ويعد كتابه أفضل كتاب في مادة الجبر حتى الأزمنة الحديثة. وأدخل البتانى (توفى عام ٩٢٩ م) النسبة في علم المثلثات كما هي معروفة اليوم ، وتبعه عالم عربي لامع في الرياضيات هو أبو الوفا (توفى ٩٩٧ م)الذي اكتشف معادلة لجمع الزوايا وهو الذي اكتشف أيضاً الخط الذي يقطع القوس .

أما الهندسة ، فقد كانت متقدمة عند المسلمين ، وهم الذين استخدموها في مجالات عملية ، كالمساحة و إنشاء طواحين الماء، إضافة إلى استخدامهم إياها كثيراً في أغراض الزينة في فنهم، و لعل أهم إسهام للعرب في حقل الرياضيات كان إدخالهم الرموز التي سموها "الأرقام الهندية" . والمسلمون هم الذين بسطوها و جعلوها طيعة بحيث قبلها العالم على مر العصور . (خليل ، ١٤١٠هـ، ٩٥) .

الأبعاد العقلية والفكرية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- في الفيزياء : " يقول أحد كبار الباحثين من علماء أمريكا : إن ابن الهيثم أعظم عالم ظهر عند العرب في علم الطبيعة ، بل أعظم علماء الطبيعة في القرون الوسطى ، ومن علماء البصريات القليلين المشهورين في العالم كله . وقد بقيت كتبه منهلاً ينهل منه فحول علماء أوروبا كروجر باكن وكبلر وفنزي وو ايتلو " **أما البيروني** (توفى ١٠٥٠ م) فقد اكتشف عن طريق التجربة عدداً من الجاذبيات المحدودة بوساطة ما اسماه " المخروط"، ويعد هذا أول مقياس للثقل النوعي. (طوقان ، ب.ت ، ١٦٧) . أما الخازنى (توفى١١٠٠ م)فقد استخدم مقياسا للكثافة شبيها بذلك المقياس الذي استخدم قديماً في الإسكندرية للتحري عن خواص السوائل ، كما بحث مشكلة كثافة الماء عند منتصف الكرة الأرضية ، تلك المشكلة التي تناولها بعينها روجر بيكون.(خليل ، ١٤١٠هـ ، ٩٧).

٣- في علم الفلك : كان البتانى(توفى ٩٢٩ م) من أبرز علماء القرن العاشر من الذين أسدوا أجلَّ الخدمات إلى العلوم . اشتهر برصد الكواكب والأجرام السماوية . وعلى الرغم من عدم وجود آلات دقيقة كالتي نستعملها الآن ، فقد تمكن من إجراء أرصاد لا تزال محل دهشة العلماء ومحط أنظارهم ، حتى عدَّه (كاجوري) و(هاليه) من أقدر علماء الرصد ، وقال عنه (سارطون) : إنه من أعظم علماء عصره وأنبغ علماء العرب في الفلك والرياضيات "(طوقان ، ب-ت ، ١٣٠) وتبعه عمر الخيام (توفى ١١٢٣م)الذي صمم تقويماً جديداً هو التقويم الجلالى وقد اخطأ بيوم واحد في كل خمسة آلاف سنة ، أما أبو معشر (توفى٨٨٦م) فقد بحث بشكل دقيق في العلاقة بين المد و الجزر و حركة القمر.(خليل ، ١٤١٠هـ ،٩٨) .

٤- في الكيمياء :جابر بن حيان (توفى حوالي ٨١٥ م) الذي أجرى عدداً من التجارب على المواد العضوية الحيوانية و النباتية وسجل ملاحظاته و تجاربه التي أدت إلى تحضير حامض المازوت لأول مرة في التاريخ.وكان الرازي رغم شهرته في ميدان الطب و الفلسفة ذا قدم راسخة في مجال الكيمياء ، إلا أن اهتمامه تركز على الكيمياء المختبرية أكثر من الكيمياء العامة وفرضياتها (خليل ، ١٤١٠هـ ، ٩٨) .

٥- في الطب :الزهراوى (توفى ١٠١٣م) الذي يضم كتابه " التصريف لمن عجز عن التأليف " قسماً عن الجراحة يعتبر أعظم إسهام في هذه الموضوع في القرون الوسطى ، والرازي (توفى ٩٢٥م) الذي كان أول من ميز بين مرضى الجدري والحصبة و ذلك في كتابه " في الحصبة و الجدري " أما كتابه الكبير" الحاوي" فيعتبر موسوعة طبية يلخص فيه معارف الإغريق و الفرس و الهنود في الطب و يضيف بعدها ملاحظاته الشخصية. أما في طب العيون فهنالك على بن عيسى ، وعمار الموصلي " وكلاهما عاش في النصف الأول من القرن الحادي عشر"، وقد ألف كل منهما

الأبعاد العقلية والفكرية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكتب حول الطب ، ووسعا دائرة المعرفة الطبية اليونانية ، وأضافا التعليمات العديدة حول إجــراء العمليات ، كما أضافا ملاحظاتهما الشخصية (خليل ، ١٤١٠هـ ، ١٠١) .

٦- في علم الجغرافيا : أبدع المقدسى(توفى ١٠٠٠م) حيث صور في كتابه " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " كل قطر من أقطار العالم الإسلامي ، وما وراءه من أقطار وصل إليها فتحدث عن طبيعة أرضها ومناخها وحدودها ، كما شمل كتابه مختلف أنواع الجغرافية واقترب في كثيرٍ من ملاحظاته من فهم الجغرافية على الطريقة الحديثة " (فراج ، ب. ت ، ٩٦) .

لقد كان لولاء المسلمين الأوائل لدينهم ، ونصرهم عقيدتهم ، وتمسكهم بمنهاج واحد ، عظيم الأثر في تفوقهم العلمي ، الأمر الذي ما ترك خياراً أمام أعدائنا إلا أن يُقرُّوا معترفين بفضل إبداعاتهم في شتى الميادين العلمية ، ولكن رب امرئ لم يعرف تراث الأمة الثقافي والحضاري ، ولم يقف على عظمة هذا التراث يسأل فيقول : من المسئول عن هذا التخلف بعد هذا الإبداع ؟ ما الذي أوصل المسلمين اليوم إلى هذه الحالة المتردية من الانحطاط العلمي بعد الرفعة والعظمة ؟

فقد تتنوع الأسباب وتتعدد ، بل قد تتفرع و تتشعب ! بيد أن هذه الأسباب مهما بلغت من التعدد والتشعب والتعقيد والتبسيط يمكن حصرها في سبب واحدٍ يجمعها جميعاً ، ألا وهو تخلينا عن سبب رفعتنا ومصدر عزتنا ، وابتعادنا كثيراً عن النبع الصافي ، رغم تحذير الله ﷻ لنا في كثير من الآيات البيّنات﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (لأعراف:٣) . لقد ربط الله ﷻ في هذه الآية بين موالاة من خالفوا منهج الله وعقيدته وبين قلة التذكر ، والتذكر كما هو معروف إحدى وظائف العقل " يشير القرآن إلى العقل بمعانيه المختلفة مستخدماً لذلك كل الألفاظ التي تدل عليه أو تشير إليه من قريبٍ أو بعيدٍ ، فسميَّ : تذكراً ونظراً واعتباراً وتدبراً واستبصاراً وهذه المعاني متقاربة ، تجتمع في شيءٍ وتفترق في آخر " (عبيدات ، ١٤٢٠هـ ،٣١) .

ويمضي عبيدات موضحاً سبب تسميته تذكراً فيقول : وسمي تذكراً لأنه إحضار للعلم الذي يجب مراعاته بعد ذهوله وغيبته عنه . و لقد ربط الله ﷻ بين قلة الذكرى والتذكر وبين اتخاذ أولياء من دون الله ، وهو دلاله على أن لموالاة الكفار تبعات عقليه على المدى البعيد وهى قلة الذكرى ﴿ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ أي قليلاً يا معشر المشركين ما تتذكرون وتتعظون ، وهذا استبطاء في التذكر وخرج مخرج الخبر ، والمراد به الأمر ، فمعناه تذكروا كثيراً ما يلزمكم من أمر دينكم ، وما أوجبه الله عليكم ، ومعنى التذكر أن يأخذ في الذكر شيئاً بعد الشيء ، مثل التفقه والتعلم " (الطبرسي ، ١٤١٥هـ ، ج٤،٢١٥) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بدأ هذا الانحطاط العلمي منذ بدأ المسلمون يتولون الكافرين " فمنذ شيوع الأوهام و الخرافات و ضيق الفكر و ظهور روح اليأس التي كانت تجري كالسم الزعاف في أجسام المفكرين قد قوت جذور الضعف الأخلاقي و المعنوي و الانحطاط العلمي و الاجتماعي (عسيري ، ١٤٠٧هـ ، ١٥٠) . وقد بيَّن القرآن الكريم ، أنه من والى أعداء الإسلام من الكفار والمشركين والمنافقين فقد أصبح مثلهم ، يتصف بصفاتهم ، ويتأسى بأفعالهم ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ فهو بالتالي سيتصف بصفاتهم ، من قلة التذكر وانعدام الذكرى ، بل سيصل إلى حالٍ أسوأ منهم نظراً لتعطيل آلية الفكر الناقد والإمعية والتقليد الأعمى .

ورب قائلٍ يقول كيف تصف من والى أعداء الإسلام ، أو من ابتعد عن دين الله بالجهل والانحطاط ونحن نرى هذه الحضارات العظيمة والازدهار العلمي ؟! فيزيل الطنطاوي هذه الشبهة بقوله : " إن الحضارة التي تعيشها البشرية اليوم لا تنفي صفة الجهالة التي تتخبط فيها الإنسانية في بقاع الأرض ... ذلك لأن حضارة اليوم هي مادية بكل مفهومها ومقوماتها وليس للمادة دور في تقدير معالم الإنسان ،فكل من ابتعد عن النور فهو جاهل ، وكل من أصم أذنيه عن سماع الحق وانحرف عن المنهج الإلهي القويم فهو إنسان يعيش في جاهلية عمياء وان ادعى خلاف ذلك " (الخولي، ١٣٩٦هـ ، ٣١) .

وهذا ما يؤكده " أرنولد توينبي " في كتابه الحضارة والغرب والحضارة في محنة قائلاً : " إن الحضارة الغربية تمر الآن في طور التدهور والانحلال إلى مرتبة الحضارات العتيقة ، ومن أجل هذا كانت فنون الصناعة والاقتصاد وغيرها من المعارف غير كافية للمجتمع الإسلامي ، وذلك لأن الروابط الروحية هي القواعد التي يقوم عليها صرح المجتمع وتماسك بنانه ، وهذه الروابط في طريقها إلى التردي والانهيار " (الأزرق ، ١٣٩٦هـ ، ٩١) .

الأبعاد العقلية والفكرية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣ -اعتماد التفكير الموضوعي وأبعاده :

حين يوالي المسلم دينه ويبرأ من أعداء الإسلام ، له أن يكرمه الله بالتفكير الموضوعي و يبعده علي الامعية والتبعية العمياء ، و لنا في سيدنا إبراهيم عليه السلام أسوة حسنة ، عندما اتجه بعقله المتحرر من أسر الإمعية والتبعية ، مقلباً نظره بين الأصنام التي يعبدها أبوه وقومه ، وبين الشمس و القمر و النجوم ، وبين الخواطر التي كانت تراوده عن إله آخر أعظم منها جميعاً ، فاكتشف مكامن الضعف في المعطيات الأولي ، و مكامن القوة في الافتراض الأخير فانتهي بهذه العقلية النقدية إلي الحق قائلاً : كما جاء في القرآن الكريم ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام:٧٩)

أما الدعوة للتفكير الموضوعي من خلال مفهوم الولاء والبراء فيبدو واضحاً في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (المائدة:٥٧) .

إذ كيف يعقل لمن اتصفوا بصفة الإيمان ، القائم على حب هذا الدين العظيم ، وبغض كل من خالفه وعاداه من الكفرة والمشركين والمجرمين ، كيف لهؤلاء العقلاء الذي طالما مدحهم الله عز وجل بصفات كثيرة توحي بتفكيرهم الموضوعي ، والذي يعني" أنه مجموعة الأساليب والخطوات والأدوات ، التي تمكننا من الوقوف على الحقيقة ، والتعامل معها على ما هي عليه ، بعيداً عن الذاتية والمؤثرات الخارجية " (بكار ١٤١٣هـ ،٤٥) . فوصفهم بأولي الألباب في آياتٍ كثيرة ، وكذا بأولي النهى ، وتارةً قال يتفكرون ، وأخرى يعقلون وتعقلون ، فكيف يكون لهؤلاء بعد هذه التزكية الربانية أن يتخذوا من اتخذ دينهم وعبادتهم لهواً وهزواً أولياء ؟ ! يحبونهم وينصرونهم ويصدقونهم ، بل قد يصل الولاء إلى تفضيلهم على إخوانهم المؤمنين ، من هنا كانت دعوة من الله مفتوحة على مر العصور والأزمان لمن والى الله ورسوله والمؤمنين ليمعنوا النظر في المعطيات التي أمامهم . وقد أشار (القاسمي ، ١٣٧٧هـ ، ج٦،٢٠٥٦) إلى ذلك بقوله : " وإنما رتب النهي على وصف اتخاذ الدين هزواً ولعباً تنبيهاً على العلة ، وإيذاناً بأن مَنْ هذا شأنه ، جديرٌ بالبغضاء والشنآن والمنابذة ، فكيف بالموالاة ؟ " .

لقد وصف تعالى وتعالى الذين كفروا بأنهم قومٌ لا يعقلون ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ ﴾ (المائدة:٥٨) . فإذا كان هذا الوصف للكافرين ، فكيف يكون الوصف إذا أصاب المسلم الذي أكرمه الله بالعقل ، وجعل له نوراً يمشي به في الناس ؟! ثم بعد هذا كله لا ينتفع بهذا العقل وهذا النور ، إنها قمة الغباء وقمة العمى ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام:١٢٢) .ففي قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ ﴾ قولان :**الأول** : إنهم لا يعقلون ما لهم في إجابتهم لو أجابوا إليها من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الثواب ، وما عليهم في استهزائهم من عقاب .**والثاني** : إنهم بمنزلة من لاعقل له ، يمنعه من القبائح ويردعه عن الفواحش . (الطبرسي ، ١٤١٥هـ ، ج٣،٣٦٦).

ثم إن القرآن واضحٌ في تعليماته وتوجيهاته للمؤمنين، حيث أكد نهيه المسلمين عن موالاة الكافرين في آياتٍ بيناتٍ ولأسبابٍ واضحة ، حيث قال ﷻ : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة:١٠٩).

والسبب هنا واضح والحكمة جلية من وراء نهي الشارع عن موالاة أهل الكتاب ، ألا وهو ما يحيك في صدورهم من غلٍ وحسدٍ تجاه المسلمين ، وهذا سببٌ لو لم ينزل الله غيره لكفى في توضيح حقد الكفار على المسلمين ، وذلك لأن نفوسهم المريضة لا تستطيع أن تستجيب لأمر الله ، فتؤمن كما آمن المسلمون ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾(البقرة: الآية٤٥) ولكن الله ﷻ قضى في حكمه وعدله ألا يعذب عباده إلا بعد أن يبين لهم آياته ودلالاته ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل:٤٤) .

لذا جاءت هذه الآية لتؤكد حكمة الله في نهي المؤمنين عن موالاة الكافرين حيث قال ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران:١١٨) .

فمن خلال هذه الآية الكريمة يستثير الله ﷻ عقل المسلم لإمعان الفكر والنظر ، وربط المعطيات بالنتائج ، حيث نهى عباده المؤمنين عن موالاة مَنْ ليس منهم ، والبطانة كما مر معنا هي : ما يلي البدن من اللباس ، وهي خلاف ظهارته مأخوذة من البطن ، أما ﴿ بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ ﴾ فالمقصود بها من دون المؤمنين الصادقين ،بدءاً بالكفرة الملحدين وانتهاءاً بالمنافقين الذي لا يؤتمنون على أسرار المسلمين ، والحكمة من هذا النهي الحازم ، أن هؤلاء لا يألونهم خبالاً " أي لا يقصرون مجتهدين ، ولا يبطئون في عملٍ يبغونكم به فساداً أو نقصاناً وإضراراً ، دونما فتور ولا ضعف ، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، وكذا يودون ويتمنون أن ينزل بكم الضرر الشديد ، والأذى وأنواع المشقة والتعب ، وأن تحبط أعمالكم وتفسد " (الميداني ، ١٤١٤هـ ، ٢٩٤/١) .

فهي إذن دعوة للتفكير الموضوعي وعدم الانسياق كالأنعام دون إمعان النظر فيما يدور من حولنا، لذلك ختم الله الآية بقوله ﷻ :﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي قد وضحنا لكم العلامات والدلائل التي تدلكم على أعدائكم ،وبينا لكم طريق الحماية والمناعة من شرورهم التي تتبينونها ،وتستهدون بهديها إن كنتم تعقلون أيها المؤمنون "فجواب الشرط في ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ محذوف دلت عليه جملة﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ﴾ والتقدير : قد بينا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لكم الآيات فأنتم تتبينون دلالاتها وتعملون بمقتضاها إن كنتم تعقلون ، والمراد من العقل هنا فيما يظهر ، العقل العلمي ، بمعنى المحافظة في التذكر الدائم على ما جاء في البيان ، واستنباط ما تدل عليه الأمارات والعلامات الظاهرات من دلالات كاشفاتٍ للبواطن ، بمعنى العقل الإرادي ، ويكون بشدة الحذر وضبط النفس وعدم الاستجابة لما يُخادع به المنافقون مما يُرضي أهواء النفوس وشهواتها من أقوال أو أعمال لها ظواهر كاذبات"(الميداني ، ١٤١٤هـ ، ٢٩٧/١) . ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الشورى:٩) .

وقد يقول قائل ما علاقة إحياء الموتى ، وقدرة المولىﷻ بالمقطع الأول من الآية ومن هنا تكون الفكرة ، ويكون تسخير العقل في الفكر و النقد وكأن الله ﷻ يطلب من عباده ألا يكونوا كالدواب يأكلون و يتمتعون و يلهيهم الأمل ، إذ هل يملك أولئك الذين اتُّخذوا أولياء نفعاً لأنفسهم إن أراد الله بهم ضراً ؟ أم هل يملكون موتاً أو حياةً أو نشوراً ؟ ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلا حَيَاةً وَلا نُشُوراً ﴾ (الفرقان:٣) . " فما دامت معبوداتهم وأولياؤهم الذين والوهم بهذا العجز فلا ينبغي لعاقلٍ أن يدع عبادة القوى القدير إلى ضعاف لا يملكون و لا يقدمون ولا ينفعون ، بل إن أرادوا ولياً بحق فالله تعالى هو الولي الحق ولا ولي سواه عز وجل " (تعيلب ،١٤١٦هـ ،ج٦،٣١٩٢) .

ومن خلال التفكير الموضوعي المبني على التحليل وربط المقدمات بالنتائج يتمخض عنه جملةٌ من الأبعاد العقلية المهمة وهي :

أ- **البعد عن اتباع الظن :**

لقد عمل الإسلام على بناء المسلم و صياغته صياغة قويمة بعيدة كل البعد عن اتباع الظن ، مؤكداً على قيام العلم الصحيح النافع ، و تأسيس اليقين على أساس النظر و الاستدلال العقلي السليم ، وذلك من خلال ربطه بالقرآن الكريم ، ومن خلال التفافه حول هذا الدين العظيم و نصرته ، و البراءة من الشرك بألوانه ومسمياته والبعد عن الابتداع و الظن المذموم . " ويعد البعد عن الظن والتخمين أهم خطوة على طريق الموضوعية ، وهي الخطوة التي إن زلَّت فيها القدم لم تستقم بعدها من خطوات أبداً؛ حيث أن الأساس الواهي يجعل البناء القائم عليه في حكم المنهار مهما كان شامخاً " (بكار ، ١٤١٣هـ ، ٦٣) .

ولقد ذم القرآن الكريم الذين يقفون عند الظن دون السعي لطلب العلم و اليقين ، ذلك لأن الظن لا يغني من الحق شيئاً ﴿ أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(يونس:٦٦) فلقد أجمع العلماء على أن " الاكتفاء بالظن في أصول الدين غير جائز " (الفخر الرازي ، ١٤٠٥هـ ، ج٣،١٥٥)

وهو في هذه الحالة خطوة منهجية ، يمكن أن تؤدي إما إلى العلم أو الشك أو الكذب ." ولذلك جعل العرب الظن علماً وشكاً وكذباً ، فإن قامت براهين العلم فكانت أكبر من الشك ، فالظن يقين ، وإن اعتدلت براهين اليقين وبراهين الشك ، فالظن شك ، وإن زادت براهين الشك على براهين اليقين ، فالظن كذب " (السيوطي ، ١٣٩٨هـ ، ج١،٢١٣) .

ب- البعد عن اتباع الهوى :

إن موالاة المسلمين لدينهم ولربهم ، يعني في المقام الأول الرضا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ رسولاً ونبياً ، وبالقرآن منهجاً ودستوراً ، وهذا يعني عدم اتباع الهوى ، لأن الأهواء إذا تدخلت في حكمنا على الأشياء فإنها ستكون مفسدة لهذه الأشياء لا محالة ، وذلك لاختلاف الأهواء وعدم اتفاقها . قال الله ﷻ :﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ (ص:٢٦) . ويقول تباركت أسماؤه على لسان يوسف عليه السلام : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ (النجم:٢٣). كما أن ذم الهوى والابتعاد عنه يجعل المسلم وقّافاً عند حدود الله ، ونصوص القرآن ، فلا مجال للخيار ولا الاختيار فيما ورد من نصوص ، بل لا مجال للاجتهاد مع النص ، مصداقاً لقوله ﷻ : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً ﴾ (الأحزاب:٣٦) .وقوله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (النور:٥١) .

ومن خلال هذا الفهم الدقيق ، يستبرئ المسلم من الهوى وتبعاته ، بل ويصبح الهوى بالنسبة له مذموماً وذلك لأن " ذم الهوى يعتبر خطوة ضرورية لا غنى عنها لطالب الحق والعلم ، ذلك لأن العالِم يجب أن يستبعد كل ما يتعلق بذاته في مقابل تحقيق ما يسمى حديثاً باسم" الموضوعية " التي تجعل من إدراك الحقيقة العلمية أشمل وأوسع لدى أكثر من شخص أو باحث واحد بنفس الطريقة مهما اختلفت زاوية الإدراك بالنسبة لكل منهم " (اسماعيل ،١٤١٣هـ ، ١٠٩)

واتباع الهوى أساس العلل ، وسبب الهلاك والضلال ، والتكذيب ، فحيث يوجد الهوى ينتفي العلم والحق ويحل الظلم والهلاك .قال الله ﷻ : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص:٥٠) . وحيث يوجد الهوى ينتفي النصر والعزة ويحل محلهما الهزيمة والانكسار ، قال الله ﷻ : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾ (البقرة:١٢٠) .وحيث يوجد الهوى ينتفي التقوى والإيمان ، وتحل الفتنة والفسوق ، قال الله ﷻ: ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ (المائدة:٤٩) . وحيث يوجد الهوى ينتفي الرعاية الإلهية والتوفيق و يحرم المرء ولاية الله وعنايته ، قال الله ﷻ :﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ﴾ (الرعد:٣٧) . وحيث يوجد الهوى ينتفي البر والخير ويحل الفساد والإفساد ، قال الله ﷻ : ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون:٧١) .

جـ - البعد عن التقليد الأعمى وسلبياته :-

والتقليد لغةً : إتباع الإنسان غيره في ما يقول أو يفعل معتقداً للحقية من غير نظر إلى الدليل . (التهانوي ، ١٤١٨هـ ، ج٣،٥٠٨) **أما التقليد اصطلاحاً**: كل من اتبعت قوله من غير أن يجب عليك قوله لدليل يوجب ذلك فأنت مقلد ، والتقليد في دين الله غير صحيح ، وكل ما أوجب عليك الدليل إتباع قوله فأنت متبعة ، الإتباع في الدين مسوغ و التقليد ممنوع " (القرطبي ، ١٣٨٦هـ ، ١٤٣/٢) قال الله ﷻ :﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة : الآية ١٧٠) .

ولا شك أن من أخطر الأبعاد التي يورثها ولاء المسلم للكفرة والمشركين ، والكبراء والمنافقين ، على عقلية المسلم وتفكيره ، هو داء الإمعية والتقليد والاتباع بغير هدى أو دليل ، حتى وصل الحال بأولئك الذين أعطوا الولاء لأعدائهم ،من المفكرين و الأدباء إلى عدم قدرتهم على إدراك ذاتهم إلا من خلال الآخرين ، حتى عجز الكثير منهم عن الكتابة عن التراث الإسلامي و الأدب و غيرها من المجالات العلمية دون الرجوع إلى كتابات معلميهم من أعداء الإسلام ،حتى أصبحت الموارد الفكرية الخارجية هي التي تصنع الثقافة الداخلية ، مما أدى إلى الاستلاب الحضاري ، من خلال تسليط نمط الحياة الغربية ، و العلاقات الاجتماعية ، وصولاً إلى السيطرة الفكرية الكاملة ، حتى ذوبت ثقافة المسلمين وسلبت حضارتهم ، على الرغم من تأكيد الإسلام على الاستقلال العقلي لأبنائه من خلال نبعه الصافي ألا وهو القرآن الكريم " فقد كانت دعوة الإسلام

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عنواناً للذاتية الخالصة والاستقلال العقلي ، كما كانت إيذاناً للبشرية ببلوغ الرشد وبالقدرة على التحرر من ركام الفكر البشري " (الجندي ، ١٣٩٦هـ ، ٣٣) .

ولقد أشار (سابق ، ب. ت ، ١٤٠) إلى الدرجة التي يصل إليها أولئك المقلدون بقوله : " لقد أجمع العقلاء على أن التفكير هو سر تقدم البشر ، وأن الجمود والتقليد هما سبب انطفاء جذوة العقل وارتكاس الإنسان في الضلال ، وهبوطه إلى مستوى التأخر والانحطاط " . وذلك لما يحدثه هذا التقليد وهذا الاتباع من سلبياتٍ عظيمة في العقل وما يبنى عليه من عمليات ، ومن أخطر هذه التبعات والسلبيات :

أولاً : طمس معالم التفكير والتفكر :

وذلك لأن الذي يوالي أعداء الله من الكفرة والمشركين ، ويتبع غير سبيل المؤمنين يحرم نفسه من نعمة التفكر والتدبر في هذا الكون الفسيح الرائع ، وذلك من خلال تقليده الأعمى ، المبني على الظن والهوى . " فالعقل هو أساس ارتباط الإنسان بالله وبالشريعة الإلهية ، إذ لا يجوز التقليد في أصول الدين ، وهذا الأساس يسري إلى كل تفاصيل الإسلام وتشريعاته ، فيكون الإنسان على ارتباط بهذا الدين في مختلف مراحل نضجه " (مهاجراني ، ١٣٩٨هـ ،٩٦) .

ولقد ربط القرآن الكريم في آياتٍ كثيرة بين الولاء وبين العقل ومعانيه المختلفة ، كما أسلفنا القول ، وكذا الفكر وأدواته ومعانيه من إمعان النظر ، والتفكير الموضوعي إلى غير ذلك .كما دعا " الإسلام إلى التفكير والنظر في ملكوت السماوات والأرض ، إذ أن التفكير هو وظيفة العقل ، وبالعقل تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات ، فإذا تخلى العقل عن وظيفته ، فقد تخلى الإنسان عن أخص خصائصه ، ولم يعد له دور في تقدم البشر ورقي الحياة (سابق ، ب. ت ، ١٣٩) .

ومثلٌ واقعيٌ يضربه الله ﷻ للمشركين ، وهو أن العبد المملوك ، لا يكون شريكاً لسيده في ماله و نفسه ، فأي منطق في أنهم لا يرضون هذا لأنفسهم ، و يجعلون لله شركاء "وذلك أنه لما قال ﷻ :﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الروم:٢٨) . فيجب أن يقولوا ليس عبيدنا شركاءنا فيما رزقتنا ، فيقال لهم : فكيف يتصور أن تنزهوا نفوسكم عن مشاركه عبيدكم و تجعلوا عبيدي شركائي في خلقي فهذا حكم فاسد و قلة نظر و عمي قلب " (القرطبي ، ١٣٨٦هـ ،ج١،٢٣) .

ثم أتبع الله ﷻ هذه الآية بقوله ﷻ : ﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (الروم:٢٩) .

الأبعاد العقلية والفكرية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما يعمل التقليد الأعمى على إلغاء وظائف العقل أو تعطيلها ، ويبدو ذلك واضحاً ، في حوار أهل النار للشيطان ، في سورة إبراهيم . حيث لا يرى الباحث كلمةً توحي بحجم التقليد ، وإلغاء وظيفة العقل التي كرم الله ﷻ بها ابن آدم وفضله به عن سائر مخلوقاته ، مثل تعبير القرآن الكريم بقوله على لسان الضعفاء لقادتهم المجرمين ﴿ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً ﴾ و تأتي الآية بعدها مباشرة ، لتؤكد هذه الصفة اللاعقلية التي تطمس العقول ، وتمنعها عن اكتشاف أسرار الكون الرهيب ، الذي يعكس عظمة الخالق ﷻ وقدرته ، ولكن هذه المرة على لسان شياطين الجن ،عندما يُقضي الأمر يوم القيامة ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ (إبراهيم: الآية٢٢) . فالفاء كما هو معلومٌ عند أهل اللغة تفيد السرعة و التعقيب ، مما يدلل علي انعدام لحظة التفكير . " فلا حول ولا طول للشيطان باعترافه إلا دعوة الباطل والضلال والمكر والخداع ولا يستجيب له و لدعوته إلا ضعفاء العقول و النفوس و الإيمان" (مغنية،١٤٠١هـ،ج٤،٤٤١) . فيا له من تعبير دقيق يدل علي الإمعية و التبعية والتقليد ، وتعطيل للعقل .أما تعطيل العمليات العقلية . ومنها الاستبصار ؛ فإن القرآن قد وضَّح علاقته بموالاة الكفار فقال ﷻ :﴿ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ (هود:٢٠) .

وأما التفكر ؛ فهو بعيد عن أولئك الذين تولوا من غضب الله عليهم حيث قال ﷻ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة:١٧٠) . بل لقد فقدوا ما يفتح عقولهم من حواس لها علاقة مباشرة في العقل ، مثل السمع والبصر فقال ﷻ : ﴿ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ (هود:٢٠) . ولقد ربط الله ﷻ السمع والإبصار بفعل العقل ، فإذا كان هناك سمع أو إبصار من غير تعقُّل فلا قيمة له ، وفي ذلك يقول الله ﷻ : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة:١٧١) .

ثانياً: الحرمان من العلم وفهم الأمور وحقائقها :

لم يتوقف أثر التقليد والإمعية على طمس معالم التفكير ، بل إنه يتخطاه ليصل إلى درجة الحرمان من العلم وفهم حقائق الأمور ، وذلك أنه لما قامت الحجة على المقلدين بغير علمٍ ولا هدى ولا كتاب منير فقد " ذكر أنهم يعبدون الأصنام باتباع أهوائهم في عبادتها ، و تقليد الأسلاف ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة:١٧٠) وقال أيضاً : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ ﴾ (المائدة:١٠٤) . فهؤلاء المقلدون قد قطعوا علي أنفسهم طريق العلم ، و سجلوا على عقولهم الحرمان من الفهم لأنهم عارضوا الدلالة بالتقليد " (الفخر الرازي ، ب. ت ، ج٥،٦).

ثالثاً : الرؤية النصفية وعقلية البعد الواحد :

وهذا ما نلمسه واضحاً في موقف فرعون ، حينما حجر على عقول قومه ألا يروا من المعطيات سوى ما يقدمه لهم ، حيث قال الله ﷻ على لسان فرعون : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾(غافر: الآية٢٩)فاتبع القوم ما خطة فرعون لهم، وانصرفوا عن الحجج والمعطيات الثرية التي قدمها لهم ذلك الرجل المؤمن من آل فرعون ، فكان عاقبتهم الضلال والدمار،وهذا هو حال كل من والى أعداء الله واتبع غير منهج الله ﷻ ، ولسان حال الأمة الإسلامية اليوم يفصح عما آل إليه المسلمون من التبعية والانسياق دون تفكر وتمعن وراء أعداء الله لما فيه هلاكهم ودمارهم ، حيث ركنوا إليهم﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ۞قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ۞ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾(الزخرف:٢٣- ٢٥) .

ولهذا النوع من التفكير أخطار كثيرة ، وأكثرها خطورة هو عدم رؤية الحقيقة بشكل كامل ، ومن جميع جوانبه ، وذلك لأن " أخطر ما يشكل عقلية البعد الواحد ، أن يرى المرء نصف الحقيقة ، ويحجب عنه النصف الآخر ، ولأن أكثر الأشياء والأحداث والأشخاص ، يمتزج فيه الخير والشر ، أو تكمن فيه القابلية لهما ، وحين يبصر المرء ما يراه بشكلٍ كامل ، فإنه يشكل لديه (العقلية الترجيحية) ، فترى (ولو بشكلٍ تقريبي) الحسنات والسيئات ، والايجابيات والسلبيات ، وحينئذ تكون أحكامه موضوعية " (بكار ، ١٤١٣هـ ، ٢٢٢) .

لذا فإنه حينما يسيطر على العقل ، تقليد الآباء ، أو يُسيطر عليه أصحاب النفوذ و مراكز القوى علي اختلاف أنواعها ، فإن هذا التفكير يصبح تقليدياً ، سرعان ما يفضي إلى سراب، وهذا ما أكده (النجار ، ١٤١٣ هـ ، ٦٠) بقوله: " حين يسيطر على العقل تقليد الموروث ، فإنه لا يري من المعطيات إلا الشق الواحد و اللون الواحد ، فلا تثور فيه دواعي المقارنة و لا يهتدي بالتالي إلى مكامن الضعف و القوة في معطيات النظر و من ثم يكون التفكير خطياً وحيد السمت فينتهي في كثير من الأحيان". فالإسلام يرفض خضوع عقل المسلم لأي سلطة تمنعه من فهم الأمور بجوانبها و الوصول من خلال هذا الفهم الكلي للحقائق ، فقد ذم القرآن الكريم أولئك الذين ألغوا دور عقولهم و خضعوا لسلطة الرهبان و الأحبار فعبدوهم من دون الله ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ

الأبعاد العقلية والفكرية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة:٣١) .

رابعاً : التدني بمستوى التفكير إلى أدنى صوره :

وآيات القرآن واضحة في تبيان ذلك، حيث أن التقليد الأعمى ، بغير عقل ولا تدبر هو شأن الكافرين ، بل هو صورة من صور البهيمية ، ويبدو ذلك واضحاً في وصف بني إسرائيل حين جاءهم موسى عليه السلام بالتوراة ليفهموها ويطبقوها ، ولكنهم أبوا إلا أن يرموها وراء ظهورهم ، مقلدين غيرهم دون تفكيرٍ وروية ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الجمعة:٥) .

ومما يدل علي أن التقليد الأعمى الذي هو من ثمار موالاة الكفار ، له آثاراً إيمانية سلبية ، فمن المعروف أن المسلم لا يصل لدرجة الإيمان إلا إذا عقل دينه فاقتنع به عن بصيرةٍ . قال الله تعالى :﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾(فاطر: الآية٢٨) لا تقليداً لآبائه وأجداده ولا لأخلائه وأصدقائه،ولا محاباة لأعدائه ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (يوسف:١٠٨) . كما يعمل التقليد الأعمى على الانغلاق في التفكير بل وتحجيمه وما يبرهن علي ذلك أن موالاة سادة القوم وكبرائهم من أهل الضلال والإضلال ، من شياطين الإنس قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا ﴾ (الأحزاب:٦٧)

وللدلالة على مدى التقليد الأعمى والتبعية الجوفاء يقول تباركت أسماؤه : ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴾ (إبراهيم:٢١). " لذا فقد أجمعت الأمة على إبطال التقليد في العقائد " (القرطبي ،١٣٨٦هـ ، ج٢،٢١٢) .

الأبعاد العقلية والفكرية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤ - التفكر و التدبر والاعتبار :

سبق أن تبيّن أن من الأبعاد الإيمانية للولاء الصادق والبراء الواضح ، كمال الإيمان ، وبالتالي فإن التفكر والتدبر من الأبعاد الفكرية للولاء وذلك لأن عمق التفكر والتدبر يعتمد أولاً وقبل كل شيء على درجة إيمان الشخص و صلته بالله ، فكلما ازداد إيمان المسلم، كلما سهل عليه الاستغراق في ملكوت ربه و استجاشة أنبل مشاعر الخشية و الحب " فعقيدة التوحيد والإيمان بالله تربي عقل المسلم على سعة النظر وحب الإطلاع على أسرار الكون ، والطموح إلى معرفة ما وراء الحس ، فكل ما في الكون مما نرى وما لا نرى من السماوات والكرسي والعرش والملائكة ، كل ذلك من ملك الله ، وكل كائن صغيراً كان أم كبيراً يسبِّح بحمد الله ويشهد بعظمته ، وقد أمرنا القرآن أن نتدبر ذلك كله " (النحلاوي ، ١٤٠٣هـ، ٨). قال الله ﷻ :﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (آل عمران:١٩١) . فالمسلم الذي يعيش في جوٍ من الأخوة المليء بالإيمان و الحب في الله ، ومطّلعاً على كتب السيرة والعقيدة ، فان ذلك سيدفعه لا محالة إلى التفكر و التدبر الدءوب على عكس وجوده بين أقران سوءٍ فإن ذلك لن يدفعه إلى التفكر ، بل سيدفعه إلى البعد والضلال " فأثر القدوة الصالحة و الصحبة أمرٌ لا يحتاج منا إلى كثير حديث فقد جاء الدين بتوضيحه و علم النفس الاجتماعي و التجريبي الحديث بتبيينه و مشاهدات عامة الناس بتأكيده حتى أصبح عندهم من البديهيات " (بدري ، ١٤١٣هـ ، ٩٢) .

لذا فإن الولاء لدين الله يعزز مفهوم التفكر حيث أنه مبني أصلاً على الصحبة الصالحة و الأخوة الصادقة في الله ، أما موالاة الكفار فهي مدعاة للصد عن التفكير لا محالة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ ﴾ (المائدة:٥٧،٥٨) ." فعندما يكون الدين مراسم لفكر سطحي فإنه يتحول إلى أشكال وترانيم ، وعندما يكون ذكاءً مع شح مطاع وهوىً متبع فإنه يتحول إلى مصيدةٍ للمغانم والمآرب. فما قيمة المعرفة عند الذين تقودهم شهواتهم ؟ ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الجاثية:٢٣) .لابد مع المعرفة الواسعة من ضميمة أخرى ؛ هي النية الشريفة ، وإخلاص القلب لله ﷻ ، وقد أفاد علماؤنا الأولون أن النجاة تعتمد على الفقه ، وهو المعرفة الصحيحة للحكم وعلى التجرد ، وهو البراءة من المآرب الشخصية و التمحض لله ﷻ و يظهر أن الجمع بين الأمرين يحتاج إلى جهود مضنية (الغزالي ، ١٤١٢هـ، ٤٥) .

الأبعاد العقلية والفكرية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من أجل ذلك دعانا القرآن للتفكر في آياته دون المرور عليها مرور الكرام ، يبدو ذلك في قوله ﷻ :﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ (آل عمران:١٣) . وكذا في قوله ﷻ في موضع آخر في سورة النساء : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾ (النساء:٧٦) . فالقاسم المشترك بين هاتين الآيتين أنهما تحدثاننا عن الصراع بين الحق والباطل ، وأن الغلبة في النهاية للحق ، وأن الباطل كيده ضعيف مهما انتفش ، وهذان المثلان يعرضهما القرآن في مواقف متنوعة وأماكن مختلفة ، من أجل حث المسلم المنتمي لعقيدته على فهم آيات ربه ، ولايتم هذا التذوق العقلي ، وهذا التفكر العلمي إلا لمن كان ضمن جماعة إسلامية ، كما كان يفعل أصحاب رسول الله ﷺ ، فيتلقون من القرآن عشر آياتٍ فقط يفهمونها ويتفكرون فيها ، حتى وصل الحال بكثيرٍ منهم إلى أن يقع مغشياً عليه من خشية الله ، وهذا إن دل على شيءٍ فإنما يدل على عمق تفكرهم ، وصدق إيمانهم ، وعظيم ولائهم ، قال ﷻ : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (لأنفال:٢) .

أما الذين يوالون أعداء الإسلام ، أنَّى لهم التفكر وقد وصفهم الله بقوله :﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْأِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (لأعراف:١٧٩) وقوله أيضاً: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (محمد:٢٤) .

الأبعاد العقلية والفكرية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥ - تفعيل دور العقل لما فيه صلاح الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة :-

تتنوع مهام العقل وتتفرع كما تبين مما سبق ، بيد أن أجلَّ هذه المهام وأكرمها " تعريف الناس بالمنهج الحق ، الذي تستقيم به حياتهم في الدنيا وينالون رضوانه في الآخرة ، وذلك بتبليغ ما أوحى الله إلى رسله ، وشرحه وبيانه و تعريف الناس بطريقة تطبيقه وتدريبهم على ذلك ، حتى يطمئن الرسل أن أتباعهم قد وعوا ما أنزل الله وعياً صحيحاً ، وطبقوه التطبيق الصحيح، و هذه مهمة تربوية شاقة تحتاج إلى الصبر ، فليس في دين الله معلومات تلقى ثم تحفظ " (عبيدات ،١٤٢٠هـ ،١١٢) وفي ذلك يقول ﷻ : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(النحل: الآية٤٤)

بيد أن هذه المهمة التربوية الشاقة لا يمكن أن يقوم بها الفرد بنفسه ، دون تفاعله مع جماعة متماسكة قوية ، يربطه بها علاقات متينة مبنية علي الحب و الإيثار، والثقة والتضحية ، ولا يمكن أن تتجسد إلا في جماعة كان الولاء لدين الله شعارهم و حالهم ، إذ لا يمكن أن يقوم بمهمة تعريف الناس المنهج الحق إلا من كان داخل هذه العصبة﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(آل عمران:١٠٤).

ومن أجل تفعيل دور العقل للقيام بدوره الإيجابي في التفكير ، لابد من تربية هذا العقل تربية سليمة ، كما وضح (قميز ، ١٤١٣هـ ، ١٨٩) بقوله : " إنما أعني بالتربية العقلية أن يتوخى في أسلوب التعليم استقلال عقول الطلاب في الفهم والحكم على المسائل ، وتحرير الحقائق ، وألا يُعوَّدوا أخذ المسائل العلمية بالتسليم والتقليد " .

وهذا ما كان واضحاً في حياة الصحابة ، إذ لم يمنع أحدهم حبه لإخوانه المسلمين من قول الحق حتى لأمرائهم وقادتهم ، فلا يعني الولاء والحب في الله أن يعطل المسلم عقله ، وأن يحجم عن الإدلاء برأيه . كما أن الولاء لدين الله ﷻ يشحذ همم المسلمين لتعلم العلوم النافعة ، التي تبلغهم رضوان الله ومحبته وجنانه في الآخرة ، كما تبلغهم العيش بعزة وكرامة في الدنيا ، فمن خلال إخلاص المسلم في ولائه ، يتعرف على حقيقة هذا الولاء المبني على حب الله ﷻ وحب نبيه ﷺ وما يصدر عن هذا الحب من تبعات ومقتضيات "ولا يمكن للمسلم أن يكون ولاؤه لله ولدينه وللمؤمنين خالصاً إلا إذا كان مدركاً لحقيقة التوحيد " لا إله إلا الله " ممتثلاً لها ، مدركاً لمدلولها ومعناها ، عارفاً بمقتضياتها ولوازمها ، ثم علمه بالجاهلية والشرك والكفر والردة والنفاق حتى لا يكون مصيدةً للوقوع في هذا الشر ، لأنه لا يعرف الإسلام من لا يعرف الجاهلية " (القحطاني ، ١٤٠٤هـ ، ٢٥٢) .

الأبعاد العقلية والفكرية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الخامس

الأبعاد النفسية والوجدانية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام

الأبعاد النفسية والوجدانية للولاء والبراء في الإسلام .

١. الشعور بالعزة والاستعلاء .

٢. الشعور بالأمن والأمان .

٣. التخفيف من حدة القلق وتداعياته .

٤. راحة القلب بالبشرى في الدنيا والآخرة .

٥. إدخال الطمأنينة والسكينة إلى قلوب أولياء الله المؤمنين .

٦. إدخال السعادة والسرور إلى نفوس أولياء الله المؤمنين .

٧. سلامة صدور أولياء الله من الغل والحسد .

٨. النصر والتمكين لأولياء الله المؤمنين .

٩. إغاظة الكفار والمنافقين .

الأبعاد النفسية والوجدانية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأبعاد النفسية والوجدانية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام

إن الإسلام بما جاء به من عبادات وتعاليم ، استهدف بدايةً وقبل كل شيء إنسانية الإنسان ، من أجل تنمية إدراكه ووجدانه وإرادته وعزيمته ، فيدرك من خلاله الحسن من القبيح ، والحق من الباطل فينخرط في الحق والحسن ويبتعد عن القبيح والباطل . " فالإسلام بما ينصح به الإنسان – كي ينمي وجدانه – يريد أولاً وأخيراً أن يعيش الإنسان في جوٍ هو جو السلام والاطمئنان ، والاستمتاع بالحياة الإنسانية استمتاعاً يرفعها فوق مستوى الاحتكاك والخصومة والنفرة وتبادل الإيذاء " (البهي، ١٣٨٣هـ، ١٢٧) .

فقد كان لولاء المؤمنين بعضهم لبعض ، وبراءتهم من أعدائهم أثرٌ كبيرٌ واضحٌ في صفاء وجدانهم ، وصحة نفسياتهم ، وحسن علاقاتهم ، صغاراً وكباراً ، شباباً وشيوخاً ، رجالاً ونساءاً ، حكاماً ومحكومين فلا فرق بين غنيٍ وفقير ، ولاحاكمٍ ومحكوم ، لاحقد ولاحسد ولا تناجش ولا تباغض ، الكل سواء ، أكرمهم عند الله أتقاهم ، لا يخافون عدواً لأنهم يعلمون أن النافع والضار هو الله ، ولا قلق على شيء من ملذات الدنيا ، لأنهم يوقنون أنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة ، لا أزماتٍ نفسية ولا توتراتٍ عصبية ولا انحرافاتٍ عاطفية ، ولا جنوح أحداث ، ولا مصحَّات نفسية ، لا قتل ولا انتحار ولا اغتصاب ،أما اليوم وبعد ضعف ولاء المسلمين وذوبان برائهم ، بل أصبح الولاء لأعدائهم والبراء من دينهم ، فالسليم منهم يعاني من أزماتٍ نفسية ، توترٌ مستمرٌ وقلقٌ دائمٌ ، وجنوح أحداث ، الحليم حيران " إن الصحة النفسية ليست مجرد خلو الفرد من الأمراض ، بل هي قدرة الفرد على مجابهة المشكلات " (أبو فرحة ، ١٤٢٠هـ ، ١٥) .

لقد أصاب الضنك سائر المسلمين ، برَّهم وفاجرهم ، صغيرهم وكبيرهم ، حتى أصبحوا غرباء في بلادهم ، فأصابتهم العزلة ، وقتلتهم اللامعيارية ، " وإذا كانت الصحة النفسية للأفراد تقاس بمدى قدرة كلٍ منهم على التعامل مع المجتمع للحصول على الأشياء التي لها معنى بالنسبة لهم . نجد أن قدرة الإنسان أصبحت محدودة أحياناً وقاصرة ، مما أثر على علاقاته بالمجتمع ، وشعر بالنبذ ، وصعب عليه في بعض الأحيان التعرف على الكيفية التي يتمكن بها الحصول على ما يريد ، حيث اختفت المعايير ، وأصبح الإنسان يواجه ما يسمى باللامعيارية ، وحتى إذا ما حصل على بعض الأشياء ، فإنها أحياناً لاتكون هي التي يريدها ، وأصبحت الحياة عند بعض الأفراد بلا معنى. وكل هذه الأشياء من فقد القوة والعزلة الاجتماعية واللامعيارية وفقدان المعنى هي ما يمكن أن نطلق عليه الاغتراب "(عويضة ، ١٤١٦هـ، ٧) .

وسيبرز الباحث في هذا الفصل الأبعاد النفسية والوجدانية للولاء والبراء ، ولكن قبل ذلك لا بد من توضيح بعض المفاهيم ذات العلاقة بالموضوع مثل العواطف و الوجدان وما يتعلق بهما من عمليات .**فالعواطف** : " خبرات انفعالية توصل مشاعرنا إلى الناس الآخرين بسرعة تامة . وتختلف العواطف عن التفكير والمحاكمة العقلية في كونها لاإرادية من ناحية ، وآلية من ناحيةٍ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أخرى . فعندما يكون الفرد خائفاً فإنه يصبح مهيئاً بشكل آلي إما للهرب وإما للدفاع عن ذاته ، إنك قد تقرر أن تكون هادئاً ومتزناً عندما يقوم شخصٌ آخر بإحراجك ، ولكن تورد خديك يفصح عن الحالة النفسية التي تعتريك " (عدس وتوق ، ١٤١٨هـ ، ٣٨٧) . و**الوجدان** ليس هو العاطفة وحدها ، ولكنه التفاعل مع النفس الآخر في مجتمعه ومجال الحياة التي يعيش فيه "(البهي ، ١٣٨٣هـ ،١٢٤) .

أما العملية النفسية " فيتكون سلوك الإنسان من مجموعة من العمليات يطلق عليها العملية النفسية ، وتتكون هذه العملية من ثلاث خطوات تسير بترتيب محدد لا تأتي خطوة قبل الأخرى ، وإذا تعطلت العملية عند خطوة من الخطوات تعطلت التي تليها . وتتمثل هذه الخطوات في : الإدراك المسبوق بالإحساس ، الوجدان ، النزوع .فالفرد يحس بالعالم الخارجي عن طريق وسائل الإحساس المختلفة التي زود بها ، وهي حاسة البصر والسمع والشم والذوق واللمس ، ولا يوجد خلاف بين الأفراد من ناحية الكيف لوجودها عند كل الأفراد ، ولكن يأتي الخلاف في الكم ، أي في درجة وشدة وقدرة كل حاسة على القيام بوظيفتها ، ولا تكتسب الأشياء التي تم إدخالها إلى الجهاز العصبي للإنسان عن طريق وسائل الإحساس أي معنى إلا عن طريق " الإدراك " الذي يمثل الخبرات التي اكتسبها الإنسان عن طريق الخبرة الشخصية وعملية التنشئة الاجتماعية والتدريب والتعليم ، وإذا غاب هذا العنصر غابت المعاني عن كل الأشياء المحسوسة . وتأتي بعد هذه الخطوة عملية " **الوجدان** " وهو الانفعال مع الشيء الذي تم إدخاله عن طريق وسائل الإحساس إلى الجهاز العصبي وأصبح له معنى عن طريق " الإدراك " ، وهذا الانفعال هو الذي يحرك الإنسان ويكون بمثابة الدافع الذي يرتب وينظم ويوجه السلوك ولا تتم أو تكتمل العملية النفسية إلا إذا جاءت المرحلة الثالثة في العملية النفسية وهي ترجمة الانفعالات والدوافع إلى حركة ويطلق على هذه الخطوة " النزوع"(عويضة ، ١٤١٦هـ ، ٨) .

لقد كان لولاء المؤمنين بعضهم لبعض ، وبرائهم من أعداء دينهم ، آثارٌ نفسية ووجدانية عظيمة ، صقلت من خلالها شخصيتهم ، ونقَّيت مشاعرهم ، وأضفت عليهم جواً من السعادة ، لم يشعر بها ولن يشعر ؛ إلا من حذا حذوهم ، وسار في دربهم ، وتتمثل هذه الأبعاد فيما يلي :

١ - الشعور بالعزة والاستعلاء :-

العزة : شدة الغلبة ، من عَزَّه يعزّه إذا غلبه ، ومنه قولهم : إذا عزَّ أخوك فهِن، يعني إذا غلبك وقهرك ولم تقاوِمْه فتواضع له ، فإن إضْطِرابَك عليه يزدك ذُلاًّ وخبالاً . وقيل معناه : إذا عزَ عليك فهِنْ له وداره (ابن منظور ، مادة عزز) .

وهذا الشعور لا يشعر به إلا من عاش في ظل الإسلام ، سواء في الزمن البعيد قبل بعثة النبي ﷺ ، حيث الذل والهوان ، كما يصف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ : " إنا كنا أذل قومٍ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أعزنا الله بالإسلام ، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله " (الحاكم ، ١٣٩٨هـ ، ج١،٦٢) . أو في عصر الجاهلية الحديثة ، حيث المهانة والتبعية والتشرذم والضياع .

لقد أثَّر الولاء الصادق لدين الله والبراء الواضح من أعداء الله في عزة المسلمين والدليل على ذلك آيات القرآن الكريم ، حيث وضح الله ﷻ أن العزة لا تأتي من موالاة الكافرين إطلاقاً ، بل من موالاة المؤمنين ، يقول الزحيلي في قوله ﷻ : ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ۞ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾ (النساء:الآيتان١٣٨،١٣٩) . " لقد أنكر الله ﷻ على المنافقين ووبخهم ، فذكر أنهم إن كانوا بموالاتهم لأعدائهم يطلبون العزة ، أي القوة و المنعة عندهم ،فقد اخطئوا ، لان العزة لله في الدنيا و الآخرة ، و هو يؤتيها من يشاء ، و المراد : أن العزة تكون في النهاية لأولياء الله الذين كتب لهم العز و الغلبة على اليهود و غيرهم " (الزحيلى ، ١٤١٤هـ، ج٥،٣٢٠) .

ويؤكد ذلك قوله ﷻ في موضعٍ آخر:﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران:٢٦) فالعزة في موالاة أولياء الله ، ومعاداة أعدائه من الكفار والمنافقين ، فهم وإن كثر سلاحهم ، وتعاظمت قوتهم ؛ ضعفاء أمام قوة جنود الله ، لأنه ﷻ مالك الملكوت ، وبيده الأمر كله ، وإليه يرجع الأمر كله . " فإن الله يمنح العزة من عنده للمؤمنين ، حين يكون ولاؤهم بعضهم لبعض ، وصفُّهم متماسكاً ،وقلوبهم مترابطة. فحين يتخذ المؤمنون المؤمنين أولياء ،فذلك يؤهلهم للعزة الربانية والله ﷻ يقول:﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (المنافقون:٨) . أما حين يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين فإنهم لا يستحقون بذلك العزة الربانية التي يمنحها للمؤمنين المستقيمين على أمره "(قطب، دراسات، ب.ت، ٣٢٦).

ويرى الباحث أنه لا تعارض بين تفسير الزحيلي وتحليل قطب في العزة ، ومانحها ومستحقها ، فهي لله ﷻ ومن الله ﷻ يمنحها لأوليائه المؤمنين ، ويمنعها عن الكافرين والمنافقين . ويصاحب هذه العزة التي تغمر مشاعر أولياء الله شعور راسخ من الاستعلاء ، والذي لا يعني التكبر . " إنه الاستعلاء على كبرياء النفس ، ورغبتها في دفع السخرية ، ورد الأذى ، والشفاء من الغيظ ، والبرد بالانتقام " (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج٦،٣٥٩) .

ولقد أعز الله المؤمنين حين نصروا دينه ووالوا أولياءه وعادوا أعداءه ، فهاهو الصحابي الجليل عبادة ابن الصامت ﷺ يضرب أروع الأمثلة في الولاء لدين الله والبراءة من أعدائه ، فقد جاء في تفسير ابن كثير أنه " بعدما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ وتشبث بهم عبد الله بن أبي ، وقام دونهم ، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ وكان أحد بني عوف بن الخزرج له من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حلفهم مثل الذي لعبد الله ، فجعلهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ منهم ، وقال يا رسول الله : أبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم ، وأتولى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم " (ابن كثير ، ب. ت ، ج٢،٦٩) .

فجعله الله ﷻ جرَّاء هذا الولاء الصادق والبراء الصارخ ، مثلاً لأسمى آيات العزة والاستعلاء ، لكل من أراد العزة وسعى لتحقيقها فأدام الله عزته على مده عمره. حيث تطالعنا كتب السيرة بأنه " لما فتح المسلمون الشام أرسله عمر بن الخطاب ﷺ وأرسل { معه } معاذ بن جبل وأبا الدرداء ﷺ ليعلموا الناس القرآن بالشام ، وكان معاوية قد خالفه في شيءٍ أنكره عبادة ، فأغلظ له معاوية في القول ، فقال عبادة : لا أساكنك بأرضٍ واحدة أبداً ، ورحل إلى المدينة ، فقال عمر ﷺ : ما أقدمك ؟ فأخبره ، فقال : ارجع إلى مكانك ، فقبَّح الله أرضاً لست فيها أنت ولا أمثالك ، وكتب إلى معاوية : لا إمرة لك عليه " (الأثير ، ١٤٠٩هـ ، ج٣،٥٦).

وها هو الصحابي الجليل ربعي بن عامرﷺ يضرب مثلاً آخر في العزة والاستعلاء ؛ حين دخل على رستم ملك الفرس ، وهو راكباً فرسه القصيرة ، بثيابٍ رثة ، وسيف وترس ، ولم يزل راكبها ، حتى داس على طرف البساط ، ثم نزل وربطها ببعض الوسائد الثمينة ، ثم أقبل وعليه سلاحه ودرعه ، وبيضته على رأسه ، فأبى نزع سلاحه كما طلبوا منه ، وأخذ يتوكأ على رمحه فوق النمارق خارقاً عامتها ، ثم قال قولته الشهيرة بكل عزة واستعلاء : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل ذلك قبلنا ورجعنا ، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نقضي إلى موعود الله "(ابن كثير ، ١٤٠٨هـ ، ج٧،٤٠) .فهذه العزة وهذا الاستعلاء ؛ هما ما دفعا رستم حين اجتمع برؤساء قومه إلى الاعتراف بها قائلاً : " هل رأيتم قط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل " (المرجع السابق ، والصفحة ذاتها).

ولئن كان الشعور بالعزة والاستعلاء قد تحقق زمن الصحابةﷺ ، يوم أن نصروا دين الله بكل ما أوتوا من قوة ، وبكل ما ملكوا من مال ، وبكل ما لديهم من عزيمة ، فإن القرون المتأخرة في وقتنا الحالي ، قد سطر قادة حزب الله الغالب أروع الأمثلة في طرح هذا الشعور ، وجعله أمراً واقعاً في زمن التردي والانتكاسات ، وزمن التخاذل والتبعيات ، فهذا الأستاذ سيد قطب رحمه الله يراوده الظالمون على دينه ، وهو بين أيديهم ، فيعرضون عليه أعلى المراتب والمناصب والمغريات ، من أجل أن يقر بطواغيتهم ، إلا أنه رحمه الله آثر الآخرة على متاع الدنيا وزخرفها " وأطلق عباراتٍ تقطر عزة وكرامة ، وإيماناً ويقيناً ، وثباتاً واستعلاءً ، منها قوله : إن حُكمت

الأبعاد النفسية والوجدانية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بحق فأنا أرضى حكم الحق ، وإن حُكمت بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل .(الخالدي ، ١٤٠٦هـ ، ٢٥) .

وفي مقابل الشعور بالعزة والاستعلاء جرّاء موالاة المؤمنين ، يقع **الذل والهوان** جرّاء التخلي عن موالاة المؤمنين والإعراض عن نصرهم ، وموالاة أعدائهم . فالكفار أذلاء في الدنيا والآخرة ، وذلك لأنهم اتخذوا الشياطين أولياء ﴿ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾(لأعراف: الآية٣٠)، والشيطان ذليل مهين عند الله ﷻ ﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (لأعراف:١٨) . وبالتالي فهم أذلاء ، لا يملكون أن يجلبوا العزة لأنفسهم ، فكيف بمن تبعهم ؟!

وهذا ما يؤكده القرآن الكريم من خلال آياته البينات نظرياً ، وجسّدته عملياً سيرة النبي ﷺ وصحابته الكرام ﷺ على مدار التاريخ إلى يومنا هذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فأما على الصعيد النظري فيتمثل ذلك في تحذير الله ﷻ لعباده الصادقين من مغبة موالاة أعدائنا في أكثر من موضع منها قوله ﷻ : ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً۝ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ (النساء:الايتان ١٣٨،١٣٩) . يقول (عبده ، ب.ت ، ج٥،٤٦٣) : " لما أعرض المسلمون عن هذه الهداية التي اعتز بها سلفهم ذلوا وساءت حالهم، وصاروا فيها منافقين يوالون الكفار دونهم ، يبتغون عندهم العزة والشرف ، وما هم بمدركين ".

فإذا كان مصدر العزة هو القوة ، وقوة المؤمن مستمدة من قوته ﷻ ، فإن مصدر الذل هو الضعف والهوان ، وهذا مصدره الشيطان وحزبه بلا أدنى شك ، وهذا ما يؤكده قوله ﷻ: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾ (النساء:٧٦) . أي الذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، المتمثل " كما سبق أن أشار الباحث " في المبادئ الباطلة أو الأشخاص أو الشياطين أو نحو ذلك وهم بذلك أولياء لهم ، فمآل موالاتهم الذل والضعف والهوان " ويؤكد ربنا ﷻ أن كيد الشيطان كان ضعيفاً دوماً ، ففعل" كان " بصيغة الماضي يدل في الصفات على الكينونة الدائمة المستمرة غالباً ، و يظهر هذا في معظم النصوص القرآنية و الكيد : هو تدبير الأمور بباطل أو بحق ، بخير أو بشر ، ويطلق على الحرب ، و على إعداد الوسائل الحربية للنكاية بالعدو" (الميداني ، ١٤١٤ هـ ،ج١،٥١٧).

بل لقد شبه الله ﷻ الذين يتولون أعداءه تشبيهاً لا يبقي لهم عذراً ، حيث قال ﷻ : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (العنكبوت:٤١) . لذلك كانت " هيئة من تولى غير الله

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ﷻ و اتخذ الأولياء متكلاً ومعتمداً ، وأرباباً مطاعين متبوعين ، حال هؤلاء كصفة العنكبوت تأوي إلى أضعف بيتٍ لا يستر و لا يظل ، ولا يقي برداً ولا حراً ولا ضراً ، إنما هو خيط رقيق متهاو ، فمن آوى إلى غير الله الملك الحق المبين فقد ضل ضلالاً بعيداً لو كانوا يعرفون هوان المتبوعين " (تعيلب،١٤١٦هـ، ج٥،٢٦٧٨)

كما ذهب(القشيرى) رحمه الله فيها إلى القول بأن " العنكبوت يتخذ لنفسه بيتاً ، و لكن كلما زاد نسجاً في بيته ازداد بعداً في الخروج منه ، فهو يبنى و لكن على نفسه يبنى.كذلك الكافر يسعى و لكن على نفسه يجنى ، فبيت العنكبوت أوهن البيوت لأنه بلا أساس ولا جدران ولا سقف ولا يمسك على أدون دفعٍ ، كذلك الكافر لا أصل لنشأته ولا أساس لبنيانه، يرى شيئاً ولكن بالتخيل ، أما التحقيق..... فلا " (القشيرى ، ١٣٩٠هـ ، ج٥، ٩٧) .

ويرى الباحث أن اختلاف التفسير بين العلماء لا يتنافى مع حقيقة الضعف الناشئ عن موالاة الكفار ، فهو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ، أما ما يثبت ذل أولياء الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم من السيرة النبوية ، فقد تمثل ذلك واضحاً في الذل الذي عاناه رأس المنافقين عبد الله بن أُبَّي بن سلول من أعز ما يملك ، بل من أبر الناس به في قومه ؛ من ولده الذي وصف بره له قائلاً : " والله لقد علمت الخزرج ما كان فيها من رجلٍ أبر بوالدٍ مني ، وما أكل طعاماً منذ كذا وكذا من الدهر ، ولا يشرب شراباً إلا بيديَّ " (ابن كثير ، ب.ت ، ج٤،٣٧٢) .

ولئن أعز الله عباده الصادقين في ولائهم كما حدث مع عبادة بن الصامت ﷺ ؛ فقد أذل في المقابل المنافقين ؛ الذين سارعوا في موالاة أعداء دينهم ، حيث انتصر ولاء بن عبد الله بن أُبي بن سلول الصادق لله ولرسوله على حبه لأبيه، فسرى أثره في دمه وعقله وجوارحه ، فلم يتوان لحظةً واحدةً ، عندما تجرأ أبوه رأس المنافقين عبد الله بن أبَّي بن سلول على الحبيب محمد ﷺ قائلاً: " لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل " فقد ذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله هذا على باب المدينة واستل سيفه ، فجعل الناس يمرون عليه ، فلما جاءه أبوه عبد الله بن أبي قال له ابنه : وراءك فقال : ويلك ؟ فقال : والله لاتجوز من ها هنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ ، فإنه العزيز وأنت الذليل ، وفي رواية لسفيان بن عيينه أن عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول قال لأبيه : والله لا تدخل المدينة أبداً حتى تقول رسول الله ﷺ الأعز وأنا الأذل ، فلما جاء النبي ﷺ قال : يارسول الله ، بلغني أنك تريد قتل أبي فوالذي بعثك بالحق ما تأملت وجهه قط هيبة له ، ولئن شئت أن آتيك برأسه فإني أكره أن أرى قاتل أبي " (ابن كثير ، ب. ت ، ج٤،٣٧٢)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن هنا نجد أنه بعد أن كان هذا المنافق سيداً في قومه ، عزيزاً عند ابنه ، أبى بنفاقه وموالاته المنحرفة لليهود إلا أن يذله الله ﷻ ، فأفسد حياته بعصيانه وذنبه ، ومرض قلبه ، فأوردها المذلة في الدنيا ، كما أوردها المهالك في الآخرة "لذا كان قوله ﷻ :﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون:٨) إيذاناً بأفول نجم عبد الله بن أبي ، وكانت قد قتلته معنوياً لا جسدياً ، ومن أجل ذلك ، وبعد دخوله المدينة ، وموقف ابنه منه ، تغير حاله ليعاني من الاحتراق البطيء في قومه " (الغضبان ،١٤٠٨هـ ، ١٦٩) .

ومما سبق يتضح أن ما تعانيه الأمة الإسلامية من ذل وهوان ، أقوى أسبابه التفكك بين أواصر مجتمعها ، والضعف الواضح في بنيانها ، والخلل البيِّن في مفاهيمها ، فوالت من وجب عليها أن تعادي ،وتخلت ممن وجب عليها أن توالي ، فاستمرأت الذل ، واستفحلت فيها التبعية ، فذابت معاني الأخوة ، وحلت بدلاً منها الأثرة والأنانية "وقد هان المسلمون أفراداً ، وهانوا أمماً يوم وهت أواصر الأخوَّة ، ونظر أحدهم إلى الآخر نظرة استغرابٍ وتنكرٍ ، وأصبح الأخ يُنتقص أمام أخيه فيهز كتفيه ويمضي لشأنه كأن الأمر لا يعنيه " (الغزالي ، ١٣٧٩هـ ، ٢١٠) .

فقد روى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قلت لعمر رضي الله عنه : إن لي كاتباً نصرانياً . قال : مالك ؟ قاتلك الله . أما سمعت الله يقول:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(المائدة:٥١) ألا اتخذت حنيفياً ؟ قال : قلت :يا أمير المؤمنين ، لي كتابته وله دينه .قال : لا أكرمهم إذ أهانهم الله ، ولا أعزهم إذ أذلهم الله ، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله "(ابن تيمية ،اقتضاء ، ب. ت ، ٥٠) .

فإن كان من النصارى أو الكفار من يجيد مهارة ما ، فالأجدر بنا أن ندعوهم إلى الإسلام ، ونحملهم عليه ، كما فعل أمير المؤمنين الخامس ، حيث " كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى بعض عماله ، أما بعد :فإنه بلغني أن في عملك كاتباً نصرانياً يتصرف في مصالح المسلمين والله تعالى يقول :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (المائدة:٥٧) فإذا جاءك كتابي هذا فادع حسان بن زيد – يعني ذلك الكاتب – إلى الإسلام فإن أسلم فهو منا ونحن منه ، وإن أبى فلا تستعين به ولا تتخذ أحداً على غير دين الإسلام في شيءٍ من مصالح المسلمين ، فأسلم حسان وحسن إسلامه " (ابن القيم ، ١٣٨١هـ ، ج١،٢١٤) .

كما أن هذا الذل وهذه المهانة ، وهذا الضعف وهذه الاستكانة ، لا يمكن لها أن تنجلي إلا بجماعةٍ تحمل الإسلام قلباً وقالباً ، يتعاون أفرادها على البر والتقوى ، يكون ولاؤها وولاء أبنائها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لله أولاً وأخيراً ، والبراء مما سواه ظاهراً وباطناً، صفاً واحداً وقلباً واحداً ، ومنهجاً واحداً ، وهدفاً واحداً ، هو تحقيق منهج الله في الأرض . " وفي المثل : ما تعاونت عليه الرجال خف ، ومن ضعف نصيره وقل ظهيره وإخوانه وأسلمه للناس خِلاَّنه وأعوانه ، يبس عوده ، وذهب معدودة ومحدودة ، وعضه الدهر بنابه . وكذلك حال المسلمين اليوم ، وقد ذهبت منهم العزة والنخوة ، وضعفت بينهم الموالاة والأخوة ، فلا تقوم لأحدهم قائمة إذا كبا وعثر ، ولا يجد من يأخذ بيده ، ويجبره إذا انكسر، بل ربما تركوه عمداً ، وقصَّروا في الواجب نحوه تقصيراً " (البيحاني ، ب.ت ، ٨٣) .

ومن هنا كان لابد لأهل التربية من المشرفين ومخططي المناهج ؛ أن يغرسوا العزة في نفوس أبنائنا وطلابنا منذ نعومة أظافرهم ، من خلال تأصيل الولاء والانتماء لدينهم ، وربطهم بعقيدتهم ، وتحذيرهم من تبعات مخالطة السفهاء ، ومجاراة الأشقياء من الكفار والمشركين والمنحرفين ، كما لابد للمعلمين من العمل وبكل قوة على ربط الطالب بدينه في كل المواد وفي جميع المساقات ، بل وفي كل موقف يمكن أن يعزز من الولاء والبراء في نفوسهم ، كما يوجه الباحث عناية الدعاة إلى الله من أهل ولايته أن يعملوا على ربط المسلمين بدينهم من خلال هذا المفهوم العقدي الهام ، وتوضيح خطورة المناهج العلمانية والاشتراكية بل وضوح وبكل حزم ، ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، كما يتوجه الباحث إلى المسؤلين عن الإعلام بكافة أنواعه ، المقروءة والمسموعة والمرئية على إنتاج البرامج الهادفة التي تغرس الولاء لدى الناشئة ، وتعززه لدى الشباب والفتيات .

٢ - الشعور بالأمن والأمان :

الأمن : " هو عدم توقع مكروه في الزمان الآتي " (الجرجاني ، ١٤٠٣هـ ، ٣٧) .وقد أشار (الطبرسي) إليه بقوله : " هو إزالة أسباب الخوف والهلع والفزع . والخوف و الفزع و الجزع ، نظائر : وهو إزعاج القلب لما يتوقع من المكروه ، والأمن ضده " (الطبرسي ، ١٤١٥هـ ، ج٥،٢٠٤) .

فمراد كل عاقلٍ على هذه الأرض أن يعيش آمناً في دنياه ، بل إن الأمن والأمان هما غاية المخلوقات جميعها " والشعور بالأمن مطلب إنساني ضروري ، وهو من شروط الصحة النفسية، كما أن الخوف مصدر كثير من المتاعب والعلل النفسية " (عثمان ،١٤١٠هـ ، ٦١).

ولقد شهد الأعداء قبل الأصدقاء ، بأن أكثر فترات الزمان أمناً و أماناً ، كانت في ظل الخلافة الإسلامية ، حيث كان ولاء أبنائها صافياً خالصاً لله و لدينه ، فلا قوي يأكل الضعيف ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولاغني يهضم حق الفقير ، ولا أمير يظلم رعيته ، ولا رعيه تخون دينها ووطنها ، حتى أن الأمن والأمان قد شمل المسلمين كما شمل أهل الذمة .

ولم يقتصر أمن المسلم في دنياه ؛ بل امتد ليشمل أمنه في آخرته .قال الله ﷻ : ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (يونس:٦٢) " أي من تولاه الله ﷻ وتولى حفظه ، وحياطته ، ورضي عنه ، فلا يخاف يوم القيامة ولا يحزن ، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۞ لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ۞ لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (الأنبياء: الآيات من ١٠١-١٠٣) (القرطبي ، ١٣٨٦هـ ، ج٨،٣٥٧) . وقد فسر ابن كثير قوله ﷻ :﴿لاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ بقوله : " لا خوفٌ عليهم فيما يستقبلونه من أهوال الآخرة ، ﴿وَلاهُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما وراءهم في الدنيا " (ابن كثير ، ب. ت ، ج٢،٤٢٢) .

وليس هناك ثمة تعارض بين التفسيرين السابقين ، فهما يصبان في معينٍ ، واحد ، فالاختلاف هنا اختلاف تنوع لا اختلاف تعارض ، حيث أكد كلاهما على حتمية الأمن والأمان لمن والى الله ورسوله والمؤمنين " إنهم لا خوف عليهم ، لأنهم في أمان الله ، فهم محروسون بحفظه ، مصونون بصونه ، لذلك فإن قلوبهم مطمئنة لا قلق فيها ولا اضطراب ، إنهم يحملون صك الأمان ممن بيده مقاليد الأرض والسماوات وكل ما هو جار وكل ماهو آت ، ولا خوف عليهم يوم القيامة من حساب ولا عذاب " (الميداني ، ١٤١٣هـ ج٢،٢٩٨) .

بل ويؤكد هذا الأمن ما جاء في حديث النبي ﷺ الذي رواه عمر بن الخطاب ﷺ حيث قال : قال رسول الله ﷺ : " إن من عباد الله لأناساً يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى " قالوا يا رسول الله : تخبرنا من هم ؟ قال : " هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحامٍ بينهم ولا أموالٍ يتعاطونها ، فوالله إن وجوههم نور ، وإنهم لعلى نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس " ثم قرأ ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (الترمذي ، كتاب البيوع ، ح٣٠٦٠) .

ولقد أكد الله ﷻ حقيقة هذا البعد وتحقيقه ، في آيةٍ أخرى قائلاً ﷻ :﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾(الأنعام:٨٢) يقول قطب: " وكيف يخاف إبراهيم عليه السلام هذه الآلهة الزائفة العاجزة ، ولا يخافون هم أنهم أشركوا بالله ما لم يجعل له سلطاناً ولا قوة من الأشياء والأحياء ؟ وأي الفريقين أحق بالأمن ؟ الذي يؤمن به ويكفر بالشركاء ؟ أم الذي يشرك بالله ما لا سلطان له ولا قوة ؟ أي الفريقين أحق بالأمن لو كان لهم شيء من العلم والفهم ؟ ! الذين آمنوا ، وأخلصوا أنفسهم لله

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

، لا يخلطون بهذا الإيمان شركاً في عبادة ، ولا في طاعة ، ولا اتجاه هؤلاء لهم الأمن ، وهؤلاء هم المهتدون " (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج٣، ٢٩٦) .

لقد شاع الأمن والأمان في المجتمع الإسلامي ، يوم أن كان ولاؤهم قوياً متيناً ، وبراؤهم صافياً نقياً ، فاختفت عند أفراده مشاعر الخوف والهلع ، فأصبح الواحد منهم آمن على أجله ، آمن على ماله ، آمن على أولاده ، آمن على رزقه ، لأنه بين أخوة له ؛ الصدق والإخلاص والوفاء شعارهم ، والإيثار والرحمة والتواضع خلقهم ، فسدوا بولائهم أبواب الخوف كلها ، فتلاشى الخوف عندهم إلا من الله . " فلم يعد المؤمن يخاف إلا الله وحده ، يخافه أن يكون فرَّط في حقه ، أو اعتدى على خلقه ، أما الناس فلا يخافهم ، لأنهم لا يملكون ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً " (القرضاوي ،١٤١٠هـ ، ١٤٩) .

أما الذين انسلخوا عن دينهم ، وتخلوا عن نصرة إخوانهم ، وسارعوا في موالاة أعدائهم ، فقد **حرموا الأمن والأمان**، وحال الأمة الإسلامية اليوم ، لا يخفى على أحد ، بل إن البشرية جمعاء في عصرنا هذا ، تتوق لأن تحيا يوماً من الأمن ، أو ساعةً من الأمان ، وما كل ذلك إلا لتلاشي مظاهر الولاء الصادق ، وظهور النفاق الواضح ، فحلت الأثرة محل الإيثار ، والكذب محل الصدق ، وطغت المادة على فكر الناس وعقولهم " فإذا كانت نسبة المصابين بالأمراض النفسية ، في المجتمعات الأكثر حضارة ومدنية اليوم ، أعلى منها في المجتمعات الأقل حضارة ومدنية ، فإن هذا يؤكد ما نذهب إليه ، لأن طغيان الحياة المادية ، في هذه المجتمعات الأكثر تقدماً يقابله ،إهمال لحياة الروح . " (عبود ، ١٣٩٧هـ ، ٧٠) .

٣ - التخفيف من حدة القلق وتداعياته :

إن من أروع آثار الولاء لدين الله والبراء من كل ما سواه ، هو قدرته العظيمة في الحد من القلق وتداعياته، وذلك لما يحمل الولاء في مضمونه ومعناه ، من ترابطٍ وتجانسٍ وتعاونٍ بين أفراد المجتمع ، وإشاعة روح الإيثار والعطاء . " ففي تعاون الأفراد ، وفي محبة بعضهم لبعض ، وفي إضعاف قوة الأنانية على نفوسهم – ما يساعد على تغلبهم على كثيرٍ من عوامل الخوف وأسباب القلق ، وبالتالي يساعدهم على سلوك طريق الحرية فيها " (البهي ، ١٣٨٣هـ ، ٢٦٥) .

فالقلق مصدر الأمراض على الإطلاق ، النفسية والعضوية ، وذلك لما يخلفه من كبت وتفكير ، وهلع على الدنيا وزخرفها الزائل. وقد أشار عبود إلى ذلك بقوله : " وإذا كان القلق هو مصدر الأمراض النفسية على الإطلاق ، كما يقول علماء النفس المعاصرون ، فإن مصدر هذا القلق هو الدنيا ، بما فيها من مالٍ وبنين ، ومنصبٍ وجاهٍ ، وتهديدٍ للنفس والمال ، ومن ثم كان المنهج

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السماوي الرباني ، في علاج أمراض النفس ، وتوفير الصحة النفسية ، هو إزالة أسباب هذا القلق من جذورها " (عبود ، ١٣٩٧هـ ، ٦٨) .

فحب الدنيا وإن كان خللاً ، فإن الخلل الأعظم يكمن في سيطرة هذا الحب على قلوب العباد ، وذلك لأن حب الدنيا ، منبعه الأساسي حب الذات ، وتجاهل حقوق الآخرين ، وتفضيل النفس على الغير ، ومزاحمة الغير في أرزاقهم ، والحسد والبغضاء . وفي ذلك يقول النبي ﷺ : " ... فوالله لا الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى عليكم أن تُبسط عليكم الدنيا كما بُسِطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم " (البخاري ، كتاب المغازي ، ح٣٧١٢) .

وهذه الأمور وغيرها من الرذائل قضى عليها مفهوم الولاء والبراء ، حتى باتت شيئاً من الماضي . وتاريخ المهاجرين والأنصار خير شاهدٍ على ذلك ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر:٩) " فلم يعرف تاريخ البشرية كله حادثاً جماعياً كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين . بهذا الحب الكريم ، وبهذا البذل السخي ، وبهذه النفس الرضية ، وبهذا التسابق إلى الإيواء واحتمال الأعباء ، حتى ليروى أنه لم ينزل مهاجر في دار لأنصاري إلا بقرعة ، لأن عدد الراغبين في الإيواء المتزاحمين عليه أكثر " (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج٨، ٤٠) .

وقد تبيَّن سابقاً أن قوة الإيمان وكماله يكمن في الولاء لدين الله والبراء مما سواه . وهذا الإيمان وهذه النصرة لدين الله هما أهم أسباب الحد من القلق والتوتر وهذا ما أكده " ديل كارينجي " قائلاً : " إن أطباء النفس يدركون أن الإيمان القوي والاستمساك بالدين كفيلان بأن يقهرا القلق والتوتر العصبي وأن يشفيا هذه الأمراض " (طبارة ، ١٣٨٦هـ ، ١٧٤).

فإذا حقق الإيمان الكامل والصادق الناتج عن ولاء صادق وبراءٍ واضح ، الأمن والأمان ، وخفف من حدة التوترات العصبية ، كما حجَّم من حدة القلق وما يتبعه من أزماتٍ نفسية إلى أضيق الحدود ، وفي المقابل فقد أدى التخلي عن الاعتصام بحبل الله المتين ، وعدم الاستمساك به إلى **القلق الدائم** ، والتوتر المستديم ،وذلك لأن من اتخذ لله أنداداً ، يظل حائراً بين ما يعبد من دون الله ، وبين من ينصر من خلقه الضعفاء ، فقد صور الله ﷻ هذا القلق ، وهذه الحيرة في قوله ﷻ :﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر:٢٩) " وللمشرك أنداد متعددون ، وأرباب متفرقون ، فإذا حزَّ به أمر ، أو نزل به ضُر ، لجأ إلى بشرٍ أو صخرٍ ، أو توسل بحيوانٍ أو قبرٍ ، أو استشفع بزيدٍ وعمرو ، لا يدري أيهم يَسمع و يُسمع ، ويشفع فيشفَّع ن فهو دائماً مبلبل البال ، ولا يستقر من القلق على حال " (عبده ، ب. ت ، ج٢،٦٩) .

الأبعاد النفسية والوجدانية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإذا كان هذا حال المشرك ، الذي يتخذ من دون الله أنداداً ، فإن حال من والاه وأيده وقواه ، لا شك أسوأ حالاً ، بل أشد تذبذباً ، قال الله ﷻ :﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴾ (النساء:١٤٣) يقول ابن كثير : " يعني المنافقين محيرين بين الإيمان والكفر ، فلا هم مع المؤمنين ظاهراً وباطناً ، ولا مع الكافرين ظاهراً وباطناً ، بل ظواهرهم مع المؤمنين وبواطنهم مع الكافرين ، ومنهم من يعتريه الشك ، فتارة يميل إلى هؤلاء ، وتارة يميل إلى أولئك " (ابن كثير ، ب. ت، ج١، ٥٦٨) .

وهذا القلق الدائم الذي لحق بالمنافقين الذين تولوا الكافرين من دون المؤمنين ، قد أصاب الكافرين من قبلهم ، بسبب اعتمادهم على العلم ، بل وعبادتهم إياه،وهذا ما يؤكده(سومرست موم) بقوله : " إن أوروبا قد نبذت اليوم إلهها ، وآمنت بإله جديد هو العلم ، ولكن العلم كائن متقلب ، فهو ينفي اليوم ما أثبته بالأمس ، ويثبت غداً ما نفاه اليوم ، ولذلك تجد عباده في قلق دائم لا يستقرون " (شديد ، ب. ت ، ١١٢) .

٤ - راحة قلب أوليائه بالبشرى في الدنيا والآخرة :-

البشرى : الخبر الذي يظهر سروره في بشرة الوجه، و البشارة مثلها " (الطبرسي ، ١٤١٥هـ ،ج٥، ٢٠٤) .

فلم يقتصر حال من والى الله و رسوله و نصر دينه على حدوث الأمن و الأمان، بل لقد زاد إكرام الله لهم بأن جعل **البشرى لهم** في الدنيا ، وفي الآخرة ، وفي ذلك يقول ﷻ : ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (يونس:الآيات ٦٢-٦٤) فأما بشراهم في الدنيا ؛ فيتمثل في إكرام الله لأوليائه الصادقين ، بأن يريهم ما يَسُر قلوبهم ، ويُثلج صدورهم ، ويقرُّ أعينهم ، يقول الفخر الرازي في قوله ﷻ : ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ فيه أقوال : **الأول** : المراد منه الرؤيا الصالحة ، فعن عبادة بن الصامت ﷺ قال سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﷻ ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ فقال ﷺ : " هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له " (سنن الترمذي ، كتاب الرؤيا ، ح٢٢٠١ ، قال أبو عيسى هذا حديثٌ حسن) .والقول **الثاني** في تفسير البشرى : هو عبارة عن محبة الناس له ، وعن ذكرهم إياه بالثناء الحسن . فعن أبي ذر ﷺ قال : قلت يا رسول الله : أرأيت الرجل يعمل العمل

الأبعاد النفسية والوجدانية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من الخير يحبه الناس عليه ؟ فقال : " تلك عاجل بشرى المؤمن " (مسلم ، البر والصلة ، باب إذا أثني على الصالح فهي بشرى ولا تضره ، ٢٠٣٤/٤ ، ح٢٦٤٢) (الفخر الرازي ، ب. ت ، ج١٧،١٢٨) .

كانت هذه بشراهم في الدنيا ، " وأما بشراهم في الآخرة ، فكما قال ﷻ : ﴿ لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (الأنبياء:الآية١٠٣) " (ابن كثير ، ب. ت ، ج٢،٤٢٥) .

من هنا كان اتفاق المفسرين على حتمية البشرى لمن والى الله ورسوله ، واعتمادهم على قول النبيﷺ في تفسير الآية أنه أكبر برهان ، وأوضح دليل على أثر ارتباط موالاة المؤمنين بالبشرى الطيبة ، والمحبة العظمى من قبل الله ورسوله وأهل السماء والأرض ، بل إن النبي ﷺ ليزيد البشرى بالهدوء النفسي عندما يبشر أولياء الله المتحابين في جلاله برعاية الله لهم يوم القيامة فيظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي ؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي " (مسلم ، البر والصلة ، الحب في الله ، ج٤،١٩٨٨ ، ح٢٥٦٦). بإنزالهم في جنانه و النظر إلى وجه الكريم و الجلوس مع الأحبة محمداً ﷺ وصحبه الكرامﷺ . وقال أيضاً تأكيداً على هذه البشرى ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ (الزمر:١٧) .

وهذه البشرى تعكس على المؤمنين السعادة القلبية ، والخير الكثير " وهي تشتمل على خيراتٍ عظيمة ، ينالونها ويظفرون بها في الدنيا قبل الآخرة ، منها التأييد بالنصر والتمكين في الأرض ، ومنها السعادة التي لا ينالها غير المؤمنين ، ومنها الرؤيا الصالحة بشارة الملائكة عند الموت بالمغفرة والجنة والثناء الحسن "(الميداني ، ١٤١٣هـ ،ج٢،٢٩٨) .

وفي مقابل بشرى الله لمن نصر دينه ووالى حزبه ، **يكون الخزي لمن** والى أعداءه وعادى أولياءه ، فشاقهم ، وشاقق نبيهم محمد ﷺ . والقرآن الكريم قائدنا ودليلنا حيث يقول ﷻ : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة:٦٣) " سؤال للتأنيب والتوبيخ ، فإنهم ليدعون الإيمان ، ومن يؤمن أن حرب الله ورسوله كبرى الكبائر ، وان جهنم في انتظار من يرتكبها من العباد ، وأن الخزي هو الجزاء المقابل للتمرد " (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج٤،٢٤٧) .

ولقد اتضح مما سبق أن تخلي المسلم عن موالاة المؤمنين خيانة لله ولرسوله وللمؤمنين حيث ، أنه بتقاعسه عن نصرتهم ومعاونتهم ومؤازرتهم ، فإنه يكون قد أعان الظالمين عليهم حتى ولو لم يواليهم ، فكيف بمن والاهم وأيدهم ، وآزرهم ، وبذل الجهد والعرق لنصرهم فهو بلا شك محارباً

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معهم ، متآمراً معهم ، على النيل من الإسلام والمسلمين. وفي ذلك يقول الله ﷻ : ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (النحل:٢٧) .: وهكذا يبيّن " الله للناس ما كانوا يسرونه من المكر ويخزيهم الله على رؤوس الخلائق ، ويقول لهم الرب تبارك وتعالى : مقرّعاً لهم وموبّخاً ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾ تحاربون وتعادون في سبيلهم أين نصركم وخلاصكم ههنا ﴿ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾ فإذا توجهت عليهم الحجة ، وقامت عليهم الدلالة ، وحقت عليهم الكلمة وسكتوا عن الاعتذار حين لا فرار ﴿ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ وهم السادة والمخبرون عن الحق في الدنيا والآخرة فيقولون حينئذ ﴿ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ أي الفضيحة والعذاب محيط بمن كفر وأشرك به ما لا يضره وما لا ينفعه " (ابن كثير ، ب.ت ، ج٢،٥٦٧) .

ولقد عانى المنافقون الذل والهوان لموالاتهم لأعدائهم كما تبيّن سابقاً ، بل إن الخزي مدركهم في الدنيا قبل الآخرة فبعد أن كان هذا المنافق سيد في قومه ، عزيزاً عند ابنه ، أبى بنفاقه وموالاته المنحرفة لليهود إلا أن يذله الله ﷻ ، فأفسد حياته بعصيانه وذنبه ، ومرض قلبه ، فأوردها المذلة في الدنيا ، كما أوردها المهالك في الآخرة لذا كان قوله ﷻ :﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون:٨) . " إيذاناً بأفول نجم عبد الله بن أبي ، وكانت قد قتلته معنوياً لا جسدياً ، ومن أجل ذلك ، وبعد دخوله المدينة ، وموقف ابنه منه ، تغير حاله ليعاني من الاحتراق البطيء في قومه " (الغضبان ،١٤١١هـ ، ١٦٩) .

٥ - إدخال الطمأنينة والسكينة إلى قلوب أولياء الله المؤمنين:

والطمأنينة : سكون القلب إلى الشيء وعدم اضطرابه وقلقه ، ومنه الأثر المعروف " الصدق طمأنينة والكذب ريبة " . أي الصدق يطمئن إليه قلب السامع . ويجد سكوناً إليه . والكذب يوجب اضطراباً وارتياباً " (ابن القيم ، ١٤٠٣هـ ، ج٢،٥٣٥) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فثمة ارتباطاً وثيقاً بين السكينة والطمأنينة ، فالسكينة طمأنينة القلب ، وسكون الجوارح وخشوعها كما أن ثمة علاقة وطيدة بين الولاء لدين الله والبراء مما سواه وبين السكينة والطمأنينة ، يبدو ذلك من خلال قوله ﷻ :﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾ (الفتح:١٨) .قال ابن كثير في قوله ﷻ :﴿ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ ﴾ أي الطمأنينة (ابن كثير ، ب.ت ، ج٤،١٩١).

وفي هذا إشارة إلى أن السكينة تعني الطمأنينة أيضاً ، ومصدرها واحد " فللسكينة مصدرٌ واحدٌ لا شريك له ، هو الإيمان بالله واليوم الآخر ، الإيمان الصادق العميق الذي لايكدره شك ، ولا يُفسده نفاق ، وهي ثمرة من ثمار دوحة الحق ، وشجرة التوحيد الطيبة " (القرضاوي ، ١٤١٠هـ ، ٨٧) . والسكينة آثار جليلة على القلب والجوارح " فإذا نزلت على القلب اطمأن بها وسكنت إليها الجوارح ، وخشعت ، واكتسبت الوقار ، وأنطقت اللسان بالصواب والحكمة . وحالت بينه وبين قول الخنا والفحش ، واللغو والهجر . وكل باطل . قال ابن عباس ﷺ : كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر وقلبه " (ابن القيم ، ١٤٠٣هـ ، ج٢،٥٢٧) .

وكل ذلك متحقق في موالاة المؤمنين بعضهم لبعض ، فكمال الإيمان وقوته وتحقيقه في الموالاة الصادقة للمؤمنين والبراءة الواضحة من الكافرين والمنافقين ، وهما منن أخطر مظاهر التوحيد ، لذا فإن سكينة المؤمن في صدق ولائه ، وعمق برائه . فمن خلال هذا الولاء وهذا الإيمان ، يهدأ قلب المسلم ، وتستكين جوارحه ، فيبقى متصلاً مع الله ﷻ " ويتسلح الإنسان إذا آمن بالله حق الإيمان ، بالطمأنينة والرجاء مع السعي وعدم التواكل ، فهو مطمئن بعد أن عرف أن الله قريب ، يجيب دعوة الداعين ويتوب على التائبين وينصف المظلومين (النحلاوي ، ١٤٠٣هـ ، ٨٤). أما الذين فسقوا ، وانحرفوا ، وغرهم بريق الأعداء ، فسارعوا في موالاتهم ، وتخلوا عن دينهم ، فإن السكينة منهم براء ، والطمأنينة وإياهم في جفاء ، وهم في ريبٍ دائم ، وتذبذب مستديم ، لا تهدأ منه نفوسهم ، ولا تسكن بسببه جوارحهم ، ولا تطمئن لأجله قلوبهم ﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ (النساء:١٤٣) . من هنا كان " موقف الذبذبة ، والأرجحة ، والاهتزاز ، وعدم الاستقرار والثبات في أحد الصفين : الصف المؤمن أو الصف الكافر ... موقف لا يثير إلا الاحتقار والاشمئزاز في نفوس المؤمنين " (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج٢،٥٦٣) . وحول هذه الآية يعقب ابن كثير قائلاً : " إن المنافقين محيرون بين الإيمان والكفر، فلا هم مع المؤمنين ظاهراً وباطناً ، ولا مع الكافرين ظاهراً وباطناً ، بل ظواهرهم مع المؤمنين وبواطنهم مع الكافرين ، ومنهم من يعتريه الشك ، فتارة يميل إلى هؤلاء وتارة يميل إلى هؤلاء " (ابن كثير ، ب.ت ، ج١،٥٦٨) .

الأبعاد النفسية والوجدانية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي كلا التفسيرين السابقين تأكيد على الحيرة والاضطراب الذي يعتري المنافقين الذين والوا أعدائهم ، و مما سبق نخلص إلى أن نصرة دين الله ﷻ ، وتحكيم شرعه ، ومؤازرة أهله من المؤمنين ، يضفي على النفس سكينة وطمأنينة ، وأمن وأمان ، فيعكس فيها سعادة عظيمة ، لو علم بها جبابرة الأرض لجلدوا أصحابها عليها بالسياط ، فسعادة المؤمنين في حياتهم الدنيا إنما تنبع من الراحة النفسية لانتمائهم لهذا الدين العظيم ، وارتباطهم الوثيق بعقيدته الغراء " ففي هذه العقيدة هدوء للقلب ، وراحة للبدن والأعصاب ، ومفارقة للآلام والأحزان ، فلا توتر عصبي ، ولا تمزق نفسي ، ولا انفصام أو شذوذ ، إنما اطمئنان وانشراح صدر " (ياسين ، ١٤١٢هـ ، ١٣١) .

٦ - إدخال السعادة والسرور إلى قلوب أولياء الله المؤمنين:

الحزن هو " غلظ الهم مأخوذ من الحزن ،وهى الأرض الغليظة ،والسرور ضده . " (الطبرسى ، ١٤١٥هـ ، ج٥،٢٠٤) . فقد نصر المسلمون الأوائل دينهم ، حين أخلصوا ولاءهم ، وأعلنوا براءهم من أعدائهم ، فحملوا الإسلام جملة وتفصيلاً ، فسعدوا ، وأسعدوا العالم . وفي المقابل تراجع المسلمون الأواخر عن نصرة دينهم ، فالتفتوا لليمين تارة ، ولليسار أخرى، فما زادهم الشرق والغرب إلا شقاءً وضنكا " فسعادة الناس أمماً وأفراداً ، حكاماً ومحكومين ، رجالاً ونساءً ، كباراً وصغاراً ، على جميع ألوانهم وجنسياتهم ، تكمن في هذا الإسلام العظيم ، بكلياته وجزئياته ، بعقائده وعباداته ، بشرائعه ومعاملاته ، ومن ادعى السعادة خارج هذا الإطار فهو مخطىء مهما كانت شعاراته ، وتحت أي اسمٍ كانت من قومية أو وطنية أو اشتراكية أو رأسمالية أو غربية ، أو شرقية ، فقد جربنا كل هذا وأكثر فلم نجن إلا الشوك والحنظل " (القاسمي ، ١٤٠٤هـ ، ١٠) .

ولسلامة القلب من الأحقاد ، وملئه بالحب والرأفة ، وكذالك التعاطف والتناصح ، أثرٌ عظيم في إسعاد القلب وإدخال السرور فيه " فعلى أساس محبة الله يحب المؤمن كل من يشاركه الولاء لله ومحبة الله وطاعته والانقياد لشريعته ، والاعتزاز بالسير تحت لوائه ، وله في النفس أثرٌ عظيم وسعادة نفسية ، قال فيها بعض الزهَّاد : لو يعلم الملوك ما نحن فيه لحاربونا عليه ، وهذا اقتباس بسيط للدلالة على هذه السعادة " (النحلاوي ، ١٤٠٣هـ ، ١٨٢) .

ويرى الباحث أن هذه السعادة إنما تنبع من أمورٍ عديدة منها :

أ-السعادة الناجمة عن الشعور بالرضا :-

لم تقف سعادة أولياء الله المتقين جرّاء البشرى والاطمئنان ، ووعد الرحمن لهم بالأمن والأمان ، ونيلهم الفوز العظيم ، بل أبى الله ﷻ إلا أن يسعد قلوبهم برضاه ومحبته ، وتأييده وكتابة الإيمان في قلوبهم ، وجعلهم من خاصته وحزبه ، فقال ﷻ : ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّـهِ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة:٢٢) " فمن كان محباً لله ، لزم أن يتبع الرسول ﷺ ، فيصدقه فيما أخبر ، ويطيعه فيما أمر ، ويتأسى به فيما فعل ، ومن فعل هذا فقد فعل ما يحبه الله ﷻ فيحبه الله ﷻ " (ابن تيمية ، ١٣٩٩هـ ، ١٠٤) .

ولقد أكد الله ﷻ رضاه عن المؤمنين نتيجة موالاتهم لأوليائه و براءتهم من أعدائه ، أما الرضا المنعكس عن موالاتهم لأوليائه فهو في قوله ﷻ : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(التوبة:٧٢،٧١) .

أما رضاه المنعكس عن براءتهم من أعدائه و أعدائهم فيبدو جلياً في قولهﷻ : ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة:٢٢) . يقول الرفاعي في قوله ﷻ : ﴿ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ (المجادلة:٢٢) . " فهنا سرٌ بديع وهو أنه لما سخطوا على الأقارب و العشائر في الله تعالى ، عوضهم الله بالرضا عنهم و أرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم و الفوز العظيم و الفضل العميم " (الرفاعي ، ١٤١٠هـ ، ج٤،٣٢٨) .

ب _ سعادة قلب المؤمن بتذوق حلاوة الإيمان:-

لقد أكد النبي ﷺ على هذه السعادة حيث قال ﷺ : " لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله ،وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله ، وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما " (البخاري، كتاب الأدب ، ج٨،٣٣٥ ،ح٩٢٣) .

وهذه الحلاوة وهذه اللذة التي لا يتذوقها إلا من تمثلت فيه هذه الصفات الثلاثة ، وهي تعكس في قلبه سعادة عظيمة تتكامل مع تلك السعادة التي غمرت نفسه تلقاء فحلاوة الإيمان تعني " استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في رضى الله ﷻ ورسوله ﷺ وترك مخالفته وكذلك محبة رسول الله ﷺ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

، وذلك أنه لا يصح المحبة لله ورسوله ﷺ حقيقة وحب الآدمي في الله ورسوله ﷺ إلا لمن قوى بالإيمان يقينه ، واطمأنت به نفسه ، وانشرح له صدره ، وخالط لحمه ودمه ، وهذا الذي وجد حلاوته " (النووي ، ١٤٠٤هـ ، ج٢،١٣) .

كما يؤكد الميداني على هذه السعادة الروحية ، من خلال تعليقه على هذا الحديث بقوله : " أما سعادة الإيمان ، فهي سعادة روحية وقلبية ونفسية ، يشعر بها المؤمن كامل الإيمان ، وهي لذة عميقة طويلة البقاء ، يستمتع بها من كان مؤمناً حقاً كامل الإيمان ، يحب الله ورسوله أكثر من أي شيء سواهما حتى نفسه ، وإذا أحب إنساناً أحبه لله ، ويكره مواقع الكفر كما يكره مس النار والعذاب فيها " (الميداني ، ١٤١٣هـ ، ٢/٢٦٤) .

د - سعادة قلب المؤمن برحمة الله :-

ولكي يزداد المؤمن استئناساً وسعادةً ، يضفي عليه الله من رحمته ، حيث قال ﷻ :﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة:٧١). فموالاة المؤمنين و المؤمنات بعضهم لبعض ، جالبةٌ لا محالة رحمه الله ﷻكما جلبت قبل ذلك الأمن و الطمأنينة ، وكما أتت بالبشرى العظيمة . وقد أشار القرطبي إلى ذلك بقوله : " السين في قوله ﷻ:﴿ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ مُدْخلةٌ في الوعد مُهلةً لتكون النفوس تتمتع برجائه وفضله تعالى زعيمٌ بالإنجاز " (القرطبي ، ١٤٠٧هـ ، ج٨،٢٠٣) .

وأي غايةٍ ، وأي مرادٍ لكل عاقلٍ مفكرٍ ، خائفٍ واجفٍ ﴿ يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ (الزمر: ٩) . أكثر من هذا ، فالمسلم حاله بين رجاء و خوف ، بيد أن أولياء الله في اطمئنان دائم لأنهم في كنف الرحمن ، إذ " كيف يخاف أولياء الله أو يحزنون ، والله معهم هكذا في كل شأن وفي كل عمل ، وفي كل حركة وفي كل سكون ، وكيف يخافون وكيف يحزنون ، وهم على اتصال بالله لأنهم أولياؤه ، وعلام يحزنون ومم يخافون والبشرى لهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ؟ إنه الوعد الحق الذي لا يتبدل – لا تبديل لكلمات الله - ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج٢،٤٥٠). وهذه الرحمة ما هي إلا انعكاسٌ طبيعيٌ ،لولاءٍ صادقٍ نقيٍ ، رحمةً من القدير العلى ، ورحمة الله ﷻ لا تُعطى إلا من استحقها من عباده ، ورحمة الله إذا حلت بفردٍ أو بقومٍ فقد ارتقى مرتقاً عظيماً إذ أن النبي ﷺ قال :" لن يُنجى أحداً منكم عمله " قالوا : ولا أنت يا رسول ﷺ قال:" ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته ، سددوا و قاربوا و اغدوا وروحوا و شيء من الدلجة و القصد القصد تبلغوا " (البخاري ، كتاب الرقاق ،ج٨،٤٦٩ ،ح١٣٢٦).

الأبعاد النفسية والوجدانية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن هنا نجد عظيم شأن رحمة الله ﷻ التي ربطها بموالاة المؤمنين بعضهم لبعض و جعلها أثراً و انعكاساً لهذه الموالاة ، وهذه الرحمة لا تقتصر على الآخرة فقط بل تمتد لتشمل رحمته في الدنيا أيضاً ، مما يضفي على النفس المؤمنة راحة نفسية عظيمة . " والرحمة لا تكون في الآخرة وحدها ، إنما تكون في هذه الأرض أولاً ، ورحمه الله تشمل الفرد الذي يقوم بتكاليف الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر و إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة ، وتشمل الجماعة المكونة من أمثال هذا الفرد الصالح ، رحمةُ الله في اطمئنان القلب ، وفى الاتصال بالله ، وفى الرعاية و الحماية من الفتن و الأحداث ، ورحمةٌ في صلاح الجماعة و تعاونها و تضامنها ، واطمئنان كل فرد للحياة و اطمئنان لرضا الله "(قطب ، ١٤١٧هـ ، ج٣، ١٦٧٦) .

وفي مقابل سعادة المؤمن جرّاء موالاته للمؤمنين ، ومناصرته لحزبه العظيم ، يُحرم الذين تخلوا عن نصرة هذا الدين العظيم ، وأعرضوا عن موالاة المؤمنين ، من السعادة والسرور، فلا يجدون إلا **البؤس والشقاء** ، يقول الله ﷻ : ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً ﴾ (الفرقان:١٨) . " قال ابن عباس : أي هلكى ، وقال الحسن البصري ومالك عن الزهري : أي لا خير فيهم " (ابن كثير ، ب. ت ، ٣١٢/٣). وإن كانت السعادة قد تحققت من أكثر من جانب كما بيّن الباحث ، فإن تعاسة أولياء الشيطان من المنافقين تكمن في أكثر من جانب يذكر الباحث منها:

أ- البؤس الناجم عن عذاب الله الموعود :-

فقد توعد الله ﷻ المنافقين الذين يوالون أعداءه ويخذلون أولياءه بالعذاب الأليم ، وفيه من ضياع السعادة ، وتمزق الأعصاب ، وضنك العيش وتوتر الحياة ، ما يردع أولي العقول والنهى عن هذا الولاء الغاشم ، من أصحاب القلوب المريضة ،مصداقاً لقوله ﷻ : ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ۞ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾ (النساء:١٣٨، ١٣٩) .

وقد شمل هذا العذاب جانبين ، معنوي نفسي ، ومادي ملموس ، فأما العذاب المعنوي النفسي فهو في قوله تعالى :﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ بشره يبشره ، إذا أخبره بما يسره و يفرحه ، وكذلك أبشره ،وبشره يبشره بشراً وبشراً، و الاسم "البشرى " وقد تستعمل هذه المادة اللغوية في الإخبار بالشر و بما يسوء وقد يقال :هذا على سبيل التهكم باستعمال اللفظ في ضد ما وضع له (الميداني،١٤١٤هـ،ج١،٦١٧) .

ففي قوله ﷻ : ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ " تبدأ الجملة بهذا التهكم الواضح في استعمال كلمة " بشر " مكان كلمة أنذر . وفي جعل العذاب الأليم الذي ينتظر المنافقين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بشارة ! ، ثم تبيان سبب هذا العذاب الأليم ، وهو ولايتهم للكافرين دون المؤمنين ؛ وسوء ظنهم بالله ؛ وسوء تصورهم لمصدر العزة والقوة " (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ٥٥٦/٢) .

وفي هذه الآية يقول الميداني قولاً جميلاً ورصيناً :" إنه خطاب موجه لكل من يصلح للخطاب من المؤمنين بان يقول للمنافقين بأسلوب الإعلام العام : أبشروا بعذاب أليم أعده الله لكم و هو موجه لتحقيق غرضين كما قال الميداني :

الغرض الأول : إلزام أفراد المؤمنين بان يوجهوا ضد المنافقين ضغطاً اجتماعياً يمارسه كل واحد بمفرده ،ليجد المنافقون أنفسهم منبوذين من داخل المجتمع المسلم .

الغرض الثاني : إشعار المنافقين بإعراض الله عنهم ، و أنهم ليسوا أهلاً لمخاطبتهم بأسلوب الخطاب المباشر لهم .(الميداني ،١٤١٤هـ،ج١،٦٢٧) .

مما سبق يتبيّن أن كلا القولين فيهما تعزيز وتقوية لحتمية بؤس المنافقين في الدنيا والآخرة ، ذلك البؤس الناجم والشقاء الواقع بهم جراء الحالة النفسية السيئة بعد تهديد الله ﷻ لهم ، وفضحهم ، وتعرية دسائسهم . كما يتمثل العذاب المعنوي أيضاً في قوله ﷻ : ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً ﴾ (الإسراء:٩٧) .

أما العذاب المادي الملموس : فيتمثل في قول الله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً ﴾ (النساء:١٤٤) .

فقد جاءت هذه الآية بعد أن بيَّن أن من صفات المنافقين أنهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين وهو ما جاء في الآيات ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ۞ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾ (النساء:١٣٨، ١٣٩). فالله ﷻ لم يخاطب المنافقين مباشرةً ، لأنهم ليسوا أهلاً لذلك ، ولكن في هذه الآية خطاب مباشر للمؤمنين ينهاهم فيه عن اتخاذ الكافرين أولياء وخاطبهم بهذا النهى إشعاراً لهم بخطورة المنهي عنه ، و أنه ليس مجرد وصفٍ يتصف به المنافقون من جملة ما يتصفون به، بل هو من الكبائر التي يحذر الله منها تحذيراً شديداً فقال تعالى في هذا الخطاب :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً ﴾ (النساء:١٤٤) .

الأبعاد النفسية والوجدانية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا النهى الجازم والحازم للمؤمنين من أن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين يجعلهم يرتكبون من كبائر الإثم ما يجعلون به لله عليهم سلطاناً مبيناً، وتفسير هذه الآية ، كما يرى الزحيلي : " أي أتريدون أن تجعلوا لله على أعمالكم حجة بينة في استحقاق العقاب ، إن اتخذتموهم أولياء " (الزحيلي ، ١٤١١هـ ، ج٥،٣٣٠).

ب- البؤس الناجم عن الحسرة والندم :-

الحسرة : " حَسِر على الشيء يحسر حَسَراً وحَسْرة : تلهف على ما فاته فهو حسير " (الصعيدي وموسى ، ب. ت ، ج١،٦٦٠) .فالحسرة والندم هما انعكاسٌ ديناميكي طبيعي للولاء الكاذب و اللئيم ، من قبل الفئة المذبذبة التي شذت عن الفطرة ، وانحرفت عن المسار الطبيعي .

هكذا اقتضت سنة الله في مثل هؤلاء المنافقين الذين يلهثون وراء أسيادهم من الكفار والمشركين من اليهود والنصارى طالبين العزة والنصر والسيادة ، مخلفين وراءهم عار التبعية والإمعيَّة والانحلال ، فلن يجدوا العزة عندهم ، ولن يجدوا النصر أيضاً لأنهما من عند الله ، وسيجدون بدلاً من ذلك الذل والهوان ، فيجعله الله حسرةً في قلوبهم في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فهي في قوله ﷻ : ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ (المائدة:٥٢).

وأما الحسرة في الآخرة فتبدو واضحةً في قولهﷻ :﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾(البقرة:١٦٧) ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾ (البقرة:١٦٧) "حين عاينوا تبرؤ الرؤساء منهم و ندموا على ما فعلوا من إتباعهم لهم في الدنيا :﴿ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ ﴾ أي يا ليت لنا رجعةً إلى الدنيا و عودة :﴿ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ ﴾ هناك ﴿ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا ﴾ اليوم . أي نبرأ مثل تبرئهم﴿ كَذَلِكَ ﴾أي مثل هذا الإبراء الفظيع وهو نزول العذاب عليهم و تبرأ بعضهم من بعض ﴿ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ﴾ أي ندماتٍ شديدة فان الحسرة شدة الندم و الكمد و هي تؤلم القلب و انحساره عما يؤلمه بحيث يبقى النادم كالحسير من الدواب و هو الذي انقطعت قوته فصار بحيث لا ينقطع به، وأصل الحسر الكشف ، ومن فات عنه ما يهواه و انكشف قلبه يلزمه الندم و التأسف على فواته ، و لذلك عبر عن الحسرة التي هي انكشاف القلب عما يهواه بلازمه الذي هو الندم . قال السدي: ترفع لهم الجنة فينظروا إليها و غلى بيوتهم فيها لوا أطاعوا الله فيقال لهم تلك مساكنكم

www.manaraa.com

لو أطعتم الله ، ثم نقسم بين المؤمنين وذلك حين يندمون و يتحسرون (البروسوى ، ب. ت ، ج١، ٢٧١) .

ومن هنا يتضح ضرورة التركيز على تفعيل دور الولاء لهذا الدين ، والبراء من كل ما ينافيه ، في توفير الصحة النفسية لأبنائنا في المدارس والبيوت ، وفي المساجد والأندية ، من خلال ربط الأنشطة المدرسية واللامنهجية ، والبيئية بحقيقة هذا الدين العظيم الذي ارتضاه الله لنا ، وعدم تزوير الحقائق ، أو طمس معالمها من خلال التشويه والتشكيك ، حتى ينعم المجتمع الاسلامي بالأمن والأمان ، والطمأنينة والسكينة ، والسعادة والرضا .

جـ _ البؤس والشقاء المنبثق من الخسران :-

وفي مقابل هذه السعادة المنبثقة من الفوز العظيم لأولياء الله المخلصين الصادقين ، يكون البؤس والشقاء المبين ، لمن تخلى عن موالاة المؤمنين ، وسارع في موالاة أعداء الدين من الكفار والمشركين ، مصداقاً لقولهﷻ: ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً ۞ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ۞ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾ (الكهف:الآيات ١٠٢-١٠٤) وفي ذلك " يقول الله تعالى مخبراً عما يفعله بالكفار يوم القيامة : أنه يعرض عليهم جهنم ، أي يبرزها لهم ، ويظهرها ليروا ما فيها من العذاب والنكال ، قبل دخولها ، ليكون ذلك أبلغ في تعجيل الهم والحزن لهم ، لأنهم تغافلوا وتعاموا وتصامموا عن قبول الهدى واتباع الحق " (ابن كثير ، ب. ت ، ج٣،١٠٦) .

ويبدو هذا البؤس الناجم عن الخسران واضحاً في كثيرٍ من الآيات منها قولهﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران:١٤٩) . يحذر الله الذين آمنوا أن يطيعوا الذين كفروا ." فطاعة الذين كفروا عاقبتها الخسارة المؤكدة ، وليس فيها ربح ولا منفعة وأي خسارة بعد خسارة الارتداد على الأعقاب ، من الإيمان إلى الكفر ؟ وأي ربحٍ يتحقق بعد خسارة الايمان ؟ " (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج٢،١٠٢) .

د _ البؤس والشقاء المنبثق من غضب الله وسخطه :-

لقد أسعد الله قلوب أوليائه المؤمنين برضاه عنهم ، لصدق نواياهم ، وقوة ولائهم ، وفي مقابل هذه السعادة يشعر المنافقون بالبؤس والشقاء جراء سخط الله عليهم ، حيث قال الله ﷻ : ﴿ تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (المائدة:٨٠) . يقول (قطب) : " فهذه هي الحصيلة التي قدمتها لهم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنفسهم .. إنها سخط الله عليهم . وخلودهم في العذاب ، فما أبأسها من حصيلة ! وما أبأسها من تقدمة تقدمها لهم أنفسهم ؛ ويا لها من ثمرةٍ مرة . ثمرة توليهم للكافرين ! " (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج٢،٨٢٨) .

٧ - **سلامة صدور المؤمنين من الغل والحسد** :-

الحسد لغةً : مصدر قولهم حسد يحسُد ويحسِد ، بكسر السين وضمها ، وأصله القشر ، وهو مأخوذ من الحسدل وهو القراد ، فالحسد يقشر القلب كما تقشر القراد الجلد فتمتص دمه " (الفيومي ، ب.ت ، ج١،١٣٥).

أما حقيقته ، فهو كما جاء في أدب الدنيا والدين " شدة الأسى على الخيرات تكون للناس الأفاضل ، وغايته أن يُعدم الأفاضل فضلهم ، من غير أن يصير الفضل له " (الماوردي ، ١٤٠٨هـ ، ٣٨٢) .

والغل والحسد وإن كانا يدرجان تحت الجانب الأخلاقي ؛ إلا أنهما مرتبطان بشكلٍ كبير في الجانب النفسي ، بل إن الأخلاق أساساً مرتبطة ارتباطا وثيقاً بالناحية النفسية ، فالغل والحسد من الرذائل الأخلاقية التي نهى عنها الإسلام ،حيث أن " الحسد كان السبب في وقوع أول جريمة قتل على وجه الأرض عندما قتل ابن آدم أخيه حسداً بعد أن تقبل من أخيه قرباناً ولم يتقبل منه ، وكما أراد أخوة يوسف عليه السلام قتله حسداً منهم على حب أبيه لهم ، كما ورد ذكره في القرآن "(الشريف ، ١٤٠٦هـ ، ١٥٤) .

أما في الغل فلقد كان دعاء أوليائه المؤمنين المتناصرين ، المعتصمين بحبل الله المتين ، أن لا يجعل الله في صدورهم غلاً لإخوانهم المؤمنين السابقين ، مصداقاً لقوله ﷻ : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحشر:١٠). فانعكس عن صدق ولائهم سلامة صدورهم من الغل والحسد ، بل إن الولاء يصبو فيما يصبو إلى تطهير قلوب المؤمنين من الغل والحسد ، حيث أنهما صفتان من صفات الكفار والمنافقين من اليهود والنصارى ومن والاهم ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً ﴾ (النساء:٨٩) .فقد وضح الله ﷻ في هذه الآية صفة من صفات المنافقين والكفار النفسية ، تجاه المؤمنين " وهى حركة نفسية يعلنونها ، لكنهم تعمل في داخلهم ، وهذه الصفة الحسد ، فالكفار و المنافقون يتمنون من المؤمنين أن يوالوهم و يتبعوهم حتى يصبحوا في الكفر سواء ، و يتخلصوا من التناقض بين ظاهرهم و باطنهم، فالكفار يعملون في حقيقة أنفسهم حقيقة هذا الدين ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:١٤٦) . ولكنه الكبر والعناد و الجحود و الإنكار ،لذا فمن أجل أن يتخلصوا من تناقضات ظاهرهم مع باطنهم ، يودوا لو أن المؤمنين يصبحوا مثلهم كفاراً " فأما التناقض عند المنافقين فهو أن باطنهم كفرٌ و ظاهرهم إسلامٌ فهم أيضاً يودون لو أن المسلمين يرجعوا مثلهم كفاراً حسداً من عند أنفسهم ، كما ودَّ المنافقون متمنين أن تكفروا أنتم أيها المؤمنون الذين تدافعون عنهم كفراً باطناً ، كما كفروا هم في قلوبهم مع تظاهرهم بالإسلام نفاقاً، فتكونوا مباشرةً مثلهم في حالتي الباطن وعندئذ يتهيأ لهم أن يتخلصوا من التناقض بين الظاهر و الباطن فيما بينكم و بينهم"(الميداني ،١٤١٤هـ،ج١،٥٨٠) .

فمن والى الكفار صار منهم ومثلهم، و ما يحيك في صدور الكفار من أمراض نفسية ، وعلل وجدانية سينتقل إلى من والاهم لا محالة ، وذلك من خلال التعبير ﴿ فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ في كل شيء من العقائد و العادات و التقاليد و المأكل و المشرب و سيدب في قلوبكم ما دب في قلوبهم من أمراض القلوب من غلٍ وحسد .أما في مخالفتهم والبراءة منهم ، صحةٌ نفسيةٌ ، وراحةٌ وجدانيةٌ ، ستحصّن صاحبها من الوقوع في هذا التناقضات ، لاتفاق ظاهره مع باطنه . والآية التالية توضح بشكلٍ حازمٍ وجازمٍ الحكمة من وراء البراءة منهم ، كما تبين أن إحدى الأبعاد النفسية هي حرص الإسلام على سلامة قلوب أبنائه منها ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة:١٠٩) .

إنه داء الحسد الذي يقتل قلوب أفراد الجماعة، فإذا ما أردنا نصراً أو تكافلاً أو وحدة ، لا نجد حينها إلا قلوباً ميتة لأجسادٍ هامدة ، لا تحرك ساكناً ؛ على عكس تلك القلوب التي امتلأت محبةً وأخوةً ، فهي قلوب حية لأجسادٍ تنبض بالحياة ." إن هذه المؤاخاة العاصمة للمجتمع المسلم من التفرق والشتات ، الرابطة المناصرة بروابط المحبة والإخاء كانت شجاً في حلاقيم أعداء هذا المجتمع من اليهود والمنافقين ونفايات الوثنية ، وبقايا أشلاء الشرك الغبي ، مما أوغر صدورهم ، فأكل الحقد قلوبهم ، وأحرق أكبادهم وهم يرونه مجتمعاً يعيش في وحدة مدمجة العناصر ، يقوم وينهض مُجتمِع الهدف والوسيلة ويقعد ويدبر موحد الرأي والفكرة " (عرجون ، ١٤١٥هـ ، ج٣،١٥٥) .

من أجل ذلك وصف رسولنا الكريم ﷺ هذا الداء الخطير بالحالقة التي تحلق الدين فعن الزبير بن العوام أن النبي ﷺ قال " دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم : الحسد والبغضاء ، هي الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين ، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا ، أفلا أنبئكم بما يُثَبِّت ذلكم لكم ؟ أُفشوا السلام بينكم " (الترمذي ، كتاب صفة القيامة ، ج٤،٢٢٨ ، ح٢٥١٨) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٨- **النصر والتمكين لأولياء الله المؤمنين :-**

النصر والغلبة أمنيةٌ يتوق إليهم كل مسلم حر ، انتصر على شهواته وقهر نفسه ، فكم من الأجيال المسلمة في العقود الأخيرة من آبائنا وأجدادنا عاشوا على أمل أن يروا نصرة الله لهم ، وكم من الأجيال لا تزال تنظر بعين الشوق والترقب وهى تقول ﴿ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ (البقرة: من الآية٢١٤) . وقد أجاب القرآن الكريم على هذا التساؤل في آياتٍ كثيرة ، ولكن كثيراً من الناس يقرؤونها دون تمعن أو اعتبار، إلا قليلاً من الذين أنار الله قلوبهم لهديه ، وهم قليل في كل زمانٍ ومكان ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يوسف:١٠٣) .

لقد ربط الله ﷻ في كتابه العزيز نصر عباده المؤمنين بنصرهم وموالاتهم لدينه في آياتٍ كثيرة فقال ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد:٧) " ففي نصر الله تعالى وجوه ، الأول : إن تنصروا دين الله وطريقه . والثاني : إن تنصروا حزب الله وفريقه .والثالث :المراد نصرة الله حقيقة . فالشيطان عدو الله ، يجتهد في تحقيق الكفر وغلبة أهل الإيمان ، والله يطلب قمع الكفر وإهلاك أهله ، وإفناء من اختار الإشراك بجهله ، ثم قال : ﴿ يَنْصُرْكُمْ ﴾ فإن قيل :علام ؟ قلت :إذا نصر المؤمنون الله تعالى ، فقد حقق ما طلبه ، فالمؤمن ينصر الله بخروجه إلى القتال وإقدامه ، والله ينصره بتقويته وتثبيت أقدامه ، وإرسال الملائكة الحافظين له من خلفه وقدامه " (الفخر الرازي ، ب.ت ، ج٢٨،٤٩). أما القاسمي فيعبر عن مفهوم الآية بقوله : " إن تنصروا الله فإن الله ينصركم بالظفر والتمكين في الأرض ، وإرث ديار العدو " (القاسمي ، ١٣٧٧هـ، ج١٥،٤٦) .

ويتضح مما سبق أنه لا تعارض بين التفسيرين ، إذ أنهما أكدا على ضرورة تحقيق شرط النصرة والولاء لدين الله ، من أجل نيل النصر. ولقد أكد ﷻ هذه الحتمية القرآنية ، وهذا الترابط العظيم بين الولاء وتحقيق النصر بقوله ﷻ : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ۞ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج:٤٠،٤١) . " فإذا حقق المجتمع ما نيط به من قيادة الإنسانية مادياً وفكرياً وروحياً واجتماعياً كان محققاً لوعود الله له بالنصر ، وربط نصر الله لهذا المجتمع بنصر هذا المجتمع لله تعالى بنصر رسالته – بيان لما يجب أن تستهدفه قيادة الإنسانية في سيرها وهو نصر رسالة الله تعالى بإقامة معالمها بين الناس في أرجاء الأرض أينما كانوا " (عرجون ، ١٤١٥هـ ، ١٤٢) .

الأبعاد النفسية والوجدانية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد جمع الله ﷻ في قرآنه العزيز بين صفتي الولاية والنصرة في كثيرٍ من المواضع في قوله ﷻ :﴿ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ التي وردت في القرآن الكريم فيما لا يقل عن تسع مراتٍ ، مرتين في سورة البقرة ، ومرتين في سورة التوبة ، ومرتين في سورة الشورى ، ومرة في سورة العنكبوت ، ومرة في سورة محمد ، ومرة في سورة الحج ، وإن دل هذا على شيءٍ فإنما يدل على ارتباط نصر الله لنا بموالاتنا لديننا وبراءتنا من أعدائنا ، فربط ﷻ تحقيق النصر لنا نحن المسلمين ، بنصرنا له ولدينه ولأوليائه المؤمنين .

كما جعل ﷻ من تولاه ورسوله والمؤمنين ، من حزبه الغالب الذي لا يُقهر ، ليزداد المؤمن أنساً بهذا الولاء ، ويزداد ثقةً بهذا الدين فقال ﷻ :﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (المائدة:٥٦) . " فقد جاء هذا الوعد بالغلب ، بعد بيان قاعدة الإيمان في ذاتها ... وأنها الولاء لله ورسوله وللمؤمنين ؛ وبعد التحذير من الولاء لليهود والنصارى واعتباره خروجاً من الصف المسلم إلى صف اليهود والنصارى ، وارتداد عن الدين "(قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج٢،٧٧٩) . وسيره المصطفى ﷺ وسيرة صحابته الكرام ﷺ ، أكبر دليل ، وأعظم برهان على تحقيق وعد الله بنصر حزبه ، " وما نُصِرَ رسول الله ﷺ بالرعب مسيرة شهرٍ إلا بجيشٍ قليلٍ لا يتجاوز عدده ثلاثين ألفاً ، بيد أنهم كانوا على قلب رجلٍ واحدٍ ، يطلبون الحياة والشرف لأهلهم وأوطانهم ، ويبيعون دماءهم وأرواحهم لله طمعاً فيما عنده وحرصاً من القتيل على حياة أخيه في الدين والإيمان " (البيحاني ، ب. ت ، ٩٧) .

كما التاريخ على مداره وسعته يشهد بذلك أيضاً ، مؤكداً على أن حتمية النصر مقترنةً بصدق الولاء لهذا الدين ، ووضوح البراء من الكفرة والملحدين . " فالتاريخ الإسلامي يذكرنا أنه حين انعقدت آصرة العقيدة في نفوس المسلمين ، تحطمت الهجمات الصليبية عليهم ، فالقواد الذين نسوا وشائج اللحم والدم والأرض والقوم ، قادوا المسلمين إلى النصر ، ومنهم صلاح الدين ، وتوران شاه ،والظاهر بيبرس ، وسيف الدين قطز ، وغيرهم . إن هذه القيادات نسيت القوم والأرض ، وتمسكت بالعقيدة فانتصرت تحت راية " لا إله إلا الله "(مدكور ، ١٤٢٢هـ ، ٢٤٢)

لقد جاءت جملة ﴿ ينصركم عليهم ﴾ بين أربع دلالات نفسية ، اثنتان قبلها واثنتان بعدها ، فقال ﷻ : ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ۞ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة:١٤، ١٥) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنه وعدٌ من الله ﷻ للذين ينصرون دينه ، وينصرون رسوله ، وينصرون أولياءه ، الذين يرفعون شعاره الخالد " لا اله إلا الله " قلباً وقالباً ، وقد جاء هذا الوعد بعد التحذير من موالاة اليهود والنصارى ، ونصرهم والتآمر معهم ،إنه انعكاسٌ طبيعي وأثر ديناميكي ، فهو رباني ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً ﴾ (النساء: من الآية٨٧) حيث قال ﷻ :﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (المائدة:٥٦). " ثم تخلص لنا هذه القاعدة التي لا تتعلق بزمانٍ ولا مكان – فنطمئن إليها بوصفها سنةٌ من سنن الله التي لا تتخلف وإن خسرت العصبة المؤمنة بعض المعارك والمواقف فالسنة التي لا تنقض هي أن حزب الله هم الغالبون –ووعد الله القاطع أصدق من ظواهر الأمور في مراحل الطريق وأن الولاء لله ورسوله والذين آمنوا هم الطريق المؤدى لتحقيق وعد الله في نهاية الطريق " (قطب ، ١٣٨٦ هـ ، ج٢، ٧٨٠) . ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾ (آل عمران:١٥٠) والمعنى إنكم تطيعون الكفار لينصروكم و يعينوكم على مطالبكم وهذا خطأٌ و جهالة لأنهم عاجزون مثلكم متحيرون ، وبغير إذن الله لا ينفعون ولا يضرون ﴿ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾ " فلو فرضنا أن لأحدٍ سواه قدرة على النصر لأنه خبيرٌ بمواقع الحاجات ، قديرٌ على إنجاز الطلبات ، ينصر في الدنيا و الآخرة ، بلا شائبة علة من العلاّت ، ونصرة غيره لو فرض ، فإنه مخصوصٌ بالدنيا في بعض الأمور و في بعض الأوقات ، ولغرضٍ من الأغراض الفاسدة كيف ولا ناصر بالحقيقة سواه (تعيلب ،١٤١٦هـ ،ج١،٤٧٣) .

لقد حث الله ﷻ المؤمنين على قتال الكافرين، وذلك لأن كيد زعيمهم الشيطان ضعيف دائماً " فقد أمر الله ﷻ الذين آمنوا على أن يقاتلوا الكافرين باعتبارهم أولياء ، و ناصري الشرور التي يدعون إليها ، مع ترغيبهم بأنهم أقوى منهم و سينتصرون عليهم نظراً إلى أن كيد الشيطان ضعيف دوماً، فكيد أوليائه الذين يقاتلون في سبيله و ضمن خططه ووصاياه التي يوسوس بها ، و يهديهم إلى أفكاره الشيطانية فيه هو كيد ضعيف" (الميداني ،١٤١٣ هـ، ج١،٥٣٨) .

بيد أن هذا الولاء والبراء إن تحقق بين أفراد المجتمع ، فلا بد أن يصقل قيادة ربانية رشيدة لهذه الأمة، تحمل ما يحمل عناصرها من صدق الولاء والبراء ، فتضيق الهوة بين الجند والقادة ، يومئذ يتحقق نصر الله ، " فالأمة الإسلامية لتنطوي على طاقاتٍ لا حدود لها ، وإنها لتحتاج إلى قيادة تثق في الله رباً ، وفي الإسلام ديناً٠٠ قيادة تحتضن الإسلام قلباً وقالباً ٠٠جوهراً ومنظراً ٠٠ عقيدةً وشريعةً ٠٠ديناً ودولةً ، قيادة تصبح وتمسي وهمُها عقيدتها وأمتها ٠٠قيادةً يكون ولاؤها أولاً وأخيراً لله رب العالمين " (يوسف ، ١٤١٨هـ ، ١٩٠) .

الأبعاد النفسية والوجدانية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما إذا تخلى المسلمون عن هذه الولاية ، فاتجهوا بقلوبهم إلى أعدائهم ، يطلبون منهم النصرة والتحرير ، والعزة والتمكين ، راكنين إليهم ، فعندئذ يحصل الندامة **والهزيمة الخسارة** ، ويبتعدون عن النصر و العمارة وفي ذلك يقول الله تعالى :﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾ (هود:١١٣) .لقد اقتضت سنة الله أن يهدى إليه أولياءه الذين نصروا دينه ، بأن ينير عقولهم ، ويملأ قلوبهم نوراً ويقيناً ، كما اقتصت في المقابل أن تجعل أولئك الذين والوا شياطين الإنس والجن في وهم وسراب كما قال الله تعالى ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾(النساء: من الآية١٤٢).

ولكن وعد الله لابد وأن يتحقق ، والنصر حليف المؤمنين إن عادوا إلى دينهم ، ونصروا راية ربهم ، وألقوا بكل الرايات الأخرى التي ما جلبت لنا إلا الذل والهزيمة والانكسار ، وإلا فالنصر بعيد ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة:٢٤) " فشواهد نصر الله لأوليائه المتقين لا تحصر في التاريخ ، وكذلك شواهد خذلان الشيطان لأوليائه كثيرة لا تحصر ، منها ما كان في غزوة بدر ، إذ زين الشيطان للكافرين أعمالهم ، وقال لهم : إني جارٌ لكم ، فلما وقعت الواقعة فر الشيطان جباناً خائفاً ، وفي بيان ذلك قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (لأنفال:الاية٤٨) (الميداني ، ١٤١٣هـ ، ٣٠١/٢) .

وما حال المسلمين اليوم من ذلٍ وهوانٍ وهزيمة وانكسار ، إلا انعكاساً طبيعياً ، وأثراً بدهياً لتوليهم عن نصرة دينهم ، وتوليهم لأعدائهم ، مما أطمع عدوهم ، وجعل للكافرين عليهم سبيلا " فضعف المسلمين وتخاذلهم ، وتفرقهم عن دينهم ، وأخذهم الدين مجرد كلماتٍ وصياح ، وشعارات ، دون مضمون ، ودون أن يكون لها مردود عملي ، لا شك أنه أطمع غيرهم فيهم ، وكما يروى في الكتب العربية القديمة ، أن ثعلباً ضغط على أرنب فصرخ ، فانتفش الثعلب ، فقال له الأرنب : هذا ليس لقوتك ، ولكن لضعفي " (القرضاوي ، ب. ت ، ٥٤) . ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (المجادلة:١٩) .

ولم يترك القرآن الكريم طريقاً من طرق التربية في غرس المفاهيم العقدية وغيرها من المفاهيم إلا وسلكه ، ومن هذه الطرق ، استخدام مشاهد يوم القيامة ، لتصوير الخصومة والعداوة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بين الأتباع والمتبوعين ، بين الضعفاء والمستكبرين ، الذين سلكوا غير منهج الله في حياتهم الدنيا ، فأعطوا ولاءهم لأعداء الله ، وتخلوا عن نصرة أولياء الله ، طبقاً لعادات آبائهم ، وفي ذلك مشاهد كثيرة منها قوله ﷻ : ﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ۞ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (الشورى:الآيتان ٤٥ ، ٤٦)

٩ - إغاظة الكفار والمنافقين :-

تبين مما سبق أن الكفار يتفنون في إغواء المؤمنين ، بشتى الطرق وأنواعها ، للنيل من عقيدتهم ، وإخراجهم من الإيمان إلى الكفر ، وذلك لما يحيك في صدورهم من الحسد والبغضاء ، كما اتضح أن أخطر هذه الطرق ، وأخبثها يكمن في جعلهم يدورون في فلكهم بموالاتهم ، وإخراجهم من دائرة الإيمان ، وحظيرة الجماعة المتمسكة بحبل الله المتين ، إلا أن الله ﷻ قد حذر المسلمين من كيدهم ، وشدد في تحذيره من طاعتهم وموالاتهم ، وذلك رحمة منه بعباده المؤمنين ، ورأفة بحالهم ، فهو ﷻ لا يرضى لعباده الكفر ، ولقد كان من فضله ﷻ أن جعل في موالاة المؤمنين بعضهم لبعض ، ليس حصناً لهم من الوقوع في دائرة الكفر والعصيان فحسب ، بل إن المسلم بموالاته لإخوانه المسلمين ، ونصره لهم أكبر إغاظة لأعداء الدين ، وذلك مصداقاً لقوله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ۞ هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (آل عمران:١١٨، ١١٩). " فمهما كنتم تحسدون عليه المؤمنين ، ويغيظكم ذلك منهم ، فاعلموا أن الله متم نعمته على عباده المؤمنين ، ومكمل دينه ، ومُعْلِ كلمته ، ومظهر دينه ، فموتوا أنتم بغيظكم " (ابن كثير ، ب. ت ، ج١، ٣٩٩).

ولقد صوَّر القرآن الكريم غيظهم ، بأروع صورةٍ ،عكس من خلالها شدته ، فقال ﷻ :﴿ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ﴾ " فمن مظاهر تعبيراتهم الحركية عن غيظهم من المؤمنين ،أن يضعوا أناملهم و يعضوا عليها غيظاً و حنقاً، وعض الأنامل و الحنق عادةً معروفةً عند كثير من الناس ، حيث أن كل حركة نفسية لابد لها في العادة من تعبير ظاهر بالأقوال أو بالأفعال أو بسيما الوجوه" (الميداني ،١٤١٣هـ ،ج١،٢٩٨) فهي دلالات واضحة ، وعلامات بيّنة على شدة غيظهم . يقول ابن تيمية : " ما أخفى امرؤٌ سريرةً إلا أبداها الله على صفحات وجهه أو فلتات لسانه " (ابن تيمية ، ب.ت ، ج١٨،٢٧٢) .

الأبعاد النفسية والوجدانية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وما كل هذا الحقد والغيظ إلا لغشاوةٍ جعلها الله على قلوب هؤلاء ، يقول ابن القيم الجوزية " والغشاوة هو غطاء العين ، وهذا الغطاء سرى إليها من غطاء القلب ، فإن ما في القلب يظهر على العين من الخير والشر ، فالعين مرآة القلب تظهر ما فيه ، وأنت إذا ما أبغضت رجلاً بغضا شديداً أو أبغضت كلامه ومجالسته تجد على عينيك غشاوة عند رؤيته ومخالطته ، فتلك أثر البغض والإعراض عنه ، وغلظك على الكفار عقوبةً لهم على إعراضهم ونفورهم عن الرسولﷺ " (ابن القيم ، ١٤١٤هـ ، ج٤، ١٥١) .

لذا كان الولاء بين المؤمنين ونصرهم بعضهم بعضاً الحصن الحصين ، والضمان الأكيد الذي يغيظ الكفار ويجعلهم يموتون غيظاً في كل لحظة وفي كل سكنة . " إن هذه المؤاخاة العاصمة للمجتمع المسلم من التفرق والشتات ، الرابطة المناصرة بروابط المحبة والإخاء كانت شجاً في حلاقيم أعداء هذا المجتمع من اليهود والمنافقين ونفايات الوثنية ، وبقايا أشلاء الشرك الغبي ، مما أوغر صدورهم ، فأكل الحقد قلوبهم ، وأحرق أكبادهم وهم يرونه مجتمعاً يعيش في وحدة مدمجة العناصر ، يقوم وينهض مُجتمِع الهدف والوسيلة ويقعد ويدبر موحد الرأي والفكرة " (عرجون ، ١٤١٥هـ ، ج٣،١٥٥) .

ولقد فسر الميداني هذا الغيظ ، تفسيراً نفسياً ، دلل من خلاله على مدلولات حركاتهم ، فقال : وكلمة " عليكم " في قوله ﷻ : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (آل عمران: ١١٩) تدلل علي موقف العجز عن نكاية المؤمنين و إنزال المصائب بهم مع وجود الرغبة العارمة في نفوسهم للتخلص منهم بأي وسيلة ، وحينما يخلون يتحررون من ضغط المراقبة ، وتتحرك أعضاؤهم للتعبير عما في نفوسهم وقلوبهم ضد المؤمنين ،فان تخيلهم يسبقهم إلى تصور القبض على المؤمنين و افتراسهم بأسنانهم عضاً ونهشاً ،و لكنهم حين يقدمون الصور المتخيلة بأيديهم إلى أفواههم ، لا يجدون ما يعضونه إلا أناملهم بيد أن نفوسهم من الداخل تعضكم أنتم ، فالتعبير الملائم للحالتين النفسية الباطنية و الحسية الظاهرة أن يقال كما جاء في النص بإبداعه العجيب مع إيجازه ﴿ عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ فكلمة عضوا :حركة حسية ظاهرة ، عليكم : حركة نفسية باطنة ، **الأنامل**: حركة حسية ظاهرة **الغيظ** : حركة نفسية باطنة ﴿ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ " فاستمروا على غيظكم تكتوون بآلامه ما حييتم ، حتى يشتد و يتزايد بانتصار المؤمنين ، و هزائم أعدائهم ، فيكون سبباً لموتكم ، فتموتوا به ، أو حتى تنتهي آجالكم المقدرة لكم ، فتموتوا و أنتم متلبسون بغيظكم تعانون آلامه" (الميداني ،١٤١٣هـ ،ج١،٢٩٨) .

وإن كانت البغضاء المحتقنة في قلوب المنافقين والكافرين تجاه المؤمنين الموحدين ، سببها الحسد والحقد ، فإنه وفي المقابل لا بد من إظهار بغض المسلمين للكافرين والمنافقين ، للتدليل على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صدق برائهم ، بيد أن بغض المؤمنين ليس حسداً كما هو الحال في المنافقين والكافرين ، بل هو بغض في الله ،وهذا ما أكداه ابن تيمية وابن عبد الوهاب بقولهما : " واعلم أنه وإن كانت البغضاء متعلقة بالقلب ، فإنها لا تنفع حتى تظهر آثارها ، وتتبين علاماتها ، ولا تكون كذلك حتى تقترن بالعداوة والمقاطعة ، فحينئذ تكون العداوة والبغضاء ظاهرتين بينتين ، وأما إذا وجدت الموالاة والمواصلة فإن ذلك يدل على عدم البغضاء " (ابن تيمية وابن عبد الوهاب ، ب. ت ، ٢٥٨) .

ومما سبق يضع الباحث هذه الأبعاد العظيمة والمهمة أمام أصحاب القلوب الحية ، من ولاة الأمور والتربويين ، من الأساتذة والموجهين والمختصين، والدعاة والمعلمين ، وأولياء الأمور جميعاً ، المؤتمنين على سلامة الصحة النفسية لأبنائنا ، وذلك للعمل وبشكلٍ جماعي من أجل إعادة صياغة أساليبنا التربوية ، وفق المنهاج الرباني ، الذي يصقل شخصية أطفالنا بصورة سليمة ، لأن المسئولية جماعية ، والمجتمع واحد ، والهدف واحد " فلقد أحرزت البشرية انتصارات شتى في جهادها لتسخير القوى الكونية . وحققت في عالم الصناعة والطب ما يشبه الخوارق – بالنسبة للماضي- وما تزال في طريقها إلى انتصارات جديدة .. ولكن ما أثر هذا كله في حياتها ؟ ما أثره في حياتها النفسية ؟ هل وجدت السعادة ؟ هل وجدت الطمأنينة ؟ كلا ! لقدت وجدت الشقاء والقلق والخوف . (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج٢،٢٢) .

الأبعاد النفسية والوجدانية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل السادس

الأبعاد الأخلاقية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام

الأبعاد الأخلاقية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام .

١. **تحري الصدق في القول والعمل طاهراً وباطناً .**

٢. **الوفاء بالعهد والوعد .**

٣. **تحقيق العدل .**

٤. **غرس الشجاعة والاستعداد للتضحية .**

٥. **مجاهدة الكفار والمنافقين والغلظة عليهم .**

٦. **الصبر والثبات على الحق .**

٧. **الجهر بالحق .**

٨. **القوة .**

٩. **التواضع وخفض الجناح .**

١٠. **الإيثار .**

المنارة للاستشارات
الأبعاد الأخلاقية
www.manaraa.com

الأبعاد الأخلاقية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام

حرص الإسلام في تشريعاته على صياغة الإنسان القويم السوي ، الذي تتجلى فيه الأخلاق الحميدة وفق معيار الإسلام ، فإذا ما تحرى المسلم هذا في جوانب حياته المتعددة ، كانت تصرفاته انعكاساً طبيعياً لطبيعة هذا الدين العظيم ، وتأصل ذلك في نفسه فأصبح قرآناً يمشي على الأرض ، وليس غريباً أن يهتم الإسلام بهذه الصياغة لخليفة الله على الأرض ، الذي جعله الله ﷻ أكرم مخلوقاته ، وفضله على سائرها حيث قال ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾(الإسراء:٧٠) " فبناء الأخلاق على أساس عقدي ، يشكل ضمانة لثبات الأخلاق واستقرارها ، وعدم العبث بها ، كما يعتبر في الوقت نفسه ثمرة طبيعية لهذه العقيدة " (قرعوش وآخرون ، ١٤٢٢هـ ، ٢٨) .

لذا فقد شهد التاريخ الإسلامي كما شهد أعداء الإسلام ؛ على عظيم خلق الصحابة الكرام ﷺ وحسن خلق التابعين ، الذين تحولوا بفضل ولائهم الصادق لدينهم وبرائهم الواضح من أعدائهم من نماذج للقسوة والظلم والأثرة ، إلى نماذج يُقتدى بها في الصدق والإخلاص والرحمة والعدل والإيثار .

فإذا كان ولاء المسلم لله ورسوله وللمؤمنين يعني أولاً وأخيراً ؛ نصرة شرعه ، والتمسك بعقيدته ؛ فإنه بلا شك كان للولاء و البراء الذي تجسد في الرعيل الأول آثاره الجلية التي انعكست عنه هذه الأخلاق الحميدة ، فلم تكن مجرد مراء أو تصنيع ، بل حقيقة سطّروها علي صحافٍ من ذهب لتكون لمن خلفهم نبراساً . ففي ميدان احترام الإنسان ؛ وجدنا كيف قدَّرت هذه الأخلاق كرامة الإنسان ، بصرف النظر عن لونه و جنسه ، والتي دعت تبعاً لذلك إلي احترام جميع الحقوق الطبيعية ، وتحقيقها وتيسير السبل إلي ذلك لمن يعجز عن الوصول إليها . وفي ميدان المعاملة ؛ تدعو إلي الصدق في القول والعمل، و أداء الأمانة ، واحترام العقود ، وتنهى عن الكذب والخيانة و الخداع والمماطلة والفسق والاستغلال ، وغيرها من الصفات الذميمة. وفي ميدان الاقتصاد ؛ تدعو إلي العمل المتواصل والإبداع والابتكار من ناحية ثم التقشف والقناعة وعدم التبذير والإسراف من ناحية أخري في توازنٍ هادئٍ بديع . وأما في ميدان السياسة والحكم ؛ فهي تدعو إلي احترام العهود و المواثيق ، وإلى العدل و المساواة في العمل، و تنهي عن المحاباة و التسلط و ما إلي ذلك من الصفات القبيحة . " فالأخلاق الإسلامية أكمل و أصلح أخلاق للحياة الإنسانية ، ولا يرجع هذا التكامل وتلك الصلاحية للأخلاق الإسلامية إلي قدرتها على مسايرة تطور الحياة فحسب ، بل إنها

المنارة للاستشارات
الأبعاد الأخلاقية
www.manaraa.com

بلغت من التكامل و الصلاحية حداً مثالياً ، ذلك إنها تختص جميع الفضائل الإنسانية و الأعمال الخيرة لصالح الفرد والمجتمع ، وتنفر من الرذائل و الشرور" (يالجن ، ١٣٩٢ هـ ، ٣٦٤) .

بينما معيار الأخلاق في المجتمعات الجاهلية يميل إلى البهيمية والحيوانية أكثر من ميله إلى صفة الإنسانية " وفي المجتمعات الجاهلية الحديثة ينحسر المفهوم الأخلاقي بحيث يتخلى عن كل ماله علاقة بالتميز الإنساني عن الحيوان " (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج٣،٤٦٥) .

أما الخلق فهو " حال للنفس داعية لها وإلى أفعالها ، من غير فكر ولا رويه وهذه الحال تنقسم إلى قسمين : أ- منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج كالإنسان الذي يحركه أدنى شيءٍ نحو غضبٍ و يهيج من أقل سبب .

ب- ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة و التدريب ، وربما كان مبدؤه بالرويه و الفكر ثم يستمر عليه أولاً فأولاً حتى يصير ملكةً وخلقاً. (ابن مسكوية ، ١٣١٧هـ،٢٥) .

والخلق لغةً : بضم اللام وسكونها ، هو الدين والطبع والسجية . **أما اصطلاحاً**: فهو " هيئة في النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجةٍ إلى فكرٍ وروية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً ، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة ، سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً " (الغزالي ، ب. ت ، ج٣،٥٨) .

لقد أدى ولاء المسلمين لدينهم وبراءتهم من أعدائهم إلى العديد من الأخلاق الحميدة ، وقد بدت هذه الأخلاق واضحة في سلوكهم ومعاملاتهم ، ومن أهم هذه الأخلاق في حياة الإنسان المسلم :

١ - تحري الصدق في القول والعمل ظاهراً وباطناً :

الصدق صفة عظيمة لا يتصف به إلا المؤمنون الصالحون ، وهو من أعلى المنازل وأجلّها قدراً ، حيث أنه من صفات الله ﷻ ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾(النساء: الآية١٢٢) .وهو في الوقت نفسه من صفات الأنبياء والرسل أجمعين عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين ، قال الله ﷻ :﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً ﴾ (مريم :الآية٤١) .مع مراعاة أن صفات الخالق لا تشابه صفات المخلوق .

ولقد أمر الله ﷻ المسلمين أن يتحلوا به في جميع أمور حياتهم فقال ﷻ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(التوبة:١١٩) . كما جعله ﷺ من أسباب البر ودخول جنانه ﷻ ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عمر رَضِي اللَّه عَنْهما عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا " (البخاري ، كتاب الأدب ، ح ٥٦٢٩) .

ولقد ربط الله ﷻ بين ولاء المهاجرين ، الذين تركوا أموالهم ، وخرجوا من ديارهم ، وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاته ﷻ ، وبين صدق أقوالهم وأفعالهم فقال ﷻ :﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (الحشر:٨) . " وهي صورة صادقة تبرز فيها أهم الملامح المميزة للمهاجرين...أُخرجوا إخراجاً من ديارهم وأموالهم ، أكرههم على الخروج الأذى والاضطهاد والتنكر من قرابتهم وعشيرتهم في مكة ،وهم مع أنهم مطاردون قليلون﴿ وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ بقلوبهم وسيوفهم في أحرج الساعات وأضيق الأوقات﴿ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ " (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج٨،٤٠) .

وصدق الصحابة رضي الله عنهم لا يخفى على أحدٍ من المسلمين فضلاً عن غير المسلمين ، ومواقفهم أعظم من أن تغطى في مبحث ، أو في مجلد ، وأكبر من أن تحاط وأعظم من أن تحصى ، والباحث حين يذكر قصة أحدهم إنما يذكرها ليوضح كيف أثر الولاء على حالهم ، ومن هذه المواقف الجليلة ، التي تُبرز صدقهم المنعكس عن صدق ولائهم وقوة إيمانهم ، ما حدث مع الصحابي الجليل كعب بن مالك الذي صدَّقه الله تعالي من فوق سبع سماوات .

فعن عبد الله بن كعب بن مالك قال : سمعت كعب بن مالك حين تخلف عن تبوك و الله ما انعم الله عليَّ من نعمة بعد إذ هداني ، أعظم من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا حين أنزل الوحي ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة:٩٥،٩٦) . (البخاري ، كتاب التفسير، باب قوله "سيحلفون بالله عليكم" ،ج٦،٤١٠ ، ح١٩٧) . حيث روى البخاري في صحيحه : أنه عندما تخلف كعب بن مالك عن الغزو مع رسول الله ﷺ وعلم بعودة النبي ﷺ وصحابته رضي الله عنهم تحدث قائلاً : فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ حَضَرَنِي بَثِّي فَطَفِقْتُ أَتَفَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا أَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ كُلَّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي فَلَمَّا قِيلَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ

الأبعاد الأخلاقية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسَلَّمَ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا زَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَنْجُوَ مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَدًا فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ وَصَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُتَخَلِّفُونَ فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَانِيَتَهُمْ وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ وَيَكِلُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَتَّى جِئْتُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ" تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ لِي : " تَعَالَ " فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لِي : " مَا خَلَّفَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ اسْتَمَرَّ ظَهْرُكَ " قَالَ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنِّي أَخْرُجُ مِنْ سَخْطَتِهِ بِعُذْرٍ لَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا وَلَكِنَّهُ وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى عَنِّي بِهِ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ تَعَالَى يُسْخِطُكَ عَلَيَّ وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ بِصِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لَأَرْجُو قُرَّةَ عَيْنِي عَفْوًا مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي عُذْرٌ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَفْرَغَ وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ . فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ تَعَالَى فِيكَ " فَقُمْتُ وَبَادَرَتْ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي فَقَالُوا لِي وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا اعْتَذَرَ بِهِ الْمُتَخَلِّفُونَ لَقَدْ كَانَ كَافِيَكَ مِنْ ذَنْبِكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَ قَالَ فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي قَالَ ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ قَالُوا نَعَمْ لَقِيَهُ مَعَكَ رَجُلَانِ قَالَا مَا قُلْتَ فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ قَالَ فَقُلْتُ لَهُمْ مَنْ هُمَا قَالُوا مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَامِرِيُّ وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ قَالَ فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا لِي فِيهِمَا أُسْوَةٌ قَالَ فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي " (البخاري ، المغازي ، باب في حديث كعب بن مالك ، ج٣، ٣١١ ، ح٨٥٩) .

وإذا كان للإخلاص علاقة وثيقة بالولاء ، فإن ثمة علاقة بين الصدق والإخلاص حين أن " الإخلاص شرط لازم في الصدق ، فكل مخلص صادق ، وكل صادق مخلص " (عبد العزيز ، ١٤١٣هـ ، ٢٥) . والمسلمون اليوم كما هو متداول في نظريات التربية الحديثة ، في أمسِّ الحاجة إلى الصدق والإخلاص ، إذ أن الصدق قوام الأعمال جميعها ، بل هو دعامة خلق المسلم " فالله ﷻ خلق السماوات والأرض بالحق ، وطلب من الناس أن يبنوا حياتهم على الحق ، فلا يقولوا إلا حقاً ، ولا يعملوا إلا حقاً ، ومن هنا كان الاستمساك بالصدق في كل شأنٍ ، وتحرِّيه في كل قضية ، والمصير إليه في كل حكمٍ ، دعامة ركينة في خلق المسلم " (الغزالي ، ب. ت ، ٣٥) .

ومن هنا برزت الحاجة إلى غرس الولاء والنصرة لهذا الدين في عقول وقلوب أبنائنا، وربطه به من خلال بناء المناهج التي تدعم هذا المفهوم العظيم ، لنربي من خلاله جيلاً ربانياً صادقاً في أقواله وأفعاله ، أما إذا تخلى المسلمون ، وولاة أمورهم عن العمل الجاد والدؤوب من

المنارة للاستشارات
الأبعاد الأخلاقية
www.manaraa.com

أجل ذلك ، فإن الولاء يبقى ضعيفاً هشاً ، وستظل الأمة الإسلامية تعاني الويلات من كذب الأجيال القادمة ، فإذا كان الولاء لدين الله ورسوله وللمؤمنين يعزز الصدق والإخلاص ، فإن موالاة الكفار والمنافقين سيؤدي لا محالة ، **إلى الكذب** . وهذا ما يؤكده القرآن الكريم ، بل لقد كان تناوله وتوضيحه لأبعاد موالاة أعداء الإسلام بشكل كبير ، وذلك لخطورة هذا المرض ، وحساسيته ، فهو سبب الفجور، وسبب الهلاك كما بيّن النبي ﷺ " وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا " (البخاري ، كتاب الأدب ، ح ٥٦٢٩) .

فالكذب من أعظم أسباب البعد عن الهداية . " حيرة البشر وشقوتهم ترجع إلى ذهولهم عن هذا الأصل الواضح ، وإلى تسلط أكاذيب وأوهام على أنفسهم وأفكارهم ، فأبعدتهم عن الصراط المستقيم " (الغزالي ، ب. ت ، ٣٥) . ولقد أشار ﷻ في كتابه العزيز بكل وضوح ، و في مواضع كثيرة ، إلى العلاقة بين موالاة الكفار والمنافقين وبين الكذب ، مدللاً على أن من آثار موالاتهم ، ممارسة الكذب من قِبَلِ من والاهم ، قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (المجادلة:١٤) . يقول ابن كثير " أي هؤلاء المنافقون ليسوا في الحقيقة منكم أيها المؤمنون ، ولا من الذين يوالونهم وهم اليهود ثم قال ﷻ :﴿ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ يعني المنافقين يحلفون على الكذب وهم عالمون بأنهم كاذبون فيما حلفوا ، وهي اليمين الغموس ولاسيما في مثل حالهم اللعين عياذاً بالله " (ابن كثير، ب. ت ،ج٤، ٣٢٨) .

ثم يعود السياق القرآني بعد تقريعهم بما أعد لهم من عذاب ، يعود ليؤكد خبث نواياهم ، وسوء سرائرهم ، مصوراً ذلك بقوله ﷻ :﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾ وقد عبر الميداني عن ذلك قائلاً : " أي جعلوا أيمانهم سُترة يسترون بها نفاقهم ومنكراتهم وخياناتهم وموالاتهم للذين غضب الله عليهم ، وسائر أعمالهم التي تعبر عن هويتهم الحقيقية ، وهو الكفر بالرسول ﷺ وبما جاء من ربه ، فهم في موقع المحارب الجبان ، الذي يريد أن يقاتل ، ولا يستطيع ، فيستر نفسه بما يُخفي تحركاته العدائية الكيدية ، وستارتهم هي الكذب والحلف على الكذب " (الميداني ، ١٤١٤هـ ،ج٢، ١١٢) .

ثم يستطرد القرآن الكريم ليؤكد هذا الداء الخطير لهذه الخيانة العظيمة ، لعل أولئك الذين غفلوا عن هذا الانحراف العقدي أن يعودوا إلى رشدهم ، ويتراجعوا عن غيهم ، فيصبحوا في تعداد الفائزين ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ (المجادلة:١٨) . قال الميداني في قوله ﷻ :﴿ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ : " استُفيد بهذا الحصر من تعريف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طرفي الإسناد ، مع التأكيد بضمير الفصل . أداة التعريف هي هنا للكمال ،أي للدلالة على أنهم جمعوا كل أنواع الكذب ، واستكملوا كل عناصره ، وهذا الجمع لا يوجد عند غيرهم ، فهم أخس الكذابين ، لا يشاركهم في درجة هذه الخِسة أحد " (الميداني ، ١٤١٤هـ ،١١٥/٢) .

لذا كان المسلم الصادق في ولائه على مر العصور و الأزمان، صادقاً في أفعاله وأقواله ، أما الذين مردوا على النفاق ، ووالوا أعداء دينهم فهم سيدخلون في دائرة الكذب لا محالة ، حتى لا يكون تناقض بين ما يعلنون وما يسرون ، والتاريخ حافلٌ بقصص هؤلاء ، وهذا ما دفع رأس المنافقين عبد الله ابن أُبَيَ ابن سلول للكذب على رسول الله ﷺ وهو أكبر دليلٍ على الأثر السيئ لموالاة أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والذين أشركوا فعن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَجَاءٍ قال : سَمِعْتُ عبد الله ابْنَ أُبَيٍّ يَقُولُ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ وَلَئِنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي أَوْ لِعُمَرَ فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عبد الله بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ فَحَلَفُوا مَا قَالُوا فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَدَّقَهُ فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ فَجَلَسْتُ فِي الْبَيْتِ فَقَالَ لِي عَمِّي مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَقَتَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ (المنافقون:١) إلى قوله ﴿ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺفَقَرَأَ فَقَالَ : " إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ "(البخاري،كتاب التفسير، ج٦،٥٣٥،ح١٣٢٦) .

وإذا كان الصدق الواضح من قبل المؤمنين الصادقين في إيمانهم ، الراسخين في ولائهم ، الواضحين في برائهم ، قد شهد الله ﷻ عليه من فوق سبع سماوات معززاً إياهم ، ومبشراً لهم ، فإن كذب المنافقين الذين تخلوا عن نصرة دينهم ، وسارعوا في موالاة أعدائهم ، قد شهد الله عليه موبِّخاً لهم ، وفاضحاً لؤم نواياهم . " ولم يكتف هذا العربيد رأس النفاق والمنافقين بذلك ، ولكنه تمطى وتثاءب وتوهم أن أباطيله تروج على العقول المؤمنة ، وقال قولته الفاجرة الكذوب التي حكاها الله في سورةٍ من القرآن الحكيم ، وتفضح كل من على شاكلته في لؤم الطبع " (عرجون ، ١٤١٥هـ ، ج٣، ١٥٩) .

وإذا كانت ثمة علاقة بين الصدق والإخلاص وموالاة دين الله ﷻ ، فإن هناك علاقة بين مولاة غير دينه ﷻ والشرك والكذب ، وذلك في قوله ﷻ :﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾(الزمر:٣) . فهؤلاء لتوليهم عن دين الله و توليهم لأعدائه ، استدرجهم هذا الولاء إلى الكذب و النفاق و الشرك ، وهى نتيجة حتمية .

الأبعاد الأخلاقية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢ - الوفاء بالعهد :-

الوفاء " هو ملازمة طريق المواساة ، ومحافظة عهود الخلطاء " (الجرجاني ، ١٤٠٣هـ ، ٢٥٣) . أما **العهد** : فهو كما يشير ابن منظور : " أنه كل ما عوهد الله عليه ، وكل ما بين العباد من المواثيق " (ابن منظور ، مادة عهد) .

وإذا كان الصدق سفينة النجاة ، فإن الوفاء شراعها ، فحيثما وجد وفاء وجد صدق والعكس صحيح " والصدق والوفاء توءمان ، والصبر والحلم توءمان ، فيها تمام كل دين ، وصلاح كل دنيا ، وأضدادهما سبب كل فرقة ، وأصل كل فساد " (الماوردي ، ١٣٩٣هـ ، ٢٥٥) .

وللوفاء بالعهود والوعود قيمة عظيمة ومنزلة جليلة " فلأهمية الوفاء بالوعد والعهد ، فقد وردت كلمة وَعَد ومشتقاتها في القرآن الكريم ما يقرب من مائة وخمسين مرة " (قرعوش وآخرون ، ١٤٢٢هـ ، ١٠٩) .

وأي وفاء أعظم من أن يفي المرء بما عاهد الله عليه تجاه نصرة شرعه ، وإقامة حكمه ، وذلك لأن " الله ﷻ قد أخذ العهد من كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام أنه مهما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمة وبلغ أي مبلغ ، ثم جاء رسول من بعده ليؤمنن به ولينصرنه ، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته ولهذا قال ﷻ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ (آل عمران:٨١) أي لمهما أعطيتكم من كتاب وحكمة ﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس وقتادة والسدى : يعني عهدي .وقال محمد بن إسحاق (إصري) أي ثقل ما حملتم من عهدي أي ميثاقي الشديد المؤكد ﴿ قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (ابن كثير ، ب. ت ، ج١،٣٧٧) .

ولقد أثنى الله ﷻ على المؤمنين الذين بايعوا نبيه محمداً ﷺ على نصرة دينه بأموالهم وأرواحهم ودمائهم ، مباركاً هذه البيعة بقوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ زاجراً لأولئك الذين ينقضون عهودهم مع الله ، معظماً أجر الأوفياء الصادقين ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (الفتح:١٠) كما آتى الله ﷻ الصحابة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكرامﷺ الأجر العظيم ، لوفائهم لدينهم ولصدقهم فيما عاهدوا الله عليه ، بأن جعلهم سادة الأمم وقادتها ، بعد أن كانوا عبيداً عند صناديد الكفر من قريش ، فقد روي أن فنحاص بن عازوراء ، وزيد بن قيس ، ونفراً من اليهود ، قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد : ألم تروا ما أصابكم ، ولو كنتم على الحق ما هُزمتم ؟ فارجعوا إلى ديننا فهو خيرٌ لكم وأفضل ، ونحن أهدى منكم سبيلاً .فقال عمار ﷺ : كيف نقض العهد فيكم ؟ قالوا شديد . قال : فإني عاهدت الله أني لن أكفر بمحمد ما عشت ، فقالت اليهود أما هذا فقد صبأ . وقال حذيفة ﷺ : وأما أنا فقد رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً وبالقرآن إماماً ، وبالكعبة قبلةً ، وبالمؤمنين إخواناً " (الفخر الرازي ، ب. ت ، ج٣،٢٣٦) .ومن هذا الموقف العظيم نلمس صدق ولائهم ﷺ ووضوح برائهم ، وما نتج عنه من تمسكهم بعهدهم مع الله بنصرة شرعه وتحقيق منهاجه .

ولئن كان الولاء لله ﷻ ولرسولهﷺ والمؤمنين يلزم الوفاء لدينه وعقيدته ، فإن الوفاء لدين الله وعقيدته يفرض الولاء لله ورسوله والمؤمنين " والوفاء للعقائد والمبادئ يفرض ، الولاء لمن يواليها والبراءة ممن يعاديها ، واعتراض من يعترضها ، كذلك فعل أتباع الأنبياء في جميع الأعصار ، ولذلك يقول الله تعالى :﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (الممتحنة:٤) (الغزالي ، ١٤١٧هـ ، ٤٥٢) .

والوفاء بالعهود صفة المسلمين الصادقين ، بل هو شعارهم العظيم ، فهو نابعٌ من عقيدتهم ، منبثق عن دينهم ، وهو في الوقت ذاته ، سر سيادتهم ، واستقامتهم . " لقد كان شرف الوفاء بالعهد من الدعائم الأولى التي حافظت على كيان المسلمين وهيبتهم ، وأدام لهم عزتهم ، وهل هناك قانونٌ في الدنيا يجعل احترام العهد نابعاً من حرمة الإيمان ، وتقديس العقيدة مثل الإسلام " (قرعوش وآخرون ، ١٤٢٢هـ ، ١١٩) .

بيد أن الإسلام رغم صونه للعهود وتقديسه لها ، إلا أنه في الوقت ذاته يقظ من لدغات أعدائه " فإذا خاف الخيانة من غيره ، نبذ العهد القائم جهرة وعلانية ؛ ولم يخن ولم يغدر ؛ ولم يغش ولم يخدع ؛ وصارح الآخرين بأنه نفض يده من عهدهم . فليس بينه وبينهم أمان ... وبذلك يرتفع الإسلام بالبشرية إلى آفاق من الشرف والاستقامة "(قطب، ١٣٨٦هـ ، ج٤،٤٧).

الأبعاد الأخلاقية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونقض العهود رذيلة من أقبح الرذائل ، تصل بصاحبها إلى صفة البهيمية ، وذلك لمنافاته للأمانة والصدق ، ولما ينجم عنه من اختلال في ميادين الحياة كلها . " فالمؤمن لا يخلف العهد ، ولا يخون الأمانة . فإن الخلف يضر كثيراً ، ويضيع أوقات الناس سدى ، ويذهب بشخصية صاحبه ، ويفقد الثقة به " (سابق ، ب. ت ، ١٨٤) .

وقد أخبر الله ﷻ أن شر الدواب على هذه الأرض ، هم الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين لا يحترمون عهداً ولا يقدسون ميثاقاً، فكلما عاهدوا عهداً نقضوه ، وكلما أكدوه بالأيمان نكثوه يقول الله ﷻ : ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ (لأنفال:الآيتان٥٥،٥٦) . من هنا " فإن الإسلام يكره الخيانة ، ويحتقر الخائنين الذين ينقضون العهود ؛ ومن ثم لا يحب للمسلمين أن يخونوا أمانة العهد في سبيل غاية ، مهما تكن شريفة .. إن النفس الإنسانية وحدة لا تتجزأ ؛ ومتى استحلت لنفسها وسيلة خسيسة ، فلا يمكن أن تظل محافظة على غاية شريفة " (قطب ، ١٣٨٦ ، ج٤،٤٧) .

والغدر والإخلاف لهما آثار سلبية وخيمة على المجتمعات التي يكثر فيها هذا الخلق الذميم " والغدر والإخلاف من الذنوب الهادمة لنظام المعيشة والمفسدة للعمران والمفنية للأمم ، وما فقدت أمة الوفاء الذي هو ركن الأمانة وقوام الصدق إلا وحل بها العقاب الإلهي ، ولا يعجل الله الانتقام من الأمم لذنب من الذنوب يفشو فيها كذنب الإخلال بالعهد والإخلاف بالوعد " (عبده ، ب. ت ، ج٢،١٢٠) .

ومن هنا كانت خطورة موالاة الكافرين إذ أنها انحراف عن الولاء الحقيقي ، ينشأ عنها انحراف في المسالك والمناهج . وذلك أنه " إذا انحرفت عهود الإنسان أو انحرف الولاء وانحرف الحب عن العهد مع الله أو الولاء لله أو الحب الأكبر لله ولرسوله ؛ فَسَدَ العهد والولاء والحب وضل الإنسان وتاه ، ونشأت المذاهب والفلسفات " (النحوي ، ١٤١٧هـ ، ط٣ ، ٢٦٠) .

فلئن بشر الله ﷻ المنافقين بنفاقهم أشنع تبشير ، فاضحاً إياهم بسبب موالاتهم للكفار واليهود والنصارى ، كما أشار الباحث سابقاً عند طرحه للأبعاد الإيمانية ، ولئن كان الغدر والخيانة ونقض العهود ونكث الأيمان من صفات الكفار ، ومن صفات اليهود والنصارى ، فهي أيضاً من صفات المنافقين ، لأنهم من الكفار بنص الآيات : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة:٥١) . وقد جعل النبي ﷺ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه الصفة شعارهم ، فقال ﷺ : " أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً . ومن كان فيه خلة منهن ، كان فيه خلة من المنافقين حتى يدعها ، إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر " (مسلم ، كتاب الإيمان ، ج١،٢٧ ، ح٥٨) .

ويدخل ضمن هذه الخيانة ، التقاعس عن نصرة المسلمين ، والتخلي عنهم ، وعدم مد يد العون لهم ، ولقد حذر ﷺ من التخاذل عن القيام بهذا الواجب الديني العظيم تحذيرً شديداً ، مرغباً في الوقت نفسه المسلمين في مد يد العون والنصرة لبعضهم البعض حيث قال ﷺ : " ما من امرىءٍ يخذل امرءاً مسلماً في موضعٍ تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطنٍ يحب فيه نصرته ، وما من امرىءٍ ينصر مسلماً في موضعٍ يُنتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطنٍ يحب نصرته " (أبو داوود ، كتاب الأدب ، ج٤،٢٧٢،ح٤٨٨٤) .

٣ - تحقيق العدل :-

العدل يعني : " أن ينال كل امرئ ثمار جهده ، وأن يتحمل كل امرئ مسئولية أخطائه " (إبراهيم ، ١٤٠٩هـ ، ١٠٥) .

فمن أهم دعائم السعادة التي يسعى الإسلام لتحقيقها ، هي أن يطمئن الناس على حقوقهم ، وأن يستقر الأمن بين جنباتهم ، وأن يتحقق العدل فيما بينهم ، ولا تكاد البشرية تعرف شيئاً أبعث للشقاء والفتن ، وأذهب للاطمئنان والسكن بين الأفراد والجماعات ؛ من سلب الحقوق ، ومصادرة الحريات ، واغتصاب الأقوياء حقوق الضعفاء . وإن أزهى فترات العدل والإحسان ، والأمن والأمان كانت في ظل الخلافة الإسلامية الراشدة ، يوم أن كان الولاء لدين الله ﷻ ، والبراء من كل ألوان الشرك وتداعياته ، شعارهم ، ومضمونهم .

وعلاقة الولاء بالعدل علاقة طردية واضحة جلية ، فحيثما كان ولاء لدين الله ﷻ وبراء من كل شيءٍ سواه ؛ كان العدل والإنصاف ، وحيثما كان خذلان لدين الله ﷻ ولنصرة الحق أينما كان ؛ كان الظلم والجور والضياع . وذلك لأن الولاء لدين الله يعني نصرة شرعه وتحقيق منهجه وهذا هو العدل بعينه كما بيّنه(ابن مسكويه ، ١٣١٧هـ ، ١١٩) بقوله : " إن الشريعة – لما كانت تقدر الأفعال الإرادية التي تقع بالروية بالوضع الإلهي – صار المتمسك بها في معاملاته عادلاً والمخالف لها جائراً . ولهذا قلنا إن العدالة لقب للمتمسك بالشريعة ".

ويؤكد ذلك قوله ﷻ لنبيه ﷺ وللمؤمنين من خلفه: ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا

الأبعاد الأخلاقية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (الشورى:١٥) .

ولإقامة العدل وإحقاق الحق آثاره الطيبة على الفرد والمجتمع في مختلف النواحي وفي شتى المجالات ، التربوية والإيمانية والأخلاقية والنفسية والسياسية وغيرها . " وذلك لأن إقامة الحق والعدل هي التي تشيع الطمأنينة ، وتنشر الأمن ، وتشد علاقات الأفراد بعضهم ببعض ، وتقوي الثقة بين الحاكم والمحكوم ، وتنمي الثروة ، وتزيد الرخاء ، وتدعم الأوضاع ، فلا تتعرض لخلخلة أو اضطراب ، ويمضي كلٌ من الحاكم والمحكوم إلى غايته في العمل والإنتاج " (سابق ، ب. ت ، ١٤٧) .

وفي مقابل تحقيق العدل وانتشاره وسيادته بين عناصر المجتمع وأساسياته ومكوناته جرّاء موالاة المؤمنين لدينهم ونصرهم لشريعة ربهم ، يحل **الظلم** وتنتشر الفوضى في المجتمع إذا ما تخلى أفراده عن هذه الولاية وهذه النصرة واتجهوا إلى ولاية عدوهم وعدو ربهم .

ولقد ربط الله ﷻ بين موالاة الأعداء والظلم في كثير من المواقع القرآنية ،حيث قال ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (التوبة:٢٣) . وقال أيضاً : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(الممتحنة:٩) . يقول (الزحيلي،١٤١١هـ،ج٦،٢٢٥) . في قوله ﷻ :﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(المائدة: من الآية٥١)

" أي من يوالى هؤلاء في شئون الدين و قضاياه و مقتضيات الدعوة و نشاطاتها ، فينصرهم أو يستنصر بهم فهو ظالم لنفسه بوضعه الولاية في غير موضعها، والله لا يهديه إلى خيرٍ أو حقٍ بسبب موالاة الكفر "

وفي ذلك دلالة واضحة على وقوع الظلم ممن والى غير دين ربه ونصر عدو ربه. أما في قوله ﷻ :﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (التوبة: من الآية٢٣) فقد أشار (رضا ، ب. ت ، ج١٠،٢٤٤) إلى أن " من يتولهم منكم والحال ما ذكر ، فأولئك المتولون الظالمون لأنفسهم ولجماعتهم ، العريقون في الظلم الراسخون فيه بوضع الولاية موضع البراءة ، والمودة في محل العداوة ". فجعل الظلم لا يقتصر على صاحب هذه الولاية الجائرة الضالة ، بل إنه سيلحق بالجماعة المحيطة ، وهو أمر بديهي ومنطقي ، وذلك لأن الفرد لا يحيا منعزلاً عن الجماعة ، فإن الضرر بالنفس حتماً سيعود على الآخرين ، وبذلك يستشري الظلم الاجتماعي وهو الذي يتظالم به العباد ، فيطغى بعضهم على بعض في التعامل الذي توجبه الحياة الاجتماعية من دفع الأذى والأضرار

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجلب المنافع ، فيظلم القوي الضعيف ، ويسلب القادر حق العاجز ، ويبخس الرئيس مرءوسيه فجوراً وطغياناً . وواقعنا المعاصر منذ سقوط الخلافة الإسلامية ، وإقصاء الإسلام عن القيادة خير شاهدٍ وخير دليل عن هذا الظلم الذي عم البلاد والعباد نتيجة هذا الإتباع وهذه الإمَّعيَّة ، فلا يختلف اثنان أن حياة البشرية في بقاع الأرض من مشرقها إلى مغربها ومن شمالها إلى جنوبها، ومن أقصاها إلى أدناها أشبه بالغاب ، فلا يرحم غنيٌ فقيراً ، ولا يعطف قويٌ على ضعيف .

من هنا فقد نهى الله ﷻ المسلمين عن موالاة أعدائه بدءاً بأقرب المقربين من الآباء والإخوان والأبناء حيث قال ﷻ :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (التوبة:٢٣) .ومروراً بموالاة الشياطين ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ (الكهف:٥٠) وانتهاءً بموالاة الصناديد من الكفار وعتاولة الضلال من اليهود والنصارى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (المائدة:٥١) . معتبراً من تخطى هذا النهي من الظالمين . وقد بيّن القرآن الكريم ولاء اليهود والنصارى بعضهم لبعض ، وحذر المسلمين من موالاتهم ومودتهم . " فموالاة اليهود للنصارى و موالاة النصارى لليهود ضد الأمة الإسلامية ، وضد كثير من شعوب الأرض، قد برزت في عصرنا الحاضر بشكل قوى جداً، والأمة الإسلامية تعانى منه عناءً مراً ، ويشترك الفريقان في خطط المكر و الكيد ضد شعوب الأمة الإسلامية، وفى الأعمال التنفيذية أيضاً " (الميداني ، ١٤١٤هـ ،ج٢،١٩٤) .

ولشدة جرم الظلم ولعواقبه الوخيمة فقد حرم الله ﷻ الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرّماً ، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ : يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا " (مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، ح٤٦٧٤) . كما نهى النبي ﷺ عنه جاعلاً إياه ظلمات يوم القيامة فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " قَالَ اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ " (مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، ح٤٦٧٥) . " فمرتع الظلم وخيم وعاقبته سيئة ، وجزاء صاحبه النار ، وخراب الدار ، ولو بغى جبلٌ على جبلٍ لدُكَّ الباغي منهما ، وما حرم الله شيئاً

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كالظلم ، ولا توعد أحداً بمثل ما توعد به أهل الظلم ، قال تعالى :﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً ﴾ (الكهف: من الآية٢٩) . وأخبثه الشرك بالله ، وأن تجعل له نداً وهو خلقك ، أو تدعو من دونه أحداً لا يملك لك نفعاً ولا ضراً ، كما قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان:١٣) (البيحاني ، ب. ت ، ٧٦) .

وعن عبد الله بن عمر قال : لما نزل قوله ﷺ :﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (الأنعام:٨٢) شق ذلك على صحابه رسول الله ﷺوقالوا : أينا لا يظلم نفسه ؟ !فقال رسول الله ﷺ " ليس كما تظنون ، إنما كما قال لقمان لابنه:﴿ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان:١٣) (مسلم ، كتاب الإيمان ، باب صدق الإيمان و إخلاصه ،ج١، ١٤٤،ح١٢٤) .

ذلك لأن الظلم إذا ظهر في الأرض استحق مرتكبوه ومن حولهم من الساكتين عليه عذاب الله ﷻ فقال تباركت أسماؤه : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (لأنفال:٢٥) وهذا العذاب يأخذ أشكالاً عدة ، فقد يكون بتسليط شرار الناس على الأمة ، يتحكموا في مصائرهم ، وينهبوا خيرات بلادهم أمام أعينهم ولا يستطيعون أن يمنعوهم ، مما يعكس في نفوسهم الحسرة و الندامة . أو يجعل حياتهم ضنكاً ، لا يهنئون فيها ، ولا يرون يوماً تقرّ به أعينهم ، وهذا هو حال الأمة الإسلامية اليوم ، ركنوا إلى أعدائهم و حالفوهم و ناصروهم ، وأطلعوهم على أسرار المسلمين ، وقد يكون من أشكال الظلم تسليط الحكام الظالمين على هذه الشعوب التي نصرت الأحزاب العلمانية والمناهج الكفرية ، بدلاً من نصرة حزب الله من أهل الكتاب والسنة. قال ﷻ:﴿ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (الأنعام:١٢٩) وهي آية تدلل على أن " الرعية متى كانوا ظالمين فالله تعالى يسلط عليهم ظالماً مثلهم ، فإن أرادوا أن يتخلصوا من ذلك الأمير الظالم ، فليتركوا الظلم ، وهذا القول يدل على تسليط الأمراء والولاة والحاكمين الظلمة على الأمم والشعوب عقوبة معجلةً من الله ولكنها تعم الأمة كلها " (عرجون ، ١٣٩٢هـ ، ج١،٣٠٧) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فموالاة الكافرين أعتى أنواع الظلم وأخسها ، ومن هنا كان حكم الشارع الإسلامي على أولئك المذبذبين الذين يوالون أعداء دينهم وأمتهم يتناسب مع هذه الفرية العظيمة وهذا الجرم الكبير ، فقد "حكم الله على الذين يوالون الكافرين بان يعاملوا إدارياً من قبل الدولة الإسلامية الرشيدة معاملة الكافرين ، لأنهم ارتكبوا ظلماً هو من أقبح دركات الظلم وأخسها ، فاستحقوا أن يُبْرزوا و يُعَرَّفوا دون سائر من يظلم نفسه من المسلمين بأنهم القوم الظالمون، وليس من حكمة الله أن يهدى القوم الظالمين " (الميدانى ، ١٤١٤هـ،ج٢،١٩٥) .

٤ - غرس الشجاعة والاستعداد للتضحية :-

الشجاعة " قوة عزيمة النفس تدفع إلى الإقدام بعقل دون مخاطرة بعمل أو قول لتحصيل خير أو دفع شر ، مع ما في ذلك من توقع هلاك أو مضرة يقيناً أو ظناً " (الميداني ، ١٤١٣هـ ، ج٢،٥٨٦) .

والشجاعة خلق عظيم التصق بصحابة رسول ﷺ وهو نابع عن حب التضحية والاستعداد لها ، وهو من أهم الدعائم المقيمة للعدل والناصرة للصدق والحق . " والعدل والصدق لا تكاد تقوم لهما قائمة بدون شجاعة ، والشجاعة لها درجة وجوب تبلغ من الشدة تقربها من العدل ، وتتجاوب بها وجوب الصدق في جلّ المواقف والظروف " (إبراهيم ، ١٤٠٩هـ ، ١٥٥) .

ولقد تبيَّن سابقاً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ؛ على أن قوة الإيمان في قوة الولاء لله ورسوله وللمؤمنين ، وبالتالي ما ينطبق على الإيمان ينطبق على الولاء ، ومن هنا كان الولاء القوي الصادق من أقوى الأسباب في بث روح الشجاعة والتضحية والإقدام عند أصحابه وذلك للأسباب التالية :-

أ- لأنه أعلى درجات الإيمان وأوثق عراه ، بل والأقرب إلى درجات الكمال فيه، فإذا كان: " الإيمان يبعث في النفس روح الشجاعة والإقدام واحتقار الموت والرغبة في الاستشهاد من أجل الحق " (سابق ، ب. ت ، ١٦). فإن الولاء لهذا الدين العظيم يبعث على هذه الروح العظيمة .

ب - أن الولاء في تكوينه ومعناه يحمل معنى التضحية ، كما أنه يعني النصرة والتقوية والمؤازرة والتعاون ،وهذه في آحادها ومجموعها تحمل أسمى آيات التضحية الطوعية والشجاعة والإقدام.

جـ - والسبب الثالث يبدو واضحاً في " أن الدين هو الخير الأعظم . كما أن خيرات أخرى كحياة الأمة واستقلالها وسلامتها وأمنها ، والتزام العدل في حكمها أعظم من الحياة الفردية مهما كانت مكانة الفرد الاجتماعية " (إبراهيم ، ١٤٠٩هـ ، ١٥٦) .

الأبعاد الأخلاقية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهكذا يبدو أن ولاء المسلم لدينه من أقوى العوامل التي تعمل على غرس الشجاعة في قلبه ؛ فإذا ما أرادت الأمة الإسلامية أن تربي أبناءها على الشجاعة والإقدام ، وتنزع من قلوبهم الجبن والخور ؛ عليها أن ترسخ في أعماقهم الإيمان بالقيمة العليا للدين والأمة ، وبالقيمة المتوسطة للحياة الفردية. بمعنى ؛ أن تغرس في قلوبهم الولاء الصادق والواضح لهذا الدين والانتماء لهذه الأمة ولهذه الحضارة المنبثقة عنها . بيد أن هذا لا يعني أن يلقي الإنسان بنفسه إلى مهاوي الردى " فإذا تيسر للإنسان الحفاظ عليها دون مخاطرة فقد كفى الله المؤمنين القتال . أما إذا لم يتيسر فإن عليهم أن يختاروا الخير الأعظم – وهو اختيار يعاكس الميول الفطرية نحو الحفاظ على الحياة " (إبراهيم ، ١٤٠٩هـ ، ١٥٧) .

وسيرة الصحابةﷺ في هذا المجال أكبر من أن تحاط وشجاعتهم أعظم من أن تحصى ، ولا يتسع المقام لذكر جزءٍ ولو يسيرٍ منها ولكن لا بد للوقوف على موقفٍ عظيم عند محنةٍ عظيمة تعرض لها المسلمون في أول مواجهة بين أهل الحق وصناديد الباطل ، وهي كما وصفها الله ﷻ فقال:﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (لأنفال: الآية٧) . ويبدو ذلك جلياً في موقف المهاجرين المتمثل في قول الصحابي الجليل المقداد بن عمروﷺ : يا رسول الله ؛ امض لما أمرك الله فنحن معك ، وموقف الأنصار المتمثل في مقولة الصحابي الجليل سعد بن معاذ الذي سرَّ بها رسول الله ﷺ . حيث قال : يا رسول الله لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصُبُر في الحرب صُدُقٌ عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله " (ابن كثير ، ١٤١٠هـ ، ج٢،٣٩٢) .

كما تتجسد هذه الشجاعة وهذا الاستعداد للتضحية في موقف صدّيق الأمة وذلك أنه لما " خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ فِي بِضْعَ عَشْرَةَ مِائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ فَلَمَّا أَتَى ذَا الْحُلَيْفَةِ قَلَّدَ الْهَدْيَ وَأَشْعَرَهُ وَأَحْرَمَ مِنْهَا بِعُمْرَةٍ وَبَعَثَ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزَاعَةَ وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى كَانَ بِغَدِيرِ الْأَشْطَاطِ أَتَاهُ عَيْنُهُ قَالَ إِنَّ قُرَيْشًا جَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا وَقَدْ جَمَعُوا لَكَ الْأَحَابِيشَ وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنِ الْبَيْتِ وَمَانِعُوكَ فَقَالَ: " أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذَرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنِ الْبَيْتِ فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَإِلَّا تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ " . قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا الْبَيْتِ لَا تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ وَلَا حَرْبَ أَحَدٍ فَتَوَجَّهْ لَهُ فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ قَالَ امْضُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ (البخاري ، كتاب المغازي ، ح٣٨٦٠) .

الأبعاد الأخلاقية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد أثبت التاريخ الاسلامي أن الانتماء لعقيدة الإسلام والبراء من كل ألوان الشرك وأشكاله له كبير الأثر في غرس هذه الصفة الأخلاقية العظيمة وتنميتها " فهذه العقائد الإيمانية تمد قلوب المؤمنين بألوان من الشجاعة ، لا توجد عند غير المؤمنين ، لا يتخاذلون ، ولا يجبنون إلا إذا ضعفت في قلوبهم عقائد الإيمان ،أو أصابهم السبات بسبب الاستغراق في الشهوات ، والتمسك الشديد بزينة الحياة ومباهجها ومفاتنها ومفاخرها الفانية " (الميداني ، ١٤١٣هـ ، ج٢،٥٨٦) .

وللشجاعة آثار عظيمة في رفعة الأمم وعزتها " وذلك لأن الأمم إذا قهرها العدو ونكّل بها يفسد بأسها ، ويغلب عليها الجبن والمهانة ، فإذا أراد الله إحياءها بعد موتها ينفخ روح الشجاعة والإقدام في خيارها وهم الأقلون فيعملون ما لا يعمل الأكثرون " (عبده ، ب. ت ، ج٢،٤٧٥) .

من هنا كان انحراف المسلمين عن هذه المنظومة القيَميّة ، وتقديم حب النفس والمال والأهل عن حب الدين من أعظم الأسباب التي أودت بهم إلى الجبن والخور . " لقد وضعنا الحياة الفردية – خطأ – مكان الدين على رأس الخيرات كلها . وعلينا أن نسعى من خلال التربية بكل آفاقها ووسائلها إلى تصحيح هذا الخطأ الأساسي قبل أن نطمع في شيء من المجد الاسلامي الذي عاشه أسلافنا العظام ﷺ .وأعداء الإسلام يعرفون ذلك ، ويسخرون كل طاقاتهم لتزيين الحياة ولذاتها والنيل من الدين وقيمته ، لكي يشيع بيننا الخور والجبن " (إبراهيم ، ١٤٠٩هـ ، ١٦٢) .
ولعل هذا ما حذر منه النبي ﷺ قبل أربعة عشر قرناً من الزمان ، حين قال ﷺ : "يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا " . فَقَالَ قَائِلٌ : وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ : " بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ " . فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ : " حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ " (أبو داود ، كتاب الملاحم ، ح ٣٧٤٥) .

وفي مقابل الشجاعة والاستعداد للتضحية بكل ما يملك الإنسان المؤمن من أجل نصرة دينه يتغلغل **الجبن والخور** في قلوب أولئك المنافقين الذين تخلوا عن نصرة دينهم مسارعين في موالاة أعداء هذا الدين العظيم ، ظناً منهم بأنهم بذلك يكونون أكثر أمناً ، ولكنه في حقيقة الأمر هروب من تبعات الموالاة الصادقة لدين الله ﷻ . " فمن الجبن أن لا يصبر الإنسان على مواجهة المواقف المخيفة ، أو مقارعتها ، أو تحمل آلامها ، لذلك يجد سبيله إلى الفرار إن استطاع إليه سبيلاً ، أو تنقطع عزائمه وتنهار قواه ، فلا تثبت أقدامه ، وعند ذلك يستسلم استسلام الشاة لجزارها أو لمفترسها " (الميداني ، ١٤١٣هـ ، ج٢،٦٠٧) .

الأبعاد الأخلاقية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالجبن من أوضح صفات الكفار من اليهود والنصارى ، يبدو ذلك في قوله ﷻ : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة:٩٦) . ومعلوم أن الحرص على الحياة يورث الجبن في القلوب ، وكذلك في قوله ﷻ :﴿ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۞ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ﴾ (الحشر:الآيتان ١٣،١٤) يقول ابن كثير : " يعني أنهم من جبنهم وهلعهم لا يقدرون على مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة والمقاتلة بل إما في حصون أو من وراء جدر محاصرين فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة " (ابن كثير ، ب. ت ، ٣٤٠/٤) .

وهو أيضاً من صفات المنافقين الذين سارعوا في ولايتهم ويبدو ذلك في وصف القرآن الكريم إياهم بقوله ﷻ : ﴿ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الأحزاب:٢٠) . " وهذا أيضاً من صفاتهم القبيحة في الجبن والخور والخوف ﴿ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ﴾ بل هم قريب منهم وأن لهم عودة عليهم ﴿ وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ ﴾ أي ويودون إذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكونون حاضرين معكم في المدينة يسألون عن أخباركم وما كان من أمركم من عدوكم ﴿ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي ولو كانوا بين أظهركم لما قاتلوا معكم إلا قليلاً لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم والله سبحانه وتعالى العالم بهم " (ابن كثير ، ب. ت ، ج٣،٤٧٤) .

٥ - مجاهدة الكفار والغلظة عليهم :-

للجهاد تعريفات كثيرة ومتنوعة منها " المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب ، أو اللسان أو ما أطاق من شيء " (ابن منظور ، مادة جهد) ، كما عرفه (هيكل) بأنه " استفراغ الوسع في المُدافعة بين طرفين ولو تقديراً . ونعني بالتقدير : جهاد الإنسان لنفسه ، بتقدير أن الإنسان يشتمل على طرفين في نفسه حين تتصارع فيها رغبتان متناقضتان ، كلٌّ تجاهد في سبيل الغلبة على الأخرى " (هيكل ، ١٤١٧هـ ، ج١،٣٩) .

الأبعاد الأخلاقية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمسلم في هذه الأرض منذ بلوغه حد التكليف إلى أن يلقى الله ﷻ ، في جهاد دائم مع نفسه ؛ لتلتزم ما ينفعها في الدنيا والآخرة ، ومع شيطانه ؛ ليحول بينه وبين تزيينه الشر والباطل والضلال ، كما أنه في صراع مستمر مع أهل الظلم والفسق والبدع ، وكذلك في جهادٍ مرير مع الكفار والمنافقين ، جهادٍ في الله ومن أجل الله ولتحقيق شرع الله . " إنه القتال لله ، لا لأي هدف آخر من الأهداف التي عرفتها البشرية في حروبها الطويلة ، القتال في سبيل الله . لا في سبيل الأمجاد والاستعلاء في الأرض ؛ ولا في سبيل المغانم والمكاسب ؛ ولا في سبيل تسويد طبقة على طبقة أو جنس على جنس . إنما هو القتال لتلك الأهداف المحددة التي من أجلها شرع الجهاد في الإسلام . القتال لإعلاء كلمة الله في الأرض ، وإقرار منهجه في الحياة ، وحماية المؤمنين به أن يفتنوا عن دينهم ، أو أن يجرفهم الضلال والفساد " (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج١، ٢٦٩) .

وقد حدد (محمود ، ١٤١٤هـ ، ٩٧٣) أهداف الجهاد العظيم وحصرها بما يلي : -

أ- إعلاء كلمة الله وإخماد كلمة الذين كفروا بجعلها السفلى .

ب- تأمين حاضر المسلمين ومستقبلهم ضد أي عدو حاضر أو غائب .

ت- إرهاب أعداء الله وأعداء المسلمين والآخرين الذين يؤلبون علينا في الخفاء .

ث- أن تكون العزة لله ولرسوله والمؤمنين .

ج- عبادة الله عن طريق هذه الفريضة ، والتقرب إلى الله بأدائها كاملة غير منقوصة .

وقد حذر الله ﷻ عباده من مغبة تقديم المال والأهل والعشيرة والتجارة والمسكن وزينة الدنيا وزخرفها عن حبه وحب دينه وما يترتب على هذا الحب وهذا الولاء من تبعات ومقتضيات والتي من أجلّها وأعظمها الجهاد في سبيله بقوله ﷻ : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة:الآية٢٤) حيث " بيّن القرآن الكريم أن الروابط الأسرية ، والعلاقات الاجتماعية ، والمصالح المادية ، وما شُرع من مباهج الحياة ... هي من القيم التي لا تستنكر على المسلمين أن يحرصوا عليها ما لم تُفضل على قيمة الاستجابة لأمر الله ورسوله ، وتلبية نداء الجهاد في سبيله ، وذلك لأن قيمة طاعة الله والرسول والقيام بأمر الجهاد في شرع الله فوق كل القيم جميعاً ، وأي عبث بهذا النسق في ترتيب القيم التي

المنارة للاستشارات
الأبعاد الأخلاقية
www.manaraa.com

حددها للأشياء والأعمال هو فسق وخروج عن المنهج الذي رسمه الله لحياة المسلمين يعرضهم للسخط والتهديد "(هيكل ، ١٤١٧هـ ، ج٢،٨٣٦) .

والجهاد في سبيل الله وإن كان لا تألفه النفس البشرية ولا تهواه ، بل هو مكره إليها ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ (البقرة:٢١٦) وتفسيرها " أي شديد عليكم ومشقة وهو كذلك فإنه إما أن يقتل أو يجرح مع مشقة السفر ومجالدة الأعداء " (ابن كثير ، ب. ت ، ج١،٢٥٢) . إلا أن فيه الخير الكثير ليس للمسلم وحده بل لجميع مخلوقاته ﷻ ." ففي الجهاد علاج للفرد والمجتمع ، ويعالج الفرد بأن يخرجه من مرض الكفر إلى عافية الإسلام ، ويعالج المجتمع من حيث قطع مادة الفساد والظلم في المجتمع ، وترك الكافر على كفره تكثير للكفار وتقوية لهم ، وهم أصل فساد الأرض ومنشأ الظلم ، وسبب ارتفاع الطمأنينة من عمار الارض " (إبراهيم ، ١٤١٠هـ ، ج١،٩٢١) .

من هنا فإن من أعظم الأمور التي يجب أن يهتم بها المربون ويوجهوا اعتناءهم الأكبر إليها هي تعميق روح الجهاد في نفوس أبنائنا وترسيخ معاني العزم والمصابرة في فكرهم ومشاعرهم ولا سيما في ظل الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين من قبل أعداء الدين ، وذلك من خلال ربطهم بدينهم وغرس حبه في قلوبهم ، وقد أشار (علوان ، ١٣٨٩هـ ، ج٢،١٠٨٩-١٠٩٤) إلى النقاط التي تعمق مفهوم الجهاد في نفوس الناشئة وهي : -

أ- استشعار الولد بشكل دائم أن تحقيق العزة الإسلامية ، وبناء المجد الاسلامي ..لا يكون إلا بالجهاد وإعلاء كلمة الله .

ب- إفهام الولد بشكل دائم أن الجهاد في سبيل الله أنواع : الجهاد المالي – الجهاد التبليغي – الجهاد التعليمي – الجهاد السياسي –الجهاد القتالي .

ت- تحفيظ الولد سورة الأنفال ، وسورة التوبة ، وسورة الأحزاب .. ونصوصاً أخرى من آيات الجهاد ، وبيان مواقف شجاعة النبي ﷺ وأصحابه الكرام ﷺ في بدر والخندق وحنين وغيرها.

ث- تعميق عقيدة القضاء والقدر في نفسية الولد ، ليؤمن إيماناً جازماً أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه .

وفي مقابل جهاد المؤمنين في سبيل الله لأنهم نصروا دين الله فوالوا حزبه الغالب ، يكون جهاد المنافقين الذين تخلوا عن نصرة هذا الدين ووالوا أعداء حزبه المهزومين دائماً ، يكون جهادهم في سبيل عرضٍ من الدنيا . " وأما المنافقون فقد قال الله فيهم : ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (التوبة:٤٧) .

وضعاف الإيمان قد يجاهدون ؛ ولكن في سبيل منفعتهم دون سبيل الله ، فإن ظفروا بغنيمة ثبتوا ، وإن رأوا شدة وخسارة انهزموا " (عبده ، ب. ت ، ج٦، ٤٤٠) .

لذا فقد حدد النبي ﷺ أي القتال في سبيل الله في الحديث الصحيح فعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّه عَنْه قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ﷺ فَقَالَ : الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ : " مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " (البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، ح ٢٥٩٩)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦-الصبر والثبات على الحق :

للصبر تعريفات كثيرة منها : " أنه قوة خلقية من قوى الإرادة ، تمكن الإنسان من ضبط نفسه لتحمل المتاعب وضبطها من الاندفاع بعوامل الضجر والسأم والعجلة والرعونة والغضب والشهوات " (الميداني ، ١٤١٣هـ ، ٣٠٥/٢) .ومنها " أنه تلقي المكروه بالاحتمال وكظم النفس عليه مع الروية في دفعه ومقاومة ما يحدثه من الجزع ، فهو مركب من أمرين : دفع الجزع ومحاولة طرده ، ثم مقاومة أثره حتى لا يغلب على النفس " (عبده ، ب. ت، ج٤،٢٧٧).

وإذا كان الولاء يعني النصرة ، وتحمل الأذى ، والذود عن الدين ، فإن له تبعات ؛ فهذه الأمور جميعها تحتاج إلى الصبر. والصبر فوق كل هذا أثرٌ من آثاره ، وهو في الوقت نفسه مقتضى من مقتضياته. " فالصبر هو الفضيلة التي تمكننا من النهوض بأعباء الفضائل الأخرى التي تتطلب احتمال المشاق . الثبات يوم الزحف يتطلب الصبر على الرباط ، وبر الوالدين يحتاج الصبر على احتمال رعايتهما ، وكفالة اليتيم تحتاج إلى الصبر على النهوض بمطالبه حتى يلي شئون نفسه ، والحج والصيام والتعليم والعمل كل ذلك يحتاج إلى الصبر كشرط للنجاح فيه " (إبراهيم ، ١٤٠٩هـ ، ٦٤) . وكثيراً ما ربط القرآن الكريم بين النصر والصبر، فقال ﷻ : ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران:١٤٦) وقال تباركت أسماؤه :﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (لأنفال:٤٦) .

وللصبر ثمراتٍ كثيرة على جميع المستويات الخُلقية والتربوية والجهادية والإيمانية والنفسية " فمن ثمراته الشجاعة ، والثبات على الحق ، والرضا بالقضاء والقدر ، وطلب الحلال ، والطمأنينة ، والتوكل على الله ، والشعور بالسعادة الغامرة لقضاء الله وقدره " (الشريدة ، ١٤٠٤هـ ، ١٢١) . ومن أعظم هذه الثمرات أنه لا يدع لليأس مكاناً بين المؤمنين الصادقين ، فلقد سطر الصحابة أروع آيات البطولة وأسمى آيات التضحية ، بيد أن " أعجب ما في هذه البطولة ، أن اليأس لم يستطع أن يحتل مكاناً بين جنبات الرعيل الأول من حملة الدعوة الإسلامية ، ولك أن تتصور أن عمر بن الخطاب ﷺ مثلاً كان إسلامه على رأس أربعين سبقوه إلى الإسلام ، ولم يسلم إلا بعد خمسة أعوام ، ومع ذلك لم يكن لليأس مكان بين جنبات الأربعين وهم يحتملون الأذى أعواماً خمسة طوالاً " (السمان ، ١٣٩٤هـ ، ٢٤) . وهذا ما يؤكد تفاعل الأبعاد الأخلاقية للولاء والبراء فيما بينها ، وكذلك تفاعل الأبعاد الأخلاقية مع بقية الأبعاد الأخرى ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإيمانية والاجتماعية والنفسية والعقلية ، لتصنع لنا في النهاية المسلم المتكامل ، الذي يحمل بين جنباته أحسن الأخلاق وأعظمها ، فيصبح قرآناً يمشي على الأرض .

وفي مقابل الصبر المتأصل عن حب المسلم لدينه والتفافه حول شرعه ونصرته لإخوانه يكون **الاستسلام لليأس** النافذ إلى قلوب الذين تخلوا عن دينهم ولهثوا وراء عدوهم ، ويكون تبعاً لذلك الخسران والضياع .وذلك أننا " إذا لم نصبر فسوف نخور ، ثم نستسلم لليأس ، سوف نتقاعس عن الثبات في وجه المشاق ، إذا لم نصبر كجنود مرابطين فلا بد أن ننهزم ونخسر أرواحنا وقضيتنا " (إبراهيم ، ١٤٠٩هـ ، ١٦٤) .

ونتيجة لهذا اليأس المستفحل في قلوب أصحابه من المنافقين ، ونتيجة للخلل التربوي العظيم في البلاد الإسلامية قاطبة يخشى من أن يستشري هذا المرض العضال المهلك بين لبنات المجتمع فيودي به إلى مهاوي الردى . " إن الانهزامية النفسية واليأس داء عضال لا يتسلط على إنسان إلا أودى به ، ولا على الأمة إلا ساقها إلى الفناء ، وهو أشد على الأمة من الجيوش الجرارة ومن الأسلحة الفتاكة " (يوسف ، ١٤١٨هـ ، ٢٠٠) .

وقد أكد (علوان ، ١٤٠٧هـ ، ٢٢٢) على خطورة هذا الداء العضال على عزة الأمة الإسلامية ورفعتها ، وعلى العمل الاسلامي ومسيرته بقوله : " إن هذه الظاهرة من التيئيس والتثبيط إذا استفحلت في أمة وترسخت في نفسية الدعاة ؛ فإنها الحقيقة القاسمة التي تقسم مسيرة العمل الاسلامي ، والحالقة التي تحلق التفاؤل بالنصر ، فلم يبق لإقامة العزة الإسلامية في النفوس رجاء ، ولم يعد لاستعادة الأمجاد التاريخية أمل ". من هنا كان نقاء الصف الاسلامي من هذه الفئة المثبِّطة والمثبَّطة خيراً للاسلام وللمسلمين فقال الله تعالى في ذلك : ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (التوبة:٤٧) . فمن خلال الآية الكريمة بيَّن الله ﷻ " كراهيته لخروجهم مع المؤمنين لأنهم جبناء مخذولون يمشون بينكم بالنميمة والبغضاء والفتنة " (ابن كثير ، ب.ت ، ج٢، ٣٦١) .

وقصص المنافقين تعج بها كتب التفسير والسيرة ، تدل على أنهم يعملون جاهدين على التثبيط والتيئيس في كل زمان وفي كل مكان فعن ابن اسحاق : أن رهط من المنافقين ومنهم مخشن بن حمير ، كانوا يشيرون إلى النبي ﷺ وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً ؟ ! والله لكأنا بكم غداً مقرنين في الحبال ، إرجافاً

المنارة للاستشارات الأبعاد الأخلاقية
www.manaraa.com

وترهيباً للمؤمنين . فقال مخشن بن حمير : والله لوددت أن أقاضي على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة ، وأنا ننفلت أن ينزل فينا قرآناً لمقالتكم هذه " (ابن هشام ، ب. ت ، ج٣،٣٧٠) .

٧ - **الجهر بالحق** :-

ويقصد **بالجهر بالحق** : أن يعبّر الإنسان عما يعتقده ويؤمن به ، وما ثبت لديه بكل صراحة وبشكل علني دون مداراة أو مواربة ، فلا يغير من أقواله ، ولا يتنازل عن معتقداته ، تحت أي نوعٍ من الترغيب أو الترهيب . فالمؤمن الحق الذي ينصر دين الله وينصر إخوانه من المؤمنين من أجلّ صفاته الجهر بالحق دون خوفٍ أو تردد ، ودون تهور أو اندفاع .

وقد ربط الله ﷻ بين الولاء الصادق لدينه والحب المتفاني له وبين هذا الخلق العظيم فقال ﷻ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة:٥٤)يقول (عبده ، ب. ت ، ج٦،٤٤١) في قوله ﷻ : ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ "أي أنهم لتمكنهم في الدين ، ورسوخهم في الإيمان لا يخافون لومة لائم ما ، من أفراد اللون أو أنواعه ، من لائم ما كائناً من كان ؛ لأنهم لا يعملون العمل في جزاء أو ثناء الناس ولا خوفاً من مكروه يصيبهم ، وإنما يعملون العمل لإحقاق الحق وإبطال الباطل ، وتقرير المعروف وإنكار المنكر ، وابتغاء مرضات الله ".

ومن هنا فإن عقيدة الولاء والبراء التي تنمي الإيمان وترسخه في قلوب صاحبه تجعل المؤمن جريئاً شجاعاً في الصدع بالحق والجهر به . " فالحب في الله ، يربي النفس على الجهر بكلمة الحق ، أمام أي بشر ، ولو أصبحت حياته في خطر ، أو رزقه في خطر ، لأنه مشتاق للعيش في جنان الله ﷻ " (الشريدة ، ١٤٠٤هـ ، ١٠٤).

ولقد كان سيدنا إبراهيم عليه السلام مثلاً عالياً في الجهر بالحق كما كان محمداً ﷺ زعيم هذا الخلق القويم ، ويبدو ذلك في ما جاء على لسان إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (العنكبوت:٢٥) . " فلقد يئس إبراهيم عليه السلام من إيمان القوم الذين لم تلن قلوبهم

الأبعاد الأخلاقية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للمعجزة الواضحة ، فإذا هو يجبههم بحقيقة أمرهم قبل أن يعتزلهم بقوله : إنكم اتخذتم الأوثان من دون الله ، لا اعتقاداً واقتناعاً بأحقية هذه العبادة ؛ وإنما يجامل بعضكم بعضاً ، ويوافق بعضكم بعضاً على هذه العبادة ؛ ولا يريد الصاحب أن يترك عبادة صاحبه – حين يظهر الحق له – استبقاء لما بينكم من مودة على حساب العقيدة ! " (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج٦،٤٠٤) .

ولعظيم شأن هذا الخلق العزيز فقد اعتبره النبي ﷺ من أفضل الجهاد ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْجِهَادِ كَلِمَةَ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ " قَالَ أَبو عِيسَى وَفِي الْبَاب عَنْ أَبِي أُمَامَةَ وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ " (الترمذي كتاب الفتن ، ح٢١٠٠) . وذلك لما لهذا الخلق من فضلٍ في ترسيخ أسس التناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولما فيه من فضلٍ في تدعيم مبدأ الشورى بين المسلمين ، فيجعل قرارتهم سليمة وقلوبهم صافية نقية .كما أنه ينزع من صدور المؤمنين مشاعر الخوف والهلع . ومن هنا كان الولاء لهذا الدين العظيم " الإسلام " كبير الأثر في ترسيخ دعائم الإيمان العميق بقضاء الله وقدره والتوكل الصادق على الله ﷻ في جلّ الأمور وسفسافها لذا " تختفي عنده مشاعر الخوف والهلع ، لأنه لا يخشى إلا الله ﷻ ولذلك يتصف سلوكه بالشجاعة الأدبية والإقدام " (المتولي ، ١٤٠٨هـ، ٣٣) .

بيد أن المؤمن في هذه الجرأة من الطبيعي أن يواجه كثيراً من المعارضين ، وكثيراً من المثبطين . " ولكن المؤمن الحق لا يكترث بأمر ليس له من دين الله سند، وهو في جرأته على العرف والتقاليد ، سوف يلاقي العنت، بيد أنه لا ينبغي أن يخشى في الله لومة لائم. وعليه أن يمضي إلى غايته ، ولا تعنيه قسوة النقد ، ولا جراحات الألسنة " (الغزالي ، ب. ت ، ٩٩) .

والجهر بالحق لا يعني أن يكون الإنسان جافاً فظاً في طرح ما يحمل من أفكار وما يؤمن به من معتقدات ، بل لا بد من أن يصاحب هذه الجرأة وهذه الشجاعة حكمة في طرحها امتثالاً لقوله ﷻ : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(النحل: الآية١٢٥) .وهذا ما دفع أم حبيبة دون تردد أن تعلن تعظيمها لرسول الله ﷺ أمام أبيها بكل جرأة يصاحبها حكمة في التعامل مع أبيها أبي سفيان ؛ فعن ابن اسحاق قال : " لما قدم أبو سفيان من حرب المدينة ، جاء إلى رسول الله ﷺ وهو يريد غزو مكة ، فكلمه أن يزيد في هدنة الحديبية فلم يقبل ﷺ ، فقام فدخل على ابنته ام حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ ، طوته دونه ، فقال : يا بنية أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه ؟ فقالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجس مشرك . فقال: يا بنية لقد أصابك بعدي شر " (ابن سعد ، ١٤٠٥هـ ، ج٨،٩٩) .

الأبعاد الأخلاقية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي مقابل هذا الخلق العظيم وآثاره الجليلة ، فإنه سيتمخض عن موالاة غير المؤمنين اندثار هذا الخلق مع ما يحمل هذا الاندثار من تبعات وويلات ونكسات ، من الإمّعيّة والتقليد الأعمى ، لما له تأثير مباشر في هجرة العقول المفكرة من معظم البلدان العربية ، نظراً لغياب الاستقرار السياسي في هذه البلدان ، وبسبب سياسة القمع ، والظلم الاجتماعي ،والدكتاتوريات "حيث كشفت دراسة شملت طلاباً أردنيين وفلسطينيين ، أن الأوضاع السياسية المتخلفة في الوطن العربي تعتبر مسئولة عن هجرة العلماء والخبراء وبقاء الطلاب في أمريكا. أعرب ٣٧ % من الذين شملتهم الدراسة عن أن أبرز مظاهر التخلف السياسي تتمثل بالعلل الآتية : الزعامة الرجعية ، كبت الحريات السياسية ، غياب الحكومات الشعبية ، عدم كفاية عدد كبير من الزعماء ، عدم الإخلاص للجماهير ، الأنظمة العسكرية الحاكمة ، عدم كفاية النضوج السياسي ،عدم الاستقرار ، اضطهاد الحكومات للمثقفين ، أقوال بغير أفعال ، ونقص في الديمقراطية " (زين ، ١٣٩٩هـ ، ٦٣) .

٨- القوة :

إن المسلم إذا صدق في ولائه وبرائه كما أراد الله له أن يفهم ؛ تغلغل الإيمان في قلبه واستمكن ، ومن ثم سيضفي عليه قوة تنعكس في حركاته وسكناته ، فإذا ما تحدث كان واثقاً من قوله ، وإذا ما سكت كان قوياً في سمته ، وإذا ما اتجه كان واضحاً في هدفه ووجهته ، وإذا ما عمل كان واثقاً في عمله . ولولاء المسلم لدينه كبير الأثر في بناء هذه القوة وصقلها وتهذيبها ، ويبدو ذلك واضحاً في قوله ﷻ : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: الآية٥٤) " هو من عزة القوة والمنعة والغلبة . قال عطاء ﷺ : للمؤمنين كالوالد لولده ، وعلى الكافرين كالسبع على فريسته ، وذلك كما في قوله ﷻ : ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾(الفتح: الآية٢٩) (ابن القيم ، ١٤٠٢هـ ، ٤٢٧).وقول النبي ﷺ : " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى " (صحيح مسلم ، كتاب البر ،باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ،ج٤،١٩٩٩، ح٢٥٨٦) . وقوله ﷺ في حديثٍ آخر : " الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا إِذْ جَاءَ رَجُلٌ يَسْأَلُ أَوْ طَالِبُ حَاجَةٍ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا وَلْيَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ " (البخاري، كتاب الأدب ،ج٨،٣٣١ ،ح ٩٠٩).

وفي كلا الحديثين السابقين دلالة واضحة على هذه القوة ، ففي تشبيه المؤمنين المتناصرين المتعاضدين بالجسد الواحد أكبر دليل على قوة هذا البناء ، وكذلك تشبيه المؤمن للمؤمن بالجسد وتشبيك النبي لأصابعه ﷺ هو إشارة إلى المجتمع المسلم ؛ فقوة المؤمن مستمدة من

الأبعاد الأخلاقية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قوة الله ﷻ " فقوة الله وحدها هي القوة ، وولاية الله وحدها هي الولاية ، وما عداها فهو واهن ضئيل هزيل ، مهما علا واستطال ، ومهما تجبر وطغى ، ومهما بلغ من وسائل البطش والطغيان والتنكيل " (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج٦،٤١١) .

ومن هنا كان المؤمن الذي ينصر دين الله ﷻ ويوالي حزبه الغالب ، يوم أن يخذله غيره من المنافقين في زمن التحالفات الدولية الجائرة على الإسلام والمسلمين ؛ يستمد قوته من انتمائه لهذا الدين المستمد قوته من رب الأرباب الله ﷻ " فالحق أن فضيلة القوة ترتكز في نفس المسلم على عقيدة التوحيد ، كغيرها من الفضائل ، تجعله يرفض الهوان في الأرض ، لأنه رفيع القدر بانتسابه إلى السماء ، ولأنه يستطيع أن يكون في نطاق إيمانه أمة واحدة ، وفي فمه قول الله تعالى : ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام:١٤) " (الغزالي ، ب. ت ، ١٠٠) .

وعناصر القوة في الإسلام لا تقتصر على قوة الجسم وقوة الصرعة كما أخبر النبي ﷺ ذلك صراحة فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهم عَنْه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ " (البخاري ، كتاب الأدب ، ح٥٦٤٩). وهي كذلك " ليست مثل القوة التي اصطلح عليها الناس ، فهي قوة في العقيدة ، وقوة في الخلق ، وقوة في العلم ، وقوة في المال ، وقوة في التماسك الاجتماعي ، وقوة في التنظيم السلمي ، وقوة في الاستعداد الحربي ... وسيادة الأمة وقيادتها منوطة بتوفر هذه القوى مجتمعة " (سابق ، ب. ت ، ٤) .

فالقوة إن لم تضبطها الأخلاق أصبحت معولاً للفساد والإفساد في الأرض ، وأداةً للغطرسة والظلم والإجحاف ، وهي مآلها لا محالة إلى زوال ، وما يشهده العالم اليوم من غطرسة الكفرة والمشركين في الأرض وتبجحهم ليل نهار لهو أكبر برهان على ذلك ولكن المسلم يرقب النصر من السماء وفي قلبه قوله ﷻ :﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ۞ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ (إبراهيم: الآيتان ٤٢، ٤٣) .

وفي الوجه الآخر لموالاة المؤمنين بعضهم لبعض ، ينعكس عن موالاة الكافرين **الضعف الواضح** في الدين والخلق والعقل والجسم وفي شتى الميادين ومختلف المجالات لأولئك المخدوعين المذبذبين " عندئذ تخدعهم قوة الحكم والسلطان ، يحسبونها القوة القادرة التي تعمل في هذه الارض

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

، وتخدعهم قوة المال ، يحسبونها القوة المسيطرة على أقدار الناس وأقدار الحياة ، وتخدعهم قوة العلم ، يحسبونها أصل القوة ، وأصل المال ، وتخدعهم هذه القوى الظاهرة . تخدعهم في أيدي الأفراد وفي أيدي الجماعات ، وفي أيدي الدول ، فيدورون حولها ، ويتهافتون عليها ، كما يدور الفراش على المصباح ، وكما يتهافت الفراش على النار ، وينسون أن الالتجاء إلى تلك القوى كالتجاء العنكبوت إلى بيت العنكبوت ... حشرة ضعيفة رخوة واهنة لا حماية لها من تكوينها الرخو ، ولا وقاية لها من بيتها الواهن " (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج٦، ٤١١).

وقد فسر (الفاضلي ، ١٤١٠هـ ، ١٣٧) طبيعة هذه التبعية وأسبابها مؤكداً على النفسية الانهزامية لدى هذه الفئات الضالة بقوله : " ويعتبر الشعور بالاستضعاف من أخطر أسباب التبعية العمياء لنظام أو لحزب أو كتلة أو جماعة أو هيئة ، فالإنسان تحت ضغط هذا الشعور يحس بحاجة إلى قوة تسنده فيحاول أن يُوجد لنفسه انتماء يوفر له الحماية وينشله من حالة الاستضعاف التي يعيشها ، ولا يعفيه هذا من التكاليف الكاملة لهذه التبعية لأنه سيبذل حتماً الجهد والمال والوقت في سبيل تحقيق مبادئ الجماعة أو الحزب أو التنظيم الذي ينتمي إليه ".

٩ - التواضع وخفض الجناح :-

التواضع كما بيّنه الفضيل بن عياض قائلاً : " من رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب ، والتواضع أن تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن قاله " (القشيري ، ب. ت ، ج١، ٤٣٢)

والتواضع صفة إنسانية نبيلة تحمل صاحبها على أن يتعامل مع الآخرين بلطفٍ ودفءٍ ومحبة ، وينظر إليهم من منطلق المساواة ، لا من منطلق التباهي والتعالي ؛ انطلاقاً من قوله ﷻ :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣) . وقوله ﷺ : "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلا لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلا بِالتَّقْوَى " (مسند أحمد ، باقي مسند الأنصار ، ح٢٢٣٩١) . وهو أثرٌ من آثار الولاء الصادق لدين الله والبراء الواضح مما سواه . يقول تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة:٥٤) . يقول (الرفاعي) في قوله ﷻ :﴿ أَذِلَّةٍ

الأبعاد الأخلاقية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (المائدة:٥٤) " هذه صفات المؤمنين الكمَّل أن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه ووليه ، متعززاً على خصمه وعدوه (الرفاعي ، ١٤١٠هـ ، ج٢،٦١) .

وقد حث النبي ﷺ على التواضع بقوله ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ " (مسلم ، كتاب الجنة ، ح٥١٠٩) . فعقيدة التوحيد تربي عند الإنسان التواضع وعدم التطرف أو الغرور بأي صفةٍ من صفاته الإنسانية ، فإذا اغتر بقوته وأراد البطش أو الظلم ذكر قدرة الله عليه (النحلاوي ، ١٤٠٣هـ ، ٨٣) .

ولم يعمل الولاء الصادق لدين الله والبراء الواضح مما سواه على غرس التواضع في نفسية عامة المسلمين وحسب بل تغلغل في نفوس قادتهم وزعمائهم " فعن الحسن قال : " خرج عمر بن الخطاب في يومٍ حار واضعاً رداءه على رأسه فمر به غلامٌ على حمار فقال : يا غلام ! احملني معك ، فوثب الغلام عن الحمار وقال : اركب يا أمير المؤمنين ، قال : لا.. أركب وأركب أنا خلفك ، تريد أن تحملني في المكان الوطيء وتركب أنت في الموضع الخشن ! فركب خلف الغلام فدخل المدينة وهو خلفه والناس ينظرون إليه " (الهندي ، ١٤٠٩هـ ، ج١٢،٦٥٤) .

فمن خلال التواضع تسود المحبة في المجتمع وتتوارى الضغينة والبغضاء ، وذلك لما يحدثه هذا الخلق النبيل من آثار طيبة على أفراده ، فهو مظهر من مظاهر الرحمة .وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾(الفتح الآية :٢٩) " أي يرحم بعضهم بعضاً . وقيل : متعاطفون متوادون " (القرطبي ، ١٤٠٧هـ ، ٢٩٢/١٦) .

لذلك تجد أن صفة التفاخر والتباهي بالآباء والأجداد والعشيرة وغيرها من ألوان القبلية والعنصرية التي قضى عليها الإسلام بموالاة المؤمنين له ؛ منافية لصفة التواضع " فمن افتخر على أحد من المؤمنين بنسب أو مال أو ولد فقد صفة التواضع ، ومن بغى على أحد من المؤمنين في عرض أو مال أو نفس فقد صفة التواضع ، وبالتالي لا يكون متحققاً بمظهر من مظاهر الرحمة " (حوى ، ب. ت ، ٣٤٧) .وهو أيضاً لونٌ من ألوانها ، وشكلٌ من أشكالها ، وهذا ما بيّنه (الفخر الرازي) من خلاله تفسيره للآية السابقة ؛ بأن جعل فيها وجهين : **أحدهما** : أن يضمن الذل معنى الرحمة والشفقة ، كأنه قيل : راحمين مشفقين عليهم على وجه التذلل والتواضع . و**الآخر** : أنه تعالى ذكر كلمة "على" حتى يدل على علو منصبهم وفضلهم وشرفهم ، فيفيد أن كونهم أذلة ليس لأجل كونهم ذليلين ، بل ذاك التذلل إنما لأجل أنهم أرادوا أن يضموا إلى علو منصبهم فضيلة التواضع " (الفخر الرازي ، ١٤٠٥هـ ، ج١٢،٢٤) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالرحمة من أكثر الأخلاق تعبيراً عن إنسانية صاحبها ، ومن أكبر الدلائل على شفافية الحس عند ممارسها " فالرحمة هي مبادرة إنسانية تبرهن على سلامة حسنا الخلقي وحدته ، وعلى نضج إنسانيتنا ، وتوطد مشاعر الإخاء الإنساني في مشاعرنا ، وهي التعبير الخلقي العملي عن تعاطف الإنسان مع أخيه الإنسان حين يواجه المرض أو الألم أو حين يقع في المآزق والملمات دون أن يجد الحيلة للفكاك منها " (إبراهيم ، ١٤٠٩هـ ، ١٧٥) .

وهذه الرحمة المنعكسة عن التذلل بين المسلمين بعضهم لبعض لا تعني الذل والهوان ولا تعني أيضاً الاستكانة والمهانة ، وهذا ما أكده (ابن القيم ، ١٤٠٢هـ ، ٤٢٧) بقوله : " لما كان الذل منهم رحمةً وعطفاً وشفقةً وإخباتاً ؛ عداه بأداة "على" تضميناً لمعاني هذه الأفعال . فإنه لم يرد به ذل الهوان الذي صاحبه ذليل . إنما هو ذل اللين والانقياد الذي صاحبه ذلول ".

وفي مقابل التواضع المتجسد بين أولياء الله المؤمنين ، يتجسد **الكبر والعجب** جرّاء موالاة الكافرين والمنافقين وذلك مصداقاً لقول الله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ (الأعراف:١٤٦) . " أي سأصرفهم عن نفعها ، وذلك مجازاةً لتكبرهم ، فهم يتركون الرشاد ويتبعون سبيل الغي والضلال ،أي الكفر يتخذونه ديناً " (القرطبي ، ١٤٠٧هـ ، ج٧،٢٨٢) . ولقد وضح النبي ﷺ المقصود بالكبر، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ" قَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً ؟ قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ (مسلم ، كتاب الإيمان ، ح ١٣١) .

وللكبر آفات جسيمة فهو سببٌ من أسباب الحرمان من الهداية كما أشار الباحث ، وهو من الأمور التي تعمل على إنكار الحق وجحده ، وهو من المعيقات الخطيرة التي تعيق المرء من تربية نفسه وتزكيتها . " فَغَمْطُ الناس يجر وراءه إنكار الحق . فالمتكبرون إذ يرون أنفسهم فوق الآخرين ، لا يقبلون أن يأخذوا عنهم أو يسيروا وراءهم مهما كان نصوع الحقيقة التي يُدْعَوْن إليها . فهو يفضي إلى معصية الوالدين ، وكل سلطة دينية أو تربوية " (إبراهيم ، ١٤٠٩هـ ، ٢٣٥) . كما أنه يبث بذور الفرقة والعداوة والبغضاء ." فالكبر والخيلاء والعجب ، تغرس الفرقة والعداوة ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فضلاً عن أنها تحول بين المتكبر وبين إصلاح نفسه ، لتعاميه عن عيوبه ونقائصه ، واعتقاده الكمال في نفسه ورضاه عنها (سابق ، ب. ت ، ١٨٥) .

وإذا كانت الرحمة لوناً من ألوان التواضع وأثراً من آثاره فإنه في مقابل ذلك تتجسد **القسوة** المنعكسة عن الكبر ، في قلوب أولئك الذين تخلوا عن نصرة دينهم لاهثين وراء السراب الأكيد جراء هذه الولاية الظالمة لأعدائهم ، من أجل الحصول على مغنم مالي أو منصب سياسي " فكل الظواهر تشير إلى ابتعاد الإنسان في الشرق والغرب عن هذه الفضيلة الإنسانية الرائعة " الرحمة " ولعل مرجع ذلك إلى سطوة النزعة المادية الأنانية التي تبيح القسوة وكل رذيلة في سبيل الثراء المالي والنفوذ السياسي . وفي عالمنا الاسلامي قضية كبرى هي قضية تعذيب المسجونين السياسيين الأبرياء بأساليب وحشية وهمجية مجردة من أبسط معاني الرحمة ؛ وهي تبرهن على نضوب الرحمة كلياً من قلوب أهل السلطان " (إبراهيم ، ١٤٠٩هـ ، ١٧٩) .

وإذا كانت الرحمة من أكثر الأخلاق تعبيراً عن إنسانية صاحبها ، ومن أكبر الدلائل على شفافية الحس لدى ممارسها ، فإنه وفي الوجه المقابل تكون القسوة من أكثر النزعات السلبية تعبيراً عن اختلال صفة الإنسانية لدى ممارسها ، وذلك لأن " القسوة في خلق إنسان دليل نقص كبير ، وفي تاريخ أمة دليل فساد كبير ، فلا عجب أن حذر الإسلام منها واعتبرها علة الفسق عن أمر الله وسر الشرود عن صراطه المستقيم " (الغزالي ، ب.ت ، ٢٠٥) .

قال ﷻ: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (الحديد: ١٦)

١٠ - الإيثار

الإيثار في اللغة " تفضيل الغير على النفس ، أو تفضيل شخص على شخص ، أو شيء على شيء ، يقال آثرت فلاناً على نفسي من الإيثار، وهو التفضيل "(ابن منظور ،مادة أثر).

أما اصطلاحاً : " فهو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبةً في الحظوظ الدينية ، وذلك ينشأ من قوة اليقين ، وقوة المحبة ، والصبر على المشقة . قال ابن قدامة : أن تجود بالمال مع الحاجة إليه ، ويكون الإيثار على النفس لا عن غنى بل مع الحاجة إلى الشيء " (القرطبي ، ١٤٠٧هـ ، ج١٨، ٢٦) .

والإيثار خلق عظيم ، لا يتصف به إلا أصحاب القلوب الرحيمة والعزائم العظيمة والهمم العالية ، وله كبير الأثر في توثيق المحبة والوئام بين أفراد المجتمع ، مما يجعلهم متعاطفين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

متعاونين ، على عكس الأنانية وحب الذات ؛ اللذين يجعلان من صاحبهما مكروهاً منبوذاً من المجتمع ، فالإيثار خلق يحمل بين ثناياه صفة الجماعة ، فيضفي السعادة على أصحابه ، وهذا ما يتوافق مع العلوم التربوية الحديثة . " فمن مكتشفات علم النفس الحديث ما ثبت علمياً أن سعادة المرء لا تتحقق بغير تضحية النفس في سبيل الآخرين " (طبارة ، ١٣٩٩هـ ، ٢٢١) .

وهذا ما أكده (القوصى) من خلال تصنيفه لدرجات السعادة بقوله : " إن سعادة الإنسان تتناسب طردياً مع اتساع دائرة المجتمع الذي يرمي إلى إسعاده . فأقل الناس سعادة هو الذي يسعى إلى إسعاد نفسه ، يليه في السعادة الذي يسعى إلى إسعاد أسرته وأولاده ، ثم الذي يسعى إلى إسعاد أهله وأصحابه وجيرانه ، وأكثر الناس سعادة هو الذي يسعى إلى إسعاد الناس جميعاً " (اليازجي ، ١٤٢٢هـ ، ٣٦) .

والإيثار أثر من آثار الولاء الصادق لدين الله والبراء الواضح مما سواه ، والسبب في ذلك؛ هو أن الولاء يعني المحبة والنصرة والأخوة ، وحب المسلم لله ولرسوله ؛ يعني إيثار رضاهما على هوى نفسه ، وجهل هواها يتوافق مع ما جاء به النبي ﷺ . " فالمرء متى صدق في محبته ، وأخلص في مودته ، فإنه يؤثر من أحبه بالخير ويرفعه فوق نفسه ، ويجعل همته رهن إشارته ، ونفسه وهواه في موافقته وطاعته والعمل وفق رغبته ، ولا يتحقق معنى الإيثار إلا بتمام الصدق في المحبة والإخلاص في المودة " (المطوع ، ١٤١٧هـ ، ٥٠) . كما أن للإيثار آثاره الطيبة في الحد من الكراهية والحسد والبغضاء ، ومن هنا كان " حرص القرآن على توجيه المسلمين إلى حب الآخرين ، وإلى التجمع وتوحيد الصفوف لينمي في نفوسهم حب الغير ، ويقوي فيهم الميل إلى الإيثار والعمل على خير الناس والمجتمع عامة ، ويضعف فيهم حب الذات والأثرة " (الخراشي ، ١٤٠٧هـ ، ١٣٩) .

وقد تجسد هذا الخلق بصورةٍ جليةٍ واضحة في طبيعة العلاقة النقية التي ربطت الأنصار بإخوانهم المهاجرين ، وفي ذلك بقول الحق ﷻ :﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(الحشر:٩) " فهذا الوسط يتمثل في الجماعة المسلمة القائمة على ركيزتي الإيمان والأخوة ، وتتجه بولائها كله إلى القيادة القائمة على تحقيق منهج الله في الأرض ، كي يقوم كيانها على الحب والتكافل اللذين تختفي في ظلالهما مشاعر الأثرة وتتضاعف مشاعر الإيثار ، الإيثار المنطلق في يسر ، المندفع في حرارة المطمئن الواثق " (قطب ، ١٤١٧هـ ، ج١، ٤٤٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولم يقف الإيثار عند مواقف الأنصار تجاه إخوانهم المهاجرين ، بل امتد بتربية الرسول العظيم محمداً ﷺ ليصبح على مر الأزمان ، وفي كل الأمكنة من بعدهم ، عقداً لا ينفك ، وخلقاً لا يندثر ، لذلك فقد " جعل رسول الله ﷺ هذه الأخوَّة عقداً نافذاً لا لفظاً فارغاً ، وعملاً يرتبط بالدماء والأموال ، لا تحية تثرثر بها الألسنة ولا يقوم لها أثر ، وكانت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة ، وتملأ المجتمع الجديد بأروع الأمثلة " (حوى ، ١٤٠٩هـ ، ٤٠٠) . وذلك من خلال غرس معالم الولاء المتين بين أجزائه، وزرع الإخوَّة الصادقة بين أبنائه ، مما كان له عظيم الأثر في القضاء على الأنانية الفردية التي عمت البلاد اليوم ، من أجل ذلك " حارب الإسلام هذه الأثرة الظالمة بالأخوَّة العادلة ، وأفهم الإنسان أن الحياة ليست له وحده ، وأنها لا تصلح به وحده ، فليعلم أن هناك أناساً مثله ، إن ذكر حقه عليهم ومصلحته عندهم ، فليذكر حقوقهم ومصالحهم عنده ، وتذكر ذلك يخلع المرء من أثرته الصغيرة ، ويحمله على الشعور بغيره حين يشعر بنفسه ، فلا يتزيد ولا يقتات " (الغزالي ، ب. ت ، ٢٠٥) .

ولقد ضرب الصحابة ﷺ أروع الأمثلة في هذا الخلق العظيم كسائر الأخلاق الحميدة ، ومن أعظم هذه المواقف ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺأَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ : مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا " فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : أَنَا فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَ : أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ : مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي فَقَالَ : هَيِّئِي طَعَامَكِ وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ :ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ أَوْ عَجِبَ مِنْ فَعَالِكُمَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ " (البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ج٣،١٠٥ ، ح ٣٠٩) .

ولِعُلو درجة الإيثار وعظيم شأنه فقد اعتبر الصوفية أن السخاء والجود والإيثار درجات لفضيلة واحدة ، وأن أعلاها درجة وأرفعها منزلة هو الإيثار . " فالسخاء هي الرتبة الأولى ، ثم الجود بعده ، ثم الإيثار بعده . فمن أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ، ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئاً فهو صاحب جود ، والذي قاسى الضرر وآثر غيره فهو صاحب إيثار " (القشيري ، ب. ت ، ج٢،٥٠٣) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي مقابل الإيثار الرائع الموروث من موالاة المؤمنين بعضهم لبعض تتجسد **الأَثَرة** في نفوس المنافقين الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين . وفي ذلك يقول المودودي : " ولما كان هذا الولاء من ركائز معنوياتهم ، ومقومات تفوقهم الخلقي ينخر ويتضاءل ويضمحل ، حلت محله – طبيعياً – الأنانية واتباع الهوى " (المودودي ، ب.ت ، ٥٣).

والأَثرة : " استئثار صاحب الشيء به عليك ، وحَوْزه لنفسه دونك " (ابن القيم ، ١٤٠٣هـ ، ٣٠٩/٢) . ويوضح ابن القيم حقيقة الشح بقوله : " والشحيح : حريص على ما ليس بيده . فإذا حصل بيده شيء شح عليه وبخل بإخراجه ، فالبخل ثمرة الشح ، والشح يأمر بالبخل " (ابن القيم ، ١٤٠٢هـ ، ٤٠٥) . وما يؤكد صراحة على علاقة موالاة الكافرين بالأثرة والشح الذميم قوله ﷻ : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (التوبة:٦٧) . فقبض الأيدي يعني كما أشار (عبده) : " ضم الأصابع إلى باطن الكف ، وهو كناية عن الامتناع من البذل ، كما أن بسط اليد كناية عن الإنفاق والبذل ، فهم ينهون الناس عن البذل ويمتنعون منه بالفعل ، واقتصر من منكراتهم الفعلية على هذا لأنه شرها وأضرها وأقواها ، ولأنه دلالة على النفاق كما أن الإنفاق في سبيل الله أقوى الآيات على الإنفاق " (عبده ، ١٣٩٣هـ ، ج١٠، ٥٣٤) . وفرق كبير بين أن يتصف الإنسان بصفة الإيثار وأن يتصف بصفة الشح والأثرة ، ولكلٍّ منها أبعاد وتبعات " فإذا كان الإيثار يصحبه دائماً عناصر كريمة : كالتقوى والكرم والنبل والمساواة والرحمة بالآخرين فإن " الأثرة يصحبها عناصر لئيمة : كإفقار النفس من الإيمان ، وضعف التقوى ، واللؤم والكبر والحسد والاستعلاء ووزن الأمور بموازين فاسدة وقياسها بمقاييس باطله " (قرعوش ، ١٤٢٢هـ ، ١٩٥) .

بل إن الأثرة آفة وخيمة لا تقتصر على اصطحابها لعناصر لئيمة بل وفي المقابل تتعدى لتقضي على كل خلق ورذيلة ، وفي ذلك يقول (الغزالي) : " إن الأثرة الغالبة آفة الإنسان وغول فضائله ، إذا سيطرت نزعتها على امرىء محقت خيره ونمت شره ، وحصرته في نطاق ضيق خسيس لا يعرف فيه إلا شخصه ، ولا يهتاج بالفرح أو الحزن إلا لما يمسه من ضر أو شر . أما الدنيا العريضة والألوف المؤلفة من البشر فهو لا يعرفهم إلا في حدود ما يصل إليه عن طريقهم ليحقق آماله أو يثير مخاوفه " (الغزالي ، ب. ت ، ١٦٦) .

المنارة للاستشارات الأبعاد الأخلاقية
www.manaraa.com

الفصل السابع

الأبعاد الاجتماعية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام

الأبعاد الاجتماعية للولاء والبراء في الإسلام .

١. تحقيق الترابط والتماسك بين أفراد المجتمع المسلم .

٢. التكافل الاجتماعي .

٣. التعاون على البر والتقوى.

٤. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٥. الحد من الفساد في المجتمع .

٦. القضاء على العصبيات الجاهلية والحد من النعرات القومية .

٧. إصلاح ذات البين .

٨. النصرة ورفع الظلم .

" الأبعاد الاجتماعية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأبعاد الاجتماعية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام

لقد كانت المجتمعات الجاهلية قبل البعثة بعيدةً عن القيم الأخلاقية والمبادئ الدينية ، حيث كانت هذه المجتمعات أشبه ما تكون بمجتمع الغاب ، يأكل كبيرها صغيرها ، ويطغى قويها على ضعيفها ، لا رابطة تجمع بين أواصره ، فلا أُسر ولا مجتمع ، شعارها – إذا لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب – ملؤها الغش والكذب والنفاق ، لا قيمة للإنسان ، ولا وزن للمبادئ والأخلاق ، حتى جاء الإسلام الخاتم، ليقضي على هذه المظاهر بمنهجه العظيم، وبسماحة تصوارته، ورزانة أحكامه ، فأخرج الناس من ظلمات الجور والخيانة والكذب إلى نور العدل والأمانة والصدق ،واستطاع المسلمون من خلال تناصرهم و تحاببهم و تآلفهم و انتمائهم الصادق لدينهم و براءتهم الواضحة من ألوان الجاهلية و رواسبها و تداعياتها أن يجعلوا من هذا المجتمع المفكك الهزيل مجتمعاً متماسكاً متيناً ، من مجتمعٍ أنهكته الحروب و النزاعات القومية استمر بعضها عشرات العقود من الزمان كحرب داحس و الغبراء إلى مجتمع قوي أرهب الأعداء ، وسرَّ الأصدقاء حتى أصبح الواحد منهم يقطع المئات من الأميال آمناً في ترحاله مطمئناً على من خلف من بعده من مال وأهل، بعد أن كانت تحيط به المخاوف في حله وترحاله.

لقد كرَّم الإسلام المرأة بعد أن أهينت مئات السنين في ظل الجاهلية السوداء ، قضى من خلاله على وأد البنات حتى وصل بأحدهم أن تأخذه العبرات كلما تذكر حادثة وأد ابنته في الجاهلية ، لقد قضى على العبودية كما قضى على العنصرية فلا فضل لعربيٍ على أعجمي، و لا لأبيضٍ على أسود . عَنْ أَبِي نَضْرَةَ حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلا لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ قَالُوا بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا قَالُوا يَوْمٌ حَرَامٌ ثُمَّ قَالَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا قَالُوا شَهْرٌ حَرَامٌ قَالَ ثُمَّ قَالَ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ قَالَ وَلَا أَدْرِي قَالَ أَوْ أَعْرَاضَكُمْ أَمْ لَا كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَلَّغْتُ قَالُوا بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ " (مسند أحمد ، باقي مسند الانصار ، ح٢٢٣٩١) .

كل ذلك والكثير في ظل الولاء والنصرة والتأييد لهذا الدين العظيم ، والبراء مما سواه. أما عندما ضعف ولاء المسلمين وتلاشى براؤهم ، كما هو حاصلٌ اليوم في بلاد المسلمين ،عاد المجتمع إلى جاهليةٍ من جديد ، وعاد معها التفكك والانهيار في الأسر والجماعات ، كما عادت النعرات الجاهلية والعصبية ، فعاد وأد البنات ولكن بطريقة عصرية ، فإذا كان العرب في الجاهلية الأولى يقتلون بناتهم بعد ميلادهنَّ ؛ خوفاً من العار ، فقد عادوا في العصور المتأخرة والتي تدعى

" الأبعاد الاجتماعية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحضارة والمدنية بوأد حيائهن وكرامتهن فوق التراب ، بجرح حيائهنَّ ، بطرقٍ كثيرة وأساليبٍ متنوعة باسم التقدم والحضارة والمدنية ،بدءً بخروجهنَّ إلى الأسواق كاسيات عاريات ، وانتهاءً بمزاحمتهن الرجال في أماكن العمل ، والاختلاط المفتوح دون النظر إلى شروطه وضوابطه ، فجاهلية اليوم أعتى وأمرُّ من جاهلية العرب قبل البعثة.والجاهلية هي نقيض الإسلام سواءً أكانت جاهلية قديمة أم معاصرة ، والمجتمع الجاهلي مختلفٌ تماماً عن المجتمع الإسلامي .يقول سيد قطب رحمه الله مفرقاً بين المجتمع الإسلامي والمجتمع الجاهلي : " المجتمع الإسلامي هو المجتمع الذي يطبق فيه الإسلام ..عقيدةً و عبادةً ، وشريعةً و نظاماً ، وخلقاً و سلوكاً .. والمجتمع الجاهلي هو المجتمع الذي لا يُطبق فيه الإسلام ، ولا تحكمه عقيدته و تصوراته، وقيمه وموازينه ونظمه و شرائعه و خلقه و سلوكه " (قطب ، ١٤٠٢هـ ، ١٠٥) .

لقد كان لولاء المؤمنين بعضهم لبعض ، وبرائهم من أعداء دينهم ، آثارٌ اجتماعية عظيمة ، أضفت على مجتمعهم تماسكاً لم يشهده من قبل ، فجعلته قوياً في شكله ومضمونه بعد أن كان ضعيفاً ، متلاحماً بعد أن كان هشاً ، تسوده المحبة بعد توغل الحسد والبغضاء بين جنباته ، متعاوناً بعد تمرد وتناحر ، فأضفى على أفراده جواً من السعادة ، لم يشعر بها ولن يشعر ؛ إلا من حذا حذوهم ، وسار في دربهم ، وتتمثل هذه الأبعاد فيما يلي :

١ - تحقيق الترابط والتماسك بين أفراد المجتمع الإسلامي:

وهذا البعد الاجتماعي العظيم غاية من غايات الإسلام ، بل هو مطلبٌ من مطالب الحياة ، وهو في الوقت نفسه أثر من آثار الولاء والبراء ، وإن أفضل فترات التلاحم والترابط ، والوحدة والتماسك ؛ كانت تلك الفترة التي سعد العالم فيها بتعاليم الإسلام ، حيث كان الولاء لدين الله ﷻ قوياً ومتيناً والبراء مما سواه واضحاً جلياً . " شهد العالم لأول مرة - نظرية شاملة متكاملة - تجمع الرغب والرهب، والدنيا والآخرة ، والواقع والمثال، وترعى الإنسان بكل طاقاته وإمكاناته، ولئن تمثلت في نصوص فقد تبعها التطبيق في أروع مثل للالتزام والتطبيق،وتبعها الاجتهاد من الصحابة ثم التابعين وتابعي التابعين"(جريشة ، ١٤٠٦هـ ،٢٤).

لقد علم المسلمون الأوائل أن تناصرهم وتفقدهم وتحسسهم بعضهم لبعض سر وحدتهم ، ومصدر قوتهم ؛ فإن اشتكى مسلمٌ في أقصى مشارق الأرض ؛ استجاب له أخوه المسلم في أدنى مغاربها ، والتاريخ خير شاهدٍ على ذلك " والمسلمون جسد واحد وروح واحدة ونفس واحدة ، يشعرون بآلامهم ، ويسعدون لإسعاد بعضهم البعض ، وشتان بين هذا النمط التربوي الإسلامي وبين الفلسفات الغربية المعاصرة التي تربي الفرد على المادية والفردية والانعزالية ، بحيث يموت الواحد منهم دون أن يعلم جيرانه " (العيسوي ، ١٤٠٦هـ ، ١٤٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإذا كان المجتمع الغربي يموت الواحد منهم في بيته دون أن يشعر به أحد ، فإن ولاء المسلمين لبعضهم أوجب عليهم النفقة والتوارث وتحسس بعضهم بعضاً البعيد قبل القريب والقريب قبل البعيد على قدر المساواة ، حتى اعتبر رسولنا الكريم معلم البشرية أن من أبر البر أن يصل الرجل ودَّ أبيه حيث قال ﷺ :" إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ وَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ صَدِيقًا لِعُمَرَ " (مسلم ، كتاب البر ،ج٤، ١٩٧٩ ،ح٢٥٧٢)

لقد منّ الله على المؤمنين بتوحيد صفوفهم وتأليف قلوبهم فقال ﷻ :﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران:الآية١٠٣) . " والنص القرآني يعمد إلى مكمن المشاعر والروابط : " القلب " .. فلا يقول : فألف بينكم . إنما ينفذ إلى المكمن العميق ، : ﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ فيصور القلوب حزمة مؤلفة متآلفة بيد الله وعلى عهده وميثاقه " (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج٢، ٢٦) .

وهي دعوةٌ للترابط والتلاحم ، من خلال الاعتصام بحبله ، وتجسيد مقتضيات الولاء لدينه والبراء مما دونه بصورةٍ عمليةٍ صحيحة ليتحقق ترابط المجتمع بأقوى الروابط . " فمن واجبات الأخوَّة الولاية والنفقة والتوارث ، وهذه الواجبات تحقق الترابط من الدرجة الأولى " (يالجن ، ١٤٠٨هـ ، ٦٢) لقد كان المسلمون الأوائل الذي والوا دينهم ، أشد تماسكاً وترابطاً ممن سبقهم وممن لحق بهم ، لقد كانوا جسداً واحداً كما أكد رسولنا الأعظم ﷺ حيث قال : " الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنِ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ وَإِنِ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ " (مسلم ، كتاب البر، ، ج٤، ٢٠٠٠ ، ح ٢٥٨٧) .

وإذا كان المجتمع واضح الهدف ، مستنير الرؤية ، سليم الوسائل ، موحد الولاء ، صادق الوجهة ، كان بلا شك مجتمعاً متماسك الأعضاء ، قوي البنية ، وهذه هي خصائص المجتمع المسلم ، الذي أراده الله ﷻ للمؤمنين ." فالمجتمع المسلم لا يعرف التجزئة طريقاً إليه ، سواء أكان المجتمع صغيراً أم كبيراً ،ولا يعرف هذا المجتمع تعدد القيادات والولاءات ، فهو مجتمعٌ واحدٌ ، الولاء فيه لله ﷻ ورسوله والمؤمنين ،ذو قيادة واحدة مطاعة طالما تطبق شريعة الله كاملة في المجتمع "(الحياري ،١٤٢١هـ ، ٢٩٦) .

وإذا ما أرادت المجتمعات الإسلامية التي يرى التفكك فيها مرأى العين ؛ أن تعيد تصحيح تركيبها فليس لها إلا العودة إلى أسباب تماسكها " فتصحيح تركيب المجتمع المسلم على أساس الحب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في الله ولله ، جعل هذا المجتمع يداً واحدة ، وكلمة واحدة ، وعملاً واحداً ، وذمة واحدة ، فكراً واحداً ونظاماً واحداً في سياسته ووسائل حياته وسلوكه وأخلاقياته " (عرجون ، ١٤١٥هـ ، ٣/ ١٥١) . وهو ما بيَّنه رسولنا ﷺ فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال " الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَيُرَدُّ عَلَى أَقْصَاهُمْ . " (ابن ماجة ، كتاب الديات ، ج٢، ٨٩٥ ، ح ٢٦٨٣).

ليس هذا فحسب بل لا بد من البراء من كل ما سواه بدءً بالأصنام الحجرية وما شابهها ، ومروراً بالعصبيات الجاهلية و النعرات القومية ، وانتهاءً بالأصنام الآدمية كالأرباب والأنداد ، إلى غير ذلك من الأحزاب والتيارات غير الإسلامية التي تنهج نهج العلمانيين والاشتراكيين والقوميين في سائر بلادنا الإسلامية ، التي ما جلبت لنا وعلى مدار التاريخ إلا التيه والتفكك والتشرذم والضياع، ومما جاء في هذا السياق نقلاً عن(أبو دف ، ١٤١٢هـ ،٤٤٨) " أن الإسلام حين يؤسس المجتمع المؤمن ، في وحدة واحدة ، لا يقبل الانقسام إلى وحدات جزئية ، يؤسس ذلك في ظل العقيدة ، فحين أباح حرية العقيدة ، منع قيام غير المسلمين على الحكم ، بل وحَّد من نظام المخالفات ، ضماناً لوحدة المجتمع وسلامته ، فلا يمكن أن تبنى حرية العقيدة ، بدون مضامين وحدود ، تصون المجتمع المؤمن ، وتضمن له وحدته وتماسكه ، فلا يباح اتخاذ غير المؤمنين أولياء " .

وفي مقابل التلاحم العظيم والتماسك المتين المنعكسان عن قوة الولاء والبراء ، وصدقه وتحقيقه ، ووضوحه عند الرعيل الأول ، **يحدث الشقاق والانقسام والتفكك** للمجتمع المسلم حين يتخلى أعضاؤه عن هذه الموالاة العزيزة ،ويتجهوا بقلوبهم صوب أعداء دينهم بالحب بدلاً من البغض ، وبالقرب بدلاً من البعد " فالإيمان الحق والاعتصام بدين الله تعالى ، كما أنزله يقتضي الوحدة والاتفاق ، وترك الاهتداء به يورث الاختلاف والشقاق " (عبده ، ب.ت ، ج١،١١٣) .

ففي تعدد الولاءات ، تشتيت للقدرات ، وهدر للطاقات ، كما أن فيه شقاً للصفوف ، وابتعاثاً للعصبيات الجاهلية والنعرات القومية ، فيصبح المجتمع مفككاً بعد توحيد ، مشتتاً بعد تجميع " فبالرغم من أن الله ألف بينهم وجمعهم على كلمه التقوى ، وجعلهم بنعمته إخواناً ، تناسوا هذه النعمة الجليلة من وقت لآخر ، فعاودتهم النوازع العصبية التي سوغت لهم اللجوء إلى الشعارات القبلية ،والألوية الجنسية والفوارق العنصرية ،كالعربية والفارسية والأفغانية والتركية والمغولية والهندية ، فالتهمتهم غوائلها ونهشتهم عواديها في النهاية ،وهذا سر تدهور المسلمين وانفكاك عراهم إرباً أرباً وتمزق صفوهم شذر مذر في التاريخ " (المودودي ، ب. ت ، ٣١) .

" الأبعاد الاجتماعية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والقرآن الكريم يصور هذا الضعف والتفكك الناتج عن موالاة الكافرين أعمق تصوير ، في أجمل صور التشبيه في أكثر من موقع منها تصويره لذلك بقوله ﷻ :﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾(العنكبوت:٤١) . ويشير (تعيلب ،١٤١٦هـ ،ج٥،٢٦٧٨) إلى أن " هيئة من تولى غير الله ﷻ و اتخذ الأولياء متكلاً ومعتمداً وأرباباً مطاعين متبوعين ، حال هؤلاء كصفة العنكبوت تأوي إلى أضعف بيتٍ لا يستر و لا يظل ، ولا يقي برداً ولا حراً ولا ضراً ، فمن آوى إلى غير الله الملك الحق المبين فقد ضل ضلالاً بعيداً لو كانوا يعرفون هوان المتبوعين " . ويذهب (القشيرى ، ١٣٩٠هـ ، ج٥، ٩٧) إلى أبعد من ذلك فيقول فيها : " العنكبوت يتخذ لنفسه بيتاً ، و لكن كلما زاد نسجاً في بيته ازداد بعداً في الخروج منه ، فهو يبني و لكن على نفسه يبني.كذلك الكافر يسعى و لكن على نفسه يجنى ، فبيت العنكبوت أوهن البيوت لأنه بلا أساس ولا جدران ولا سقف ولا يمسك على أدون دفعٍ ، كذلك الكافر لا أصل لنشأته ولا أساس لبنيانه، يرى شيئاً ولكن بالتخييل ، أما التحقيق......فلا ". ويؤكد (الزحيلى ، ١٤١١هـ،ج٢٠،٢٤٣) ما سبق بقوله : " في الآية تشبيه تمثيلي ؛ شبه الذين يتخذون من دون الله أولياء بالعنكبوت في بنائها بيتاً ضعيف النسج قابلاً للاختراق و الزوال بنفخه هواء".

ويرى الباحث أن اتفاق العلماء في تفسير هذه الآية ، أكبر دليل وأعظم برهان على أن : ضعف المسلمين اليوم وهوانهم على الناس وتفككهم وتشرذمهم ناتج عن موالاتهم لأعدائهم واتخاذهم من دون الله أرباباً ، بل إن المجتمعات الإسلامية اليوم وبعد ضعف ولائها تجلى فيها وبشكل نسبي تبعاً لمدى هذه الولاية وعمقها التفككات الأسرية والانشقاقات العائلية. فموالاة الكفار بما لديهم من شعاراتٍ براقة لم ولن يجلب لمن والاهم إلا الضعف والهلاك حيث " يقع المفتونون بالشعارات المزخرفة المزينة ، أو الشعارات المشوهة المقبحة في حبائل شياطين الضلال والإفساد في الأرض ، فيتقدمون إلى هلاكهم اغتراراً بشعار التقدمية المزخرف المزوّق المزين بالباطل ، ويحذَّرون من الرجوع إلى الحق والفضيلة والخير والكمال والعلاء والجمال " (الميداني ، ١٤١٢هـ ، ٢٤٣) .

وفي موضع آخر يؤكد الله ﷻ على الضعف المنعكس عن موالاة الكافرين بقوله ﷻ : ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلا حَيَاةً وَلا نُشُوراً ﴾ (الفرقان:٣) . حيث أن الذين تولوا الكافرين غفلوا عن حقيقة ضعفهم وافتقارهم إلى الله ﷻ ، فكيف يلتمسون القوة من فاقدها حيث " يخبر الله عن جهل المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله الخالق لكل شيء الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم

" الأبعاد الاجتماعية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يكن ، ومع ذلك عبدوا معه من الأصنام ما لم يقدر على خلق بعوضة بل هم مخلوقون لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً فكيف يملكون لعابدهم " (ابن كثير ، ب. ت ، ج٣،٣٠٩) .

وفي موضع ثالث يؤكد الله ﷻ من خلاله على أسباب ضعف أولياء الشيطان فقال ﷻ : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾(النساء:٧٦) . فكيد الشيطان ضعيف كما وصفه الله ﷻ ، فكيف يكون كيد أولياؤه ؟ وفي ذلك دلالةً واضحةً على المردود المهين في التفكك والضعف والعجز المهين أمام غطرسة الأعداء وتصلفهم، كما هو حاصلٌ اليوم في بلاد المسلمين ، نتيجة موالاتنا لأعدائنا وتصديقهم واتباعهم " لقد جربت مجتمعاتنا الحلول المستوردة من الغرب والشرق ، فلم تحقق أملها المنشود في تزكية الفرد ورقي المجتمع ، ولا في صلاح الدين ، وعمارة الدنيا ، ولم تجن من ورائها إلا النكسات والتمزق الذي نشهد آثاره اليوم " (القرضاوي ، ١٤١٢هـ ، ٢٠٢) . وفي ذلك يقول ﷻ :﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾(لأعراف:١٩٧).

وسبب آخر ، وهو أن الذين يُتخذون أولياء من دون الله لا يستطيعون أن يرفعوا عن أنفسهم ضراً ولا أن يجلبوا لها نفعاً ، فكما قيل فاقد الشيء لايعطيه . ويقول أيضاً : ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ ﴾ (الحشر:١٢) . وسبب آخر أن أولياء الشيطان من المنافقين ومن دار في فلكهم ، لا يصلون إلى وصف الولاية ، فهم فيما بينهم ضعفاء مفككين ، فكيف يكون حالهم مع من استنصرهم طالباً منهم العزة والقوة والمنعة " إن المنافقين والمنافقات مع وحدة طبيعتهم لا يملكون أن يكونوا أولياء بعضهن لبعض . فالولاية تحتاج إلى شجاعة وإلى نجدة وإلى تعاون وإلى تكاليف وطبيعة النفاق تأبى هذا كله ولو كان بين المنافقين أنفسهم " (قطب ، ١٤١٧هـ ، ج٣، ١٦٧٥) . يقول ﷻ :﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (التوبة:٦٧) . فهم أفراد مفككون من الداخل منهارو البنية ، مشتتو الفكرة ﴿ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ (الحشر: الآية١٤) . " إن المنافقين أفراد مهازيل ، وليسوا جماعةً متماسكةً قويةً متضامنةً ، على ما يبدو بينهم من تشابه في الطبيعة والخلق والسلوك ، والتعبير القرآني لا يغفل عن هذا المعنى في وصف هؤلاء " (قطب ، ١٤١٧هـ ، ج٣،١٦٧٥) .

لقد وصل حال المسلمين اليوم من الضعف و التفكك ، إلى الحد الذي لا يحسدون عليه ، فالتفكك الأسرى واضح للعيان . " فرب الأسرة هو السيد المطاع لا كلمة في المنزل غير كلمته ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا أحد يملك الحق في أن ينبس ببنت شفه بين يديه ، علماً بـان دور رب الأسـرة - اليـوم - لا يتجاوز كثيراً دور مدير التموين أو الفندق ،فقل ما يعطي من الوقت لزوجته و أبنائـه مـا يكفـي لإشعارهم بمفهوم الأسرة،وهكذا تغلغل الاستبداد و رفض الرأي الآخر ، بل استئصاله من جذوره ، ومنع تكونه في كيان المجتمع و سائر خلاياه ، حتى تكرست في الأمة " عقليـة العـوام ، وطبيعـة القطيع. ونفسية العبيد " (النجار ،١٤١٣هـ ، ١٤) .

ويتبين من خلال ما تم عرضه من دلائل وبيانات أنه : لكي تنهض الأمة الإسـلامية مـن جديد ، وتتحقق لها العزة والقوة والغلبة ، لابد لها من ترك الفرقة ، ونبذ الشقاق ، ولا بد لهـا مـن رص الصفوف ، وتوحيد الكلمة ، وتأليف القلوب ، وهذا كله لا يتحقق ولن يتحقق إلا في براءتهـا من أعدائها ، بل لابد من أن تحدث المفاصلة بينها وبين أعدائها . "ولكي يتم الاعتـزاز بـالله ، والانتماء إلى الله وحزبه ، وهم المؤمنون ، لابد من محاربة حزب الشيطان والابتعاد عنهم ، وعدم الركون إليهم ، لئلا يقع الشقاق والخلاف في صفوف الأمة ، يقـول ﷻ :﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(آل عمران:١٠٥) (لأنفال:٤٦) (النحلاوي ، ١٤٠٣هـ ، ٨٦) .

ولا تقتصر هذه الوحدة على التعاون والترابط فقط ، ولم تقف عند حد التكافـل ؛ بـل تمتـد لتشمل وحدة الكلمة وقوة الانتماء ذلك لأن " الاجتماع على الشرعة منهاجاً بعـد الاجتمـاع علـى العقيدة منبعاً وأساساً ، من شأنه أن يجمع الكلمة الشتيتة ، ويوحد الصف الممـزق " (القرضـاوي ، ب. ت ، ١٦٢) .

فوحدة الكلمة هي سر بقاء الأمم ، ومكمن قوتها ، ورمز حضارتها ، وديمومة عزتها، وهـذا ما عمل عليه الحب الفيَّاض بين عناصر المجتمع المسلم "ولا ريب أن توحيد الصفوف واجتمـاع الكلمة هما الدعامة الوطيدة لبقاء الأمة ، ودوام دولتها ونجاح رسالتها ، ولئن كانت كلمـة التوحيـد باب الإسلام ، فإن توحيد الكلمة سر البقاء فيه والإبقاء عليه ، والضمان الأول للقاء وجه الله بوجـه مشرقٍ وصفحةٍ نقيةٍ " (الغزالي ، ب.ت ، ١٨٥) .

لقد منَّ الله على المسلمين بانتمائهم لهذا الدين حيث ذكرهم ﷻ بفضله وكرمه علـيهم بعـد أن كانوا أمماً متناحرةً وشعوباً متباغضةً بقوله ﷻ : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (آل عمران:١٠٣) إنها دعوة للوحدة والتعاون والتكافل تحت راية التوحيد ، ولواء الحق المبين ، يذكر من خلالها الله تباركت أسماؤه بفضله على المسلمين ، إذ وحدهم وألف بين قلوبهم ، بعـدما أمرهم بالاعتصام بأمره ، ونصرة دينه ، والبراءة من كل حزبٍ أو جماعةٍ أو رايـةٍ تـشق علـيهم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحدتهم ، وتناثر قوتهم ولم تقتصر هذه الوحدة وهذا التناصر على من عاش بينهم بل امتد ليشمل إخوانهم الذين سبقوهم في الإيمان ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحشر:١٠) . حيث وتتجلى من وراء تلك النصوص" طبيعة هذه الأمة وصورتها الوضيئة في هذا الوجود ، تتجلى الآصرة القوية الوثيقة التي تربط أول هذه الأمة بآخر ها ،وآخرها بأولها ، في تضامن وتكافل وتوادد وتعاطف ، وشعور بوشيجة القربى العميقة التي تتخطى الزمان والمكان والجنس والنسب ، وتتفرد وحدها في القلوب ، وتحرك المشاعر خلال القرون الطويلة ، فيذكر المؤمن أخاه المؤمن بعد القرون المتطاولة ، كما يذكر أخاه الحي أو أشد في إعزاز وكرامة وحب "(قطب ، ١٤١٧هـ، ج٦،٣٥٢٧) .

فوحدة الكلمة عون للمسلمين على دحر المعتدين والمتآمرين ، كما أنه في الوقت ذاته صيانة للمجتمع من كل ما يعصف به من مؤامرات ودسائس ، كما يجمع شمل المسلمين على الخير والتقوى . " فهذا الولاء يربي النفس دائماً على أن تكون في حربٍ مع الشر والشيطان وأتباع الشيطان ، كما يربي الانتماء إلى الأمة الإسلامية والاعتزاز بها ، وتفقد شئونها والتراحم والتعاون بين شعوبها ، أي تربي وحدة كلمة الإنسانية على أساس الخير والإيمان ، من غير تعصبٍ عنصري ، أو تحيزٍ مصلحي مادي استعماري " (النحلاوي ، ١٤٠٣هـ ، ٨٥) .

فالولاء لدين يربي المسلم على حب الآخرين والتعاون معهم في الخير والتقوى مما يعود من ورائه قوة الانتماء لهذا المجتمع والذي ينعكس بدرره الإيجابي على نفسية الفرد وسلامة المجتمع ، حيث أنه " وبلا شك أن القدرة على حب الناس وإسداء الخير لهم ، والقيام بأعمال مفيدة للمجتمع إنما يقوي الشعور بالانتماء إلى الجماعة ويقضي على مشاعر العزلة والوحدة التي يشعر بها المرضى النفسيون ، وذلك لأن شعور الفرد بانتمائه إلى الجماعة ، وبأن له دوراً فعالاً في المجتمع أهمية كبيرة في الصحة النفسية للإنسان " (الخراشي ، ١٤٠٧هـ ، ١٣٩) .

ويؤكد (أبو دف ، ١٤١٢هـ ، ٤٤٧) على دور الانتماء المتنامي لجماعة المسلمين الذين توحدت كلمتهم على نصرة الدين في الترفع عن ماديات الحياة والسمو بالروح إلى الرفعة والعلو ونفضها من تثاقلها إلى الأرض " فالمؤمن يتنامى لديه الشعور بالانتماء إلى الجماعة ، وهو يشعر دوماً ، بأنه جزء من جبهة الإيمان ، وفرد في الصف المؤمن ، لا ينفصل عنه مطلقاً ، في أي حالٍ من الأحوال ، إنه الشعور المتواتر بالانتماء إلى الإيمان ، والارتباط بالله ﷻ لا التعلق بالماديات ".

" الأبعاد الاجتماعية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومهما تعددت الروابط التي تربط أفراد المجتمع بعضهم ببعض ومهما تنوعت ، فلا رابطة أقوى من رابطة العقيدة ، ولا رابطة تجمع قلوب الناس كما تجمع كلمتهم كرابطة الدين ، فهي الرابطة الأم ، ولها الولاء الأول والارتباط الأول والأخير ." فهناك روابط اجتماعية تربط أفراد النوع الإنساني ، تجمع شملهم وتوحد كلمتهم ، وفي مقدمة ذلك الروابط الثلاث ، الدينية ، القومية ، الوطنية ، وعند التأمل والتفكر يمكننا القول بأن أقوى الروابط وأحكمها هي الروابط الدينية ، بل لا يتسنى لأحد الاعتصام بالرابطتين : القومية والوطنية إلا بالمحافظة على الرابطة الدينية ، لأن من لا دين له كيف يؤتمن على قومه ووطنه ، ومن أهمل واجب ربه كيف لا يهمل واجب وطنه " (شبر ، ١٣٩٤هـ ، ٨٧) .

أما حال المسلمين اليوم حين قلبوا موازين الولاء والبراء فوالوا أعداء دينهم ، وبرءوا من دينهم ، فجافوا أولياء ربهم ، فلا يخفى على الصغير فضلاً عن الكبير ، التفكك والتباعد ، فلا اجتماع على كلمة ولا اتفاق على رأي ، وذلك لاختلاف المصادر والمراجع وتباينها . " فالإعراض عن الإسلام وشريعته ومنهاجه ، واتخاذ مناهج وضعية بشرية ، جدير أن يفرقنا شيعاً ، ويجعلنا طرائق قدداً : فئة تتجه إلى اليمين ، وأخرى تتجه إلى اليسار ، واليمين درجات ، واليسار درجات ، وبينهما مسافات ومسافات من يمين اليمين إلى يسار اليسار ، ولكلٍ منهم قبلةً يرضاها ، وجهةً يتولاها . ولهذا لا يتصور مع هذه التعددية المتنافرة أن تتحد الكلمة ، وهو ما حذر منه القرآن الكريم .﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام:الآية١٥٣) (القرضاوي ، ب.ت ، ١٦٢) .

٢ - التكافل الاجتماعي :-

ويقصد **بالتكافل الاجتماعي** " أن يكون آحاد الشعب في كفالة جماعتهم ، وأن يكون كل قادر أو ذو سلطان كفيلاً في مجتمعه يمده بالخير ، وان تكون كل القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الآحاد ، ودفع الأضرار ، ثم في المحافظة على دفع الأضرار عن البناء الاجتماعي ، وإقامته على أسس سليمة " (أبو زهرة ، ب. ت، ٧).

فلا يستطيع الإنسان مهما توفرت له مقومات الرفاهية وسبل الحياة الرغيدة أن يحيا في هذه الحياة بمعزلٍ عن الآخرين " ولن تستقيم له حياة إلا داخل جماعة يرتبط أفرادها بروابط ومصالح وأهداف مشتركة تجعلهم يتظافرون ، كلٌ حسب قدرته واستطاعته على تحقيقها مع حرصهم على

" الأبعاد الاجتماعية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حماية جماعتهم وتماسكها ، لأن تقويضها واضمحلالها ذهاب لريحهم وضياع ودمـار لحيـاتهم " (الزناتي ، ١٤٠٤هـ ، ٨٤٥) .

وهذا التكافل بدا واضحاً في واقع المجتمع الإسلامي نلمسه في ممارساته اليومية ، وقصصه التي تكاد تكون من نسج الخيال ، لكنها واقعاً حياً جسد قولـه ﷻ : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة:٧١) حيث ربط ﷻ بين الولاء والزكاة التي هي بمثابة العمود الفقري لترسيخ أسسه على التكافل والتعاضد بين عناصر المجتمع وأجزائه " فإن الضمان الاجتماعي في تاريخنا قد بدأ تشريعاً وتطبيقاً منذ فجر الإسلام،أي منذ فرضت الزكاة وجعلت الركن الثالث من أركان الإسلام الخمسة التي يقوم عليها بناؤه "(القرضاوي ، ١٣٩٦هـ ، ٣١).

وحتى يتحقق هذا التكافل لا بد من تقارب القلوب وتجانسها ، فلا شك في " أنه لكي يتم التكافل في ربوع المجتمع يجب أن تقترب القلوب بعضها من بعض ، وأن يسود قانون المحبة لا قانون البغضاء ، وقانون التضحية لا قانون التناحر والتنافس البغيض " (أسعد ، ١٣٩٩هـ ، ٣١) . بل إن " التكافل في الإسلام أولى دعائمه القلوب وما يبنى على القلوب يكون له البقاء " (أبو زهرة ،ب. ت ، ١٩) .

فالتكافل بين أفراد المجتمع بمثابة الروح من الجسد ، فلا مجتمع بلا تكافل بين أعضائه " والتكافل – لا غيره- هو الذي يصون المجتمع من الضعف ، إذ أنه أشبه بالانسجام بين وحدات أفراده ولبناته؛ ذلك الانسجام الذي هو ضرورة في بقاء البناء- أي بناء- قوياً متماسكاً " (البهي ، ١٣٨٣هـ ، ٢٦٥) .

ولما كان الولاء لدين الله ﷻ والبراء مما سواه مبنياً على الحب في الله ، والبغض في الله ، والحب والبغض مكانهما القلب ، فمن البديهي أن ينعكس عن هذا الولاء والبراء تكافلاً اجتماعياً عظيماً ، نلمسه واضحاً جلياً في حياة الرعيل الأول من الصحابة ﷺ والتابعين ، فأثرهم في هذا المجال كسائر المجالات الاجتماعية الأخرى أكبر من أن يحصى وأعظم من أن يحاط به في بحث أو مرجع .

وللتكافل شعبتان : شعبة مادية : وسبيلها مد يد المعونة في حاجة المحتاج ، وإغاثة الملهوف ، وتفريج كربة المكروب ، وتأمين الخائف ، وإشباع الجائع ، والمساهمة العملية في إقامة المصالح العامة . وشعبة أدبية : ونعني بها تكافل المسلمين جميعهم وتعاونهم المعنوي بالنصح والإرشاد " (شلتوت ، ١٤٠٠هـ، ٤٣٦) .

" الأبعاد الاجتماعية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد تجسدت هاتان الشعبتان فعلياً على الأرض فأصبحتا واقعاً ملموساً جراء موالاة المؤمنين بعضهم لبعض ، فالشعبة المادية تمثلت في وصف النبي ﷺ لتكافل المسلمين ؛ حيث قال ﷺ : " الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا إِذْ جَاءَ رَجُلٌ يَسْأَلُ أَوْ طَالِبُ حَاجَةٍ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا وَلْيَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ " (البخاري، كتاب الأدب ،ج٨،٣٣١ ،ح ٩٠٩) . فلم يكن ذلك شعاراً برّاقاً رفعه المسلمون بقدر ما كان واقعاً حياً لمسه البعيد و القريب على حدٍ سواء ، فلقد أدرك صحابة رسول الله ﷺ فضل التكافل والتضامن فيما بينهم من خلال غرس رسولنا ﷺ التناصر والتآلف فيما بينهم فطبقوه قولاً وعملاً ، فضربوا أروع الأمثلة على هذا التكافل . فقد جاء في كتب السيرة " عن مالك بن أنس أن عمر بن الخطاب ﷺ أرسل إلى أبي عبيدة بأربعة آلاف درهم وأربعمائة دينار ، وقال للرسول : انظر ما يصنع ، قال : فقسمها أبو عبيدة ، ثم أرسل إلى معاذ بمثلها وقال للرسول مثل ما قال : فقسمها معاذ إلا شيئاً قالت امرأته نحتاج إليه . فلما أخبر عمر قال : الحمد لله الذي جعل في الإسلام من يصنع هذا " (ابن سعد ، ١٤٠٥هـ ، ج٣،٤١٣) .

أما الشعبة الأدبية فقد تمثلت في التناصح بين المسلمين ، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: " الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ قَالَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ " (مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة ، ج١،٤٧ ، ح٥٥) .

والنصحية في اللغة " كلمة يعبر بها عن جملة إرادة الخير للمنصوح فلا يمكن أن يعبر عنها بكلمة واحدة تجمع معناها غيرها " (ابن منظور ، مادة نصح) . أما في الاصطلاح فهي " النصح إخلاص العمل عن شوائب الفساد ، والنصيحة : هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد " (الجرجاني ، ١٣٥٧هـ ، ٢١٦) . وهي تحمل في طياتها أقوى مظاهر التكافل الاجتماعي المعنوي .

وفي مقابل هذا التكافل الاجتماعي الرائع الذي تجسد في حياة الرعيل الأول من الصحابة الكرام ﷺ ، فإن المجتمعات تصبح أشبه **بالمجتمعات الحيوانية** القريبة إلى مجتمع الغاب ، إذا ما تخلى أفرادها عن نصرة دينهم والذود عنه والتضحية من أجله وعدم البراءة من كل ما عداه وعاداه ، ولعل الآية التي ذكرها الباحث في البعد السابق من سورة العنكبوت أكبر برهان على هذا ، والمتمثلة في قوله ﷻ : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (العنكبوت:٤١) . فقد أكد العلم الحديث : " أن بيت العنكبوت هو أسوأ ملجأ لمن يفكر بالاحتماء به ، فهو مصيدة يقع فيه من الزوار والغرباء ، وهو مقتل حي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لأهله ، فالعنكبوت الأنثى تفترس زوجها بعد التلقيح ، كما أنها تأكل أولادها عند الفقس ، كما أن الأولاد يأكل بعضهم بعضاً " (الدباغ ، ١٤٠٥هـ،١٧٥) .

وفي هذا كناية عن مدى القسوة والجفوة بين عناصر المجتمع الذين تولوا عن نصرة دينهم فوالوا عدوهم ، فأكل كبيرهم صغيرهم ، وطغى قويهم على ضعيفهم . ولا يرى الباحث أن هناك تناقضاً بين تفسير علماء التفسير وعلماء العصر العلمي الحديث المختص في تركيب الحشرات ، إذ أن التفكك والانشقاق في المجتمعات يتناسب طردياً الأثرة والأنانية والقسوة والجفاء ، فكلما ازدادت مظاهر التباغض والتناجش والحسد والجفاء كلما ازدادت مظاهر التفكك والتشرذم والانقسام .

٣ - التعاون على البر والتقوى :-

فإذا كان الولاء لدين الله ﷻ يحقق الترابط بين أفراد المجتمع المسلم ؛ كما وضح الباحث سابقاً ، فإنه يجسد التعاون بين أفراده بلا شك ، وذلك في قوله ﷺ: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى " (مسلم ، كتاب البر ،ج٤،١٩٩٩، ح٢٥٨٦) . وقولهﷺ: " الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا إِذْ جَاءَ رَجُلٌ يَسْأَلُ أَوْ طَالِبُ حَاجَةٍ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا وَلْيَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ " (البخاري، كتاب الأدب ،ج٨،٣٣١ ،ح ٩٠٩) .

ولا شك في أن أجمل ما في الحياة أن يعيش المرء في جو ملؤه المحبة والتعاضد والتعاون ، ذلك لأن مثل هذا الجو يعكس على الأفراد والجماعات راحةً نفسيةً ، وإرادةً حديديةً ، وعزةً ربانية ، وذلك لأن " للتعاون آثار اجتماعية وأخلاقية ونفسية تعود بالنفع على الفرد نفسياً وعقلياً ، فمن آثاره النفسية الجيدة شعوره بالسعادة لتعاونه مع غيره ، وشعوره بالانتماء لجماعة يتعاون معها وشعوره بأنه عضو نافع في مجتمعه وإحساسه بالوحدة والاتحاد والتضامن والتكافل " (العيسوي ، ١٤٠٦هـ ، ١٤٥) .

فمن مقتضيات الولاء الصادق لله ورسوله والمؤمنين والبراء الواضح من المشركين ؛ أن يسعى المسلم في قضاء حاجات المسلمين وتفريج كرباتهم " ومما يحقق معنى التعاون في التربية الإسلامية ، قضاء حاجات الناس والتفريج عنهم وستر عيوبهم ونصحهم على انفراد إن كانت من العيوب التي يمكن تركها " (النحلاوي ، ١٤٠٣هـ ، ١٨١) . وفي ذلك يقول النبي ﷺ: " الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "(البخاري ،كتاب المظالم ،ج٣،٢٦٧ ، ح ٦٦١)

فتعاون المؤمنين الذين التفوا حول هذا الدين العظيم تعاون خير لجميع المخلوقات على هذه الأرض ، حيث أن " التعاون سلوك عملي يظهر من خلال حركة المؤمنين في المجتمع المسلم ، والتعاون الذي يفترضه الله ﷻ على المؤمنين ، تعاون إيجابي على البر والإحسان والتقوى لا تعاون سلبي على الإثم والعدوان " (أبو دف ، ١٤١٢هـ ، ٤٣٣) وفي ذلك يقول ﷺ :﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْأِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة:٢) . وفي الآية دعوة من الله ﷻ على التعاون على فعل الخيرات وترك المنكرات " حيث يأمر الله ﷻ عباده المؤمنين بالمعونة على فعل الخيرات وهو البر ، وترك المنكرات وهو التقوى ، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون عن الآثم والمحارم " (ابن كثير ، ب. ت ، ج٢،٦) .

أما تعاون المنافقين الذين سارعوا ويسارعون في نصرة أعدائهم واتخاذهم أولياء من دون المؤمنين ، بغية تحقيق متاع زائل من متاع الدنيا الزائلة فهو تعاون سلبي مبني على الحقد المستفحل في صدورهم ، فهو أول ما يصيبهم ، وأول ما يلحق بهم ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ (فاطر: الآية٤٣) ثم يمتد ليؤذي مخلوقات الله جميعاً ، فقد وصفهم الله ﷻ قائلاً : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (التوبة:٦٧) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤ -الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

ويقصد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لغة : يقصد " **بالأمر** " كما جاء في لسان العرب : كلام دال على طلب الفعل أو هو قول القائل لمن دونه افعل .(ابن منظور ، مادة أمر) .و" **المعروف** " يعني: الخير والإحسان . يقول ابن الأثير : المعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه ، والإحسان إلى الناس ، وكل ما ندب إليه الشرع من المحسنات ونهى عن المقبحات ، وهو من الصفات الغالبة أي معروف بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه " (ابن الأثير ، مادة عرف) .

أما " **النهي** " : وهو ضد الأمر (الفخر الرازي ، مادة نهي) ." و**المنكر** ": الأمر القبيح أو هو ضد المعروف ، وكل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر (ابن منظور ، مادة نكر) .

أما **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اصطلاحاً** : فقد عرف الجرجاني الأمر بالمعروف بأنه " الإرشاد إلى المراشد المنجية، أو الدلالة على الخير ، أو أمر بما يوافق الكتاب والسنة ، أو ما يرضي الله تعالى من أفعال العبد وأقواله . والنهي عن المنكر : هو الزجر عما لا يلائم الشريعة ، أو المنع عن الشر ، أو نهي عما تميل إليه النفس والشهوة " (الجرجاني ، ١٣٥٧هـ ، ٣٠) .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، من أجلِّ صفات المجتمع المسلم " إن شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعد من أسمى صفات المجتمع المسلم ، وبهذه الصفة المجيدة المؤثلة أمست الأمة الإسلامية التي شكَّلها محمد ﷺ في مدينته الفاضلة تتبوأ أعلى مرتبة بشرية بين الأمم " (الحياري ، ١٤٢١هـ ، ٢٩٨) . فبه مدح الله عباده المؤمنين فقال ﷻ :﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (آل عمران: الآية١١٠) . " مدح الله هذه الأمة ، لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، قال عمر ﷺ : " هم خاصة أصحاب رسول الله ﷺ ومن صنع مثل صنيعهم كانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " (الطبري ، ١٤٠٧هـ ، ٤٣/٤) . وهو معيار الفلاح ، حيث قال ﷻ :﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:١٠٤). " فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حافزه الإيمان والتوحيد ، ليظل يغذيه ويرويه رياً متواصلاً من منهاج الله ، لينمو ويتجدد ويتصل ويتواصل وليحمل هذه الأهداف الثابتة في مسيرته ونهجه " (النحوي ، ١٤١٧هـ ، ٢٣٦) .

وقد يقول قائل : إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو صفه من صفات المؤمنين ، فنقول لا شك في ذلك ، بيد أننا إذ نعتبره أثراً من آثار الموالاة ، فلأسباب كثيرة أهمها : أن مهمة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهمة شاقة تحتاج إلى جماعه للقيام بها ، ذلك لما يواجهه المسلم أثناء القيام به من عقبات ، تحد من عزيمته ، وقد تؤثر سلبياً على فاعليته ودافعيته . " ومن ثم فلا بد من جماعة تتلاقى على هاتين الركيزتين : الإيمان بالله والأخوة في الله ، لتقوم على هذا الأمر العسير الشاق بقوة الإيمان والتقوى ، ثم بقوة الحب والألفة ، وكلتيهما ضرورات من ضرورات هذا الدور الذي ناطه الله بالجماعة المسلمة ، وكلفها به هذا التكليف " (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج٢،٢٨) .

لذا كان الولاء من العوامل المهمة لنجاح هذا الخلق الاجتماعي العظيم . " فعن سفيان قال : إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن ، وإذا نهيت عن المنكر أرغمت أنف المنافق " (عطا ، ١٤٠٦هـ ، ١٥) . فمقومات ثبات الفرد على هذا الخلق تكون أقوى من خلال وجوده ضمن جماعة يشكو إليها همومه ويشاركها وتشاركه أحزانه ، ولقد طلب سيدنا موسى عليه السلام من ربه تعالى حين أمره بمواجهة فرعون بأن يجعل له نصيراً من أهله ، ليكون له معيناً ، ويشاركه أمره حيث قال تعالى :﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي ۞ هَارُونَ أَخِي ۞ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۞ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ (طه:٢٨-٣١) .

لذلك كانت مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهمة شاقة ، لها تبعات كثيرة ، وعليها التزامات ثقيلة ، فهي تحتاج إلى الصبر والثبات ، كما تحتاج إلى الحلم والأناه ، لذا كانت النصرة بين المؤمنين هي الجدار الصلب الذي تتحطم عليه وساوس الشيطان الهادفة إلى نزع هذا الخلق من صدور المؤمنين ، وقد جاء قول الله تعالى مؤكداً هذا الترابط ومدعّماً إياه : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة:٧١) . " فطبيعة المؤمنين هي طبيعة الأمة المؤمنة ، طبيعة التكافل ، وطبيعة التضامن ، لكنه التضامن في تحقيق الخير ودفع الشر، يحتاج إلى الولاية والتضامن والتعاون ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾(التوبة: من الآية٧١) ويتجهون بهذه الولاية إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،وإعلاء كلمة الله ،وتحقيق الوصاية لهذه الأمة في الأرض " (قطب ، ١٤١٧ هـ ، ج١٦٧٥،٣) .

لقد لعن الله تعالى جماعةً من بنى إسرائيل لتخاذلهم وتقاعسهم عن القيام بهذا الخلق العظيم حيث قال تعالى :﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۞ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ۞تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (المائدة:الآيات ٧٨-٨٠) . فقد جاء : " عن عَبْدِ اللَّهِ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ثُمَّ قَالَ : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : " فَاسِقُونَ " ثُمَّ قَالَ : كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا حَدَّثَنَا خَلَفُ بْنُ هِشَامٍ حَدَّثَنَا أَبُو شِهَابٍ الْحَنَّاطُ عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَحْوِهِ زَادَ أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ ثُمَّ لَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ " (سنن أبي داود ، كتاب الملاحم ،ص ٦٥٤ ، ح ٤٣٣٦) .

ومن هنا فقد أشار (غانم ، ١٤٢٣هـ ، ١٧) إلى أن : " العقل يوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهو أصل من أصول الإسلام ومن الأمور العظيمة التي اهتم بها الإسلام ، فاستقامة الأمة لا تكون إلا بقيامها بهذه الفريضة ، ولو قصرت الأمة بهذه الفريضة فسينتشر الفساد والانحراف والجهل ، وسيسترسل الناس في اتباع الهوى استرسال البهائم ، وسيجاهرون بالمعاصي دون رادع فتحل عليهم لعنة الله ".

وهذه الأمانة لا تقتصر على رجال الدين فحسب ، ولا على الدعاة إلى الله فقط ، بل هي مهمة جماعية إلزامية على كل مسلم ينتمي لهذا الدين العظيم ، وأما إذا حدث التقاعس والتراجع عن القيام بهذا الواجب الأخلاقي العظيم ، فإن الفساد سينتشر ، وحينها يقع العقاب على الجميع ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (لأنفال:٢٥) . وهذا ما حذر منه النبي حيث قال ﷺ :"مَثَلُ الْمُدْهِنِ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةً فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمُرُّونَ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا فَتَأَذَّوْا بِهِ فَأَخَذَ فَأْسًا فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ فَأَتَوْهُ فَقَالُوا مَا لَكَ قَالَ تَأَذَّيْتُمْ بِي وَلَا بُدَّ لِي مِنَ الْمَاءِ فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ وَإِنْ تَرَكُوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ " (البخارى ، كتاب الشهادات ، ح٢٦٨٦) .

ففي القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حفظ للمجتمع ، وإصلاح لأفراده ، وصيانة للقلوب ، فبه يكثر الخير وينحسر الفساد وتختفي المنكرات " فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين ، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين ، ولو طوى بساطه وأهمل عمله لتعطلت النبوة ، واضمحلت الديانة ، وعمت الفترة ، وفشت الضلالة ، وشاعت

" الأبعاد الاجتماعية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجهالة ، واستشرى الفساد ، واتسع الخرق ، وخربت البلاد ، وهلك العباد ،ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد " (الغزالي ، ب.ت ، ج٢،٣٣٣) .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أفضل أساليب التربية الاجتماعية ، وإلى ذلك يشير (النحلاوي،١٤٠٣هـ،١٧٧) بقوله : إن " من أفضل أساليب التربية الاجتماعية حيث تتجسد مسئولية المجتمع الإسلامي عن تربية أبنائه في أمور وأساليب تعتبر من أفضل أساليب التربية الاجتماعية والتي أهمها أن الله جعله آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر فقال ﷻ : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران:١٠٤)

لذا أُعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وغرسه في الناشئة ، وتعزيزه لدى الفئة الشابة، إحدى أهم العوامل التي تحد من الجرائم في المجتمع " فلكي ينجح الشعور بالأخوَّة في تقليل الجرائم لا بد من تدريب الناشئين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من جماعة الصف الواحد أولاً ، ثم من جميع الطلاب في المدرسة ، ثم بين الناس في المجتمع يمارس ذلك كل واحدٍ بقدر مستواه وباحترام المشاعر الأخوية بالأساليب التربوية " (يالجن ، ١٤٠٨هـ ، ٧١) .

ليس هذا فحسب ؛ بل إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أساسيات النصر " فأساس النصر في الحرب المقدسة بين الكفر والإيمان هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إذ أنه يستدعي العون الإلهي الخارق للعادات ، وغير المقيد بقواعد الحرب ووسائل النصر المتعارفة " (عطا ، ١٤٠٦هـ ، ١٦) . وفي ذلك يقولﷻ :﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۞ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۞ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (الحج:٣٩-٤١) .

مما سبق يتبين أن ما أصاب المسلمين اليوم ، من همٍ وغمٍ ، وتسليط شرار الناس عليهم ، حتى جأر خيارهم بالدعاء ، فما استجاب الله ﷻ لهم ؛ إلا لتخليهم عن هذا الأمر العظيم ، وما كان لهذا الخلق أن يندثر وينقرض حتى انحصر على فئةٍ قليلةٍ من المسلمين ، إلا بسبب تذويب فاعلية هذا الأصل العظيم ، وهذا الشطر الخطير في عقيدتنا ، فتمزق شمل المسلمين ، وتفرق جمعهم ، وصاروا شيعاً وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون ، فضعف الولاء وضاع البراء ، وانقرض الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإذا كان المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يتجهون بهذه الولاية إلى عمارة الأرض وإصلاحها ، وبتعزيز الخير والمعروف ، وحب أهله ، ومحاربة الشر والمنكر وبغض أهله ، فإن المنافقين لا يصلون إلى درجة الولاية ، مع كونهم من طينةٍ واحدة ، ونفسٍ واحدة ، يتعاونون فيما بينهم على النهي عن المعروف ، والأمر بالمنكر ؛ وذلك لتوليهم للذين كفروا ، فهم يتجهون بهذه الولاية للإفساد في الأرض ، يقول الله ﷻ: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (التوبة:٦٧) . " والمنافقون والمنافقات من طينةٍ واحدةٍ و طبيعةٍ واحدةٍ ، المنافقون في كل زمان و في كل مكان ، تختلف أفعالهم و أقوالهم ، ولكنها ترجع إلى طبعٍ واحد ، وتنبع من معين واحد، سوء الطوية ولؤم السريرة،والغمز و الدس ، والضعف عن المواجهة ، والجبن عن المصارحة ، تلك سماتهم الأصلية " (قطب ، ١٤١٧هـ ،ج٣،١٦٧٣).

وهذه إحدى صفات المنافقين من جملة صفاتهم الذميمة ، بل هي من أخطرها ، فهم لا يقولون الحق بل ويجعلونه باطلاً ، وقد أشار إلى ذلك الإمام أحمد بن حنبل بقوله أن : " المنافق إذا اختلط بأهل الإيمان فأثمرت عدواه ثمرتها ، صار المؤمن بين الناس مثل الجيفة ، لأن المنافق يصمت عن المنكر وأهله ، فاشتهر بين الناس بالبعد عن الفضول ، وسموا المؤمن فضولياً " (عطا ، ١٤٠٦هـ ، ١٥).

٥ - الحد من الفساد في الأرض :-

إن ترسيخ عقيدة الولاء والبراء في نفوس المسلمين ، تعني ترسيخ مبادئ العدل والمحبة والإخاء ، كما تعني ترسيخ أسس الترابط والتكافل والتناصر والتعاون ، كما تعني أيضاً الحد من آثار العصبيات القبلية والإقليمية وهذا في محصلته برنامج وقائي للحد من عبث المفسدين في الأرض ، كما يحد من تبعات إفسادهم . " فأي فسادٍ أكبر من إفساد من أهمل هداية العقل وهداية الدين . وقطع الصلة بين المقدمات والنتائج ، وبين المطالب والأدلة والبراهين . من كان هذا شأنه فهو فاسد في نفسه ووجوده في الأرض مفسد لأهلها لأن شره يتعدى كالأجرب يعدي السليم " (رضا ، ب.ت ، ج١،٢٤٤) .

وذلك مصداقاً لقوله ﷻ :﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (لأنفال:٧٣) . " أي إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإلا وقعت فتنة في الناس وهو التباس الأمر واختلاط المؤمنين بالكافرين فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل" (ابن كثير ، ب. ت ،ج٢،٣٣٠).

والفساد هو" خروج الشيء عن كونه منتفعاً به ، ونقيضه الصلاح ، فأما كونه فسادٌ في الأرض فإنه يفيد أمراً زائداً ، وفيه **ثلاثة أقوال** . أحدها قول ابن عباس والحسن وقتادة والسدى: أن المراد بإفساد في الأرض : إظهار المعصية لله تعالى ، لأن الشرائع سنن موضوعة بين العباد ، فإذا تمسك الخلق بها زال العدوان ، ولزم كل أحدٍ شأنه ، فحقنت الدماء ، وسكنت الفتن ، وكان فيه صلاح الأرض وصلاح أهلها أما إذا تركوا التمسك بالشرائع ، وأقدم كل واحدٍ على ما يهواه لزم الهرج والمرج والاضطراب ، لذلك قال تعالى :﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾(محمد:٢٢) (الفخر الرازي ، ب.ت ، ج٢،٦٦) .

لذا كانت إحدى الحكم من حض الشارع المؤمنين على موالاة بعضهم لبعض ، هي تجفيف منابع هذا الفساد وقطع دابره من جذوره وذلك لأن الكفار والمنافقين جاهدين في تكفير المسلمين وردهم عن دينهم ، مستمرين فيه ما بقي الليل والنهار ، وذلك مصداقاً لقوله ﷻ : ﴿ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ (البقرة: الآية٢١٧). حيث أن " هذا التقرير الصادق من العليم الخبير يكشف عن الإصرار الخبيث على الشر ؛ وعلى فتنة المسلمين عن دينهم ، بوصفها الهدف الثابت المستقر لأعدائهم . وهو الهدف الذي لا يتغير لأعداء الجماعة المسلمة في كل أرض وفي كل جيل " (قطب ، ١٣٨٦هـ ، ج١،٣٣٠) .

والفساد وإن تعدد وتلون ، وتزخرف وتزوق، فإن مصدره واحد ومنبعه واحد وجذوره واحدة وهما الكفر والشرك " فهما أعظم فتنة في الأرض وأكبر مصاب في حياة الإنسانية ، وأوسع فساد في حياة البشرية " (النحوي ، الصحوة ، ١٤١١هـ ، ١٤٧) .

أما عن الفتنة " فقد اعتبر الإسلام الفتنة أشد من القتل فقال تعالى : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾(البقرة: من الآية١٩١) ذلك أن الفتنة تؤدي إلى إراقة الدماء وتفريق الأمة ، وانهيار الدولة ، ولهذا كانت جريمة الفتنة ، وتفريق الأمة من الجرائم الكبيرة في قانون العقوبات " (يالجن ، ١٤٠٨هـ ، ٥٦) .

ومن هنا كان الولاء لدين الله والولاء للمؤمنين من أقوى عوامل الحد من انتشار الجرائم في المجتمع واستفحالها ، وهذا ما أكد عليه علماء الاجتماع الحديث " إن مما يعترف به الاجتماعيون أنه بقدر ما تسود الأخوَّة بين الناس بقدر ما تقل الجرائم ، وبقدر ما تقل هذه الأخوَّة في المجتمع بقدر ما تزداد الجرائم وتتوتر العلاقات الاجتماعية بصورةٍ عامة " (يالجن ، ١٤٠٨هـ ، ٦١) .

" الأبعاد الاجتماعية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما لا شك فيه أن هناك " فرق كبير بين صلات وروابط تنبع من مصالح وظروف ورغبات وأهواء ، وبين صلات وروابط تنبع من منهاج الله ورب السماوات والأرض ، فتلك تمثل عصبيات جاهلية يحركها الشيطان لتفسد في حياة الإنسان ، وهذه تمثل روابط إيمانية يوثقها الإيمان والتوحيد لتنشر الخير والصلاح " (النحوي ، ١٤١٤هـ ، ١٥٨).

كما أن " صلاح الدنيا مُعتبر من وجهين : أولها ما ينتظم به أمور جملتها ، والثاني ما يصلح به حال كل واحدٍ من أهلها ، فهما شيئان لا صلاح لأحدهما إلا بصاحبه ، لأن من صلحت حاله مع فساد الدنيا واختلال أمورها ، لن يعدم أن يتعدى إليه فسادها ، ويقدح فيه اختلالها ، لأنه منها يستمد ، ولها يستعد ، ومن فسدت حاله مع صلاح الدنيا ، وانتظام أمورها ، لم يجد لصلاحها لذة ولا لاستقامتها أثراً لأن الإنسان دنيا نفسه ، فليس يرى الصلاح إلا إذا صلحت له ولا يجد الفساد إلا إذا فسدت عليه " (الماوردي ، ١٣٩٣هـ ، ١٣٤).

٦ - القضاء على العصبيات الجاهلية والنعرات القومية :-

ويقصد بالعصبية : ما وضحه الرسول القائد سيدنا محمد ﷺ فعن سَلَمَةُ بْنُ بِشْرٍ الدِّمَشْقِيُّ عَنْ بِنْتِ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ أَنَّهَا سَمِعَتْ أَبَاهَا يَقُولُ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْعَصَبِيَّةُ قَالَ : أَنْ تُعِينَ قَوْمَكَ عَلَى الظُّلْمِ " (أبو داوود ، الأدب ، العصبية ، ج٤، ٣٣٤ ، ح ٦١١٩) .

أما الإخاء فهو : أن تذوب عصبيات الجاهلية ، فلا حميَّة إلا للإسلام ، وأن تسقط فوارق النسب واللون والوطن ، فلا يتقدم أحدٌ أو يتأخر إلا بمروءته وتقواه " (حوى ، ١٤٠٩ هـ ، ٣٩٩) . بيد أن هذا لا يعني أن حب المرء لقومه وعشيرته من العصبية ما دام لا ينصرهم على باطل فعَنْ عَبَّادِ بْنِ كَثِيرٍ الشَّامِيِّ عَنِ امْرَأَةٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهَا فُسَيْلَةُ قَالَتْ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ قَوْمَهُ قَالَ : " لَا وَلَكِنْ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُعِينَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ عَلَى الظُّلْمِ " (سنن ابن ماجة ، كتاب الفتن ، ح٣٩٣٩) .

لقد كان لولاء المسلمين لدينهم أثراً عظيماً في وحدة صفوفهم وتماسك بنيانهم الاجتماعي ، تماسكاً صعب على الأعداء تفتيته ، فجعلهم يفكرون ليلَ نهار في تفتيت هذا التماسك وهذا التلاحم ، من خلال تفتيت صخرته ، كما كان للبراء من براثن الجاهلية ومظاهرها كبير الأثر في هذه الوحدة وهذا الترابط فمن المعروف أن " خلو المجتمع الإسلامي من العصبية بأنواعها يقلل فرص الاعتداء والظلم والبغي ، ويساعد على شد الأفراد إلى معاني الحق والعدل ، وفي هذا كله خيرٌ مؤكد للمجتمع والأفراد " (زيدان ، ١٣٩٥هـ ، ٩٩) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لذلك جاء الإسلام ليقضي على كل أنواع الولاءات إلا لهذا الدين الخالد ، فقضى بذلك على النعرات الجاهلية والعصبيات القومية ، جاعلاً عقيدته الغراء معيار القرابة ، ضارباً بكل قوة كل أشكال الجاهلية وألوانها ، فتبرأ المسلمون من أقرب أقاربهم الذين فصل بينهم فاصل الولاء السوي والبراء النقي " بينما كان الإسلام قد وضع تحت قدميه جميع الأنواع من الولاء سواء أكان للجنس أو اللون أو التراب أو اللغة ، إلا الولاء لله ولرسوله ولدينه . وهذا الولاء الذي كان يصاغ فيه سلوك المسلم فردياً أو جماعياً " (المودودي ، ب.ت ، ٣٣).

وهو بمثابة الحصن الأقوى للمسلم من الانجرار وراء العصبيات المقيتة والنعرات المهينة " فمن هذا الولاء الصادق الصافي لله يقوم الولاء بين المؤمنين حتى يظل ولاءً ربانياً لا يتحول هنا أو هناك إلى عصبية جاهلية تصطدم مع حقيقة التوحيد " (النحوي ، ١٤١١هـ ، ٧٠).

فكما أثَّر الولاء لدين الله في بناء المجتمع وصياغته بأقوى البناء والصياغة ، كان للبراء من الجاهلية بأشكالها وألوانها كبير الأثر في تعزيز هذه الصياغة وهذا البناء ، فمقدار ما يكون الولاء لله ولرسوله ، بمقدار ما يكون البراء من الجاهلية ونعراتها وعصبياتها، لهذا لم يكن اهتمام الإسلام بغرسه للبراء في نفوس المسلمين بأقل شأناً من الولاء ، فقال ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (التوبة:٢٣) . نهي واضحٌ عن موالاة الآباء والإخوان إن أصروا على الكفر ، يتبعه تهديد شديد اللهجة لمن والاهم رغم عنادهم وإصرارهم على الكفر " فما يمكن أن يجمع القلوب إلا الأخوَّة في الله ، تصغر إلى جانبها الأحقاد التاريخية ، والثارات القبلية ، والأطماع الشخصية ، والرايات العنصرية ، ويتجمع الصف تحت لواء الله الكبير المتعال "(قطب ، ١٤١٧هـ ، ج١،٤٤٣).

وهذا ما يغيظ أعداء الإسلام ، ويحيك الحقد في قلوبهم ، ويحرك الشياطين في ضمائرهم ، والتاريخ الإسلامي القديم والحديث خير شاهدٍ وخير دليل على ذلك ، فلم يسلم المسلمون من كيد يهود حين ذوَّب الولاء لدين الله نعراتهم الجاهلية ، وقضى البراء على عصبياتهم ، فأغاظ ذلك زعيمهم ، فعن ابن إسحاق قال : مرَّ شاس بن قيس، وكان شيخاً قد عَسا ،عظيم الكفر شديد الضِّغْن على المسلمين ، شديد الحسد لهم ، على نفرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس و الخزرج ، في مجلسٍ قد جمعهم يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من أُلفتهم و جماعتهم ، وصلاح ذات بينهم على الإسلام ، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية ، فقال : قد اجتمع ملأ بنى قَيْلة بهذه البلاد ، لا والله مالنا معهم إذا اجتمع مَلَؤهم بها من قرار . فأمر فتىً شاباً من يهود كان معهم ، فقال: إعمد

" الأبعاد الاجتماعية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إليهم فاجلس معهم ، ثم اذكر يوم بعاث وما كان قبله ، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار .وكان يوم بعاث يوماً اقتتلت فيه الأوس و الخزرج، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج ، قال ابن هشام : قال أبو قيس بن الأسْلت

علــى أن قد فجــعت بذي حفــاظ ... فعاودنـــي له حزن رصيـــن
فـــان لم تقتلـــوه فان عمــــــــراً ... أعضَّ برأسه عضْبٌ سنيـــن

قال ابن إسحاق : ففعل ، فتكلم القوم عند ذلك و تنازعوا و تفاخروا حتى تواثب رجلان من الحَيَّينِ على الرُكب ، أوس بن قَيْظى ، أحد بنى حارثة بن الحارث ، من الأوس ، وجبار بن صخر ، أحد بنى سلمة من الخزرج، فتقاولا ، ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم رددناها الآن جذَعه ، فغضب الفريقان جميعاً و قالوا : قد فعلنا ، موعدكم الظاهرة- و الظاهرة الحرة- السلاح السلاح . فخرجوا إليها فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم ، فقال : يا معشر المسلمين ، الله الله أبدعوى الجاهلية و أنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله إلى الإسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية و استنقذكم من الكفر وألف بين قلوبكم ، فعرف القوم أنها نزعةٌ من الشيطان ، وكيدٌ من عدوهم ، فبكوا وعانق الرجال من الأوس و الخزرج بعضهم بعضاً ، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين قد أطفا الله عنهم كيدَ عدو الله شأس بن قيس فانزل الله في شأس بن قيس وما صنع قوله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ۞ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(آل عمران:٧٠،٧١) . وأنزل الله في أوس بن قَيْظى و جبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا عما أدخل عليهم شأس من أمر الجاهلية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ۞ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾(آل عمران:١٠٠ ، ١٠١) إلى قوله ﴿ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(آل عمران: من الآية١٠٥) (ابن كثير ، ب.ت ، ج٢، ٢٠٤)

مما سبق يتبين أن " عظيم أثر الوحدة الإيمانية في قلوب المؤمنين ، وتصد عمل هذه القوة في تطهير النفوس المؤمنة من أوكار الضغائن الوثنية الجاهلية التي توهَّم أعداء الوحدة الإيمانية أن ترسبها في حنايا النفوس ما يزال في أنفس مجتمع الإسلام قائماً ، فخيّب الله توهماتهم ، وأراهم ما يحرق أكبادهم من الغيظ وسوء عواقبهم في مقاصدهم السيئة "(عرجون ، ١٤١٥هــ ، ج٣،١٥٣)

كان ذلك في عهد رسول الله ﷺ أما إثارتهم لهذه العصبيات في عصرنا الحديث " فقد استخدم أعداء الإسلام والمسلمين أسلوباً جديداً حين رفعوا رايةً برّاقةً زائفةً اتسمت بالحرية الفكرية والعصرية،ثم عمدت هذه الحملة إلى إعلاء وتمجيد الماضي الفرعوني والإغريقي والجاهلي

" الأبعاد الاجتماعية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والعربي ، وبعث الأساطير وإعادة صياغة الوثنيات والفلسفات السريالية والمجوسية " (كسبة ، ١٣٩٦هـ ، ٩٥).

لقد وصل أثّر الولاء والبراء إلى الحد الذي تخلى الولد عن والده والوالد عن ولده ، عندما كان الفاصل بينهما دين الله فقد جاء في كتب التفسير والسيرة موقف عظيم تجلى فيه عظيم أثر الولاء لهذا الدين عند الصحابة الكرام رضي الله عنهم حيث أنه " لما قال رأس المنافقين عبد الله بن أبَّي بن سلول قولته المشئومة " لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ورجع إلى المدينة وقف له ولده " عبد الله " على باب المدينة واستل سيفه فجعل الناس يمرون به ، فلما جاءه أبوه قال له ابنه : وراءك ، والله لا تدخل المدينة أبداً حتى تقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأعز ، وأنا الأذل ، فقالها ثم جاء إلى رسول الله فقال يا رسول الله : بلغني أنك تريد قتل أبي ، فإن كنت فاعلاً فمرني فأنا أحمل إليك رأسه ! فقال رسول الله : بل نترفق به ونحسن إليه ما بقي معنا . (الصابوني ، ١٤٠١هـ ، ج٣،٣٨٧) .

ولقد أكد الله عز وجل على دور البراء مما سواه في القضاء على العصبيات التي أكلت الأخضر واليابس وحصدت الغث والسمين حيث قال عز وجل : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة:٢٤).

فقد جاء الإسلام ليقضي على هذه العصبية العمياء باجتثاثها من جذورها ومن كل ألوانها ، من خلال غرس مفهوم الولاء والبراء في قلوب أبنائه وعقولهم. فعَنْ وَاصِلٍ الْأَحْدَبِ عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ فَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ " (البخاري ، كتاب الإيمان ، ج١،٧٨ ، ح ٢٩).

وعن سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ قَالَ سَمِعَ عَمْرٌو جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ يَا لَلْأَنْصَارِ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ يَا لَلْمُهَاجِرِينَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ : " دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ " فَسَمِعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ فَقَالَ قَدْ فَعَلُوهَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ قَالَ عُمَرُ: دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ فَقَالَ دَعْهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ " (مسلم ،كتاب البر والصلة ، ج١٩٩٨،٤ ، ح ٢٥٨٤) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد برىء رسول الله ﷺ من الذين يدعون إلى عصبية ، أو يقاتلون تحت رايةٍ عميّة ، فعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ " (أبو داوود ، كتاب الأدب ، ج٤، ٣٣٤ ، ح ٥١٢١) .

مما سبق يتبين عظيم الأثر التربوي الناتج عن غرس مفهوم الولاء والبراء كما جاء في الكتاب والسنة بصورة واضحة جلية على الرعيل الأول . فأثمر أعظم النتائج وأجّل الثمرات ، أما المسلمون اليوم الذين نشأوا بعيداً عن النبع الأصيل ، فتأثر بذلك ولاؤهم ، ومن يعتز منهم بقوميته وعروبته ؛ فعليهم أن يدركوا " أن العروبة ليست دماً ، وإنما هي لسان ، وأن الولاء ليس لأنسابهم ، وإنما هو للدين الجامع ، وأن التاريخ الإسلامي إذا بدأ بالجزيرة حيث هبط الوحي ، فإن دائرته تمتد مع خطوط الطول والعرض إلى ما شاء الله ، وأنه مع انديا ح هذه الدائرة تذوب عصبيات كثيرة ، فلا يبقى التفاف إلا حول الوحي ، ولا تبقى راية إلا راية التوحيد " (الغزالي ، ١٤١٢هـ ، ١٠٦) .

فالولاء لدين الله ﷻ ولدينه والبراء من كل ما يعبد سواه يمثل " رابطة ربانية إيمانية تجمع المسلمين في الأرض على مدار التاريخ ، تذوب في صدقها جميع العصبيات الجاهلية ، وتتوازن سائر الروابط معها وتتناسق حتى تؤدي كلها خيراً وصلاحاً في حياة الناس بدلاً من أن تكون سبب فتنة ومصدر فساد " (النحوي ، ١٤١٧هـ ، ٢٤١) . فقد جعل هذا الولاء لله ورسوله وحزب المؤمنين فوق ولاء الأبوة والرحم والقرابة قال ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (التوبة:٢٣) . بيد أن الإسلام لم يحرِّم على المسلمين الروابط الأخرى كرابطة الدم والنسب واللغة ما دامت هذه الروابط لا تتعارض مع مفهوم الولاء والبراء الذي بينه الباحث خلال الصفحات السابقة " فقد يشترك المسلم مع أخيه المسلم بروابط أخرى كرابطة النسب أو الإقليم ، وهذه الروابط غير منكرة ولا مرفوضة في الإسلام ، ولكن بشرط ألا تحمل شيئاً من الباطل ، وألا تعلو على رابطة الإيمان ومستلزماتها " (زيدان ، ١٣٩٥هـ ، ٩٨) .

ومن هنا تبدو الحاجة ملحة لضرورة صياغة برامجنا التربوية وفق هذا المفهوم العظيم ليظل المجتمع متماسكاً قوياً ، وذلك من أجل القضاء على العصبيات الجاهلية والنعرات القومية بحيث " تكون دراسة التاريخ الإسلامي مشتركة بين الدول الإسلامية ومنسقة بينها ، وذلك بأن يعرض التاريخ لا على أساس النظرة القومية المثيرة للعصبيات العنصرية و التفرقة، بل على أساس النظرة الإسلامية ، وبذلك يكون هذا الجزء من التاريخ على الأقل مشتركاً بين هذه الشعوب " (المبارك، ١٣٩٣ هـ ، ٧٧) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما أنه لا بد من أن تعاد صياغة أهداف التربية الاجتماعية وفق أسس الولاء لله ورسوله وللمؤمنين والبراء من المشركين والمنافقين الذين يتولونهم ، وهذا ما يؤكده علماء التربية المعاصرين . " وهذا المعنى من أهم الركائز التربية الإسلامية ، لذلك يجب أن تبنى أهداف التربية الاجتماعية ، في جميع التدريس والحياة ، وأن يعاد النظر في جميع كتب التاريخ والجغرافيا على هذا الأساس ، لأن الولاء لله وحزبه من تمام توحيده وعبادته ، والولاء للكفار ينافي عقيدة التوحيد " (النحلاوي ، ١٤٠٣هـ ، ٨٦) .

٧- إصلاح ذات البين :-

ليس غريباً أن يكون المجتمع الإسلامي مجتمعاً متماسكاً مترابطاً قوياً ، لا تهزه تهديدات ولا تنال منه إشاعات ، ولا تنقص من عزيمته أزمات في ظل التواد التحابب في الله . " فمن مقتضيات الأخوَّة إصلاح ذات البين وإزالة الخصومات القائمة بين الأشخاص والعائلات ، لأن بقاء مثل هذه الخصومات تفرق وحدة الصف وتمزق الروابط الاجتماعية " (يالجن ، ١٤٠٨هـ ، ٦٩) . وفي ذلك يقول الله ﷻ :﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات:١٠) ▪ " فإصلاح ذات البين يمثل قاعدة تشريعية لصيانة المجتمع المؤمن من الخصام والتفكك تحت النزوات والاندفاعات " (أبو دف ، ١٤١٢هـ ، ٤٣٥) .

ولقد جعل رسولنا الكريمﷺ إصلاح ذات البين أفضل درجةً من الصيام والصلاة ، مشبهاً في الوقت ذاته إفساد ذات البين بالحالقة التي تحلق الدين ، فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ﷺ: " أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ "(أبو داود ، كتاب الأدب ، ج٤، ٢٨٠ ، ح٤٩١٩) . بل لقد أكدﷺ على عظيم شأنه وكبير أثره على المجتمع بتفضيله على الاعتكاف عشر سنين ، وهذا ما دفع الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنه لقضاء حاجة رجلٍ لا تربطه به صلة قرابةٍ ولا نسب ، ولم تحركه مصلحةً دنيويةٍ زائلة ،بل حركه ولاؤه الصادق لدينه ، وطمعه في الأجر من عند ربه ﷻ حيث كما جاء في شعب الإيمان أنه كان معتكفاً في مسجد رسول اللهﷺ فأتاه رجلٌ فسلَّم عليه ثم جلس ، فقال له ابن عباس : يا فلان أراك مكتئباً حزيناً ! قال : نعم يا ابن عم رسول الله ، لفلانٍ على حقُ ولاء وحرمة هذا القبر لا أقدر عليه .قال ابن عباس : أفلا أكلمك فيه ؟ قال : إن أحببت. قال : فانتعل ابن عباس

" الأبعاد الاجتماعية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم خرج من المسجد . فقال له الرجل : أنسيت ما كنت فيه ؟ ! قال: لا ، ولكني سمعت صاحب هذا القبر ﷺ والعهد به قريب فدمعت عيناه وهو يقول: " من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيراً من اعتكاف عشر سنين ، ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله تعالى جعل بينه وبين النار ثلاث خنادق أبعد ما بين الخافقين " (البيهقي ، باب في الاعتكاف ، ج٣،٤٢٤ ، ح ٣٩٦٥) .

فإصلاح ذات البين يجعل المجتمع متماسكاً مترابطاً فهو " صفة من أرفع الصفات الإنسانية ، التي لا تصدر إلا من قلوب نبيلة أحبّت الغير ، وهل مثل الإصلاح بين الناس يؤتي الخير والنفع للمجتمع ويجعل الناس وحدة واحدة " (طبارة ، ١٣٩٩هـ ، ٢١٩) .

٨ - **النصرة ورفع الظلم** :

وهذا الولاء يقتضي تبعات وحقوقاً ، فليس هو ولاء عقيماً لا ثمرة له في الواقع ، ولا أثر له في الحياة العملية ، فهو يقتضي أن يهتم كل مسلم بأخيه المسلم ، وأن يدافع عنه ويذود عنه حياضه . ويقصد **بالنصرة ورفع الظلم** : وقوف المسلم في صف إخوانه المسلمين فيكون معهم يداً واحدة على من عاداهم ولا يخلي بتاتاً -ما استطاع إلى ذلك سبيلاً- بين مسلم وعدوه .فقد جعل الله ﷻ القتال من أجل تخليص المسلمين المستضعفين من أيدي الظالمين والمفترين قتالاً في سبيله ونصراً له ﷻ و الآيات القرآنية في هذا المجال كثيرة منها قوله ﷻ : ﴿ وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً ﴾ (النساء:٧٥) .

فإذا كانت الجاهلية قد انحرفت عن مفهوم النصرة بمعناها العادل والموضوعي ، فإن المسلمين بولائهم لدينهم قد أدركوا هذا المعنى وهذا المفهوم ، فدفعهم هذا الفهم العميق إلى الوقوف بجانب صاحب الحق ولو كان ضعيفاً أو بعيداً ، والضرب على يد الظالم ولو كان قوياً أو قريباً ، وهذا ما أراده الرسولﷺ ، فعَنْ أَنَسٍ رَضِي اللَّهم عَنْهم قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا قَالَ تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ " (صحيح البخاري ، كتاب المظالم ، باب اعن أخاك ظالماً أو مظلوماً ،٢٦٧/٣ ،ح ٦٦٣) . " وفي الحديث أمر بالنصر ، فيكون النصر واجباً ، وعدم النصر منهي عنه ، فالأمر فيه ظاهر في الايجاب ونصر الضعيف حتى يأخذه من القوي ، ونصر الظالم بإخراجه عن الظلم " (الصنعاني ، ب. ت ، ٦٩/٣ ، ١٢٢/٤) .

" الأبعاد الاجتماعية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما توعد ﷺ من خذل مسلماً يستطيع فيه نصره بخذلان الله له في أشد المواقف وأحلك المحن ، فعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبَا طَلْحَةَ بْنَ سَهْلٍ الْأَنْصَارِيَّ يَقُولَانِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا مِن امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ وَمَا مِن امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ "(أبو داوود ، كتاب الأدب ، باب من رد عن مسلم غيبة ، ٢٧٢/٤ ،ح٤٨٨٤) .

ففي الحديث دلالة على أهمية نصرة المسلم لأخيه المسلم ، والتعاون بينهما ضد أي اعتداء ، ولولا أن دفعك الأذى عن أخيك ونصرتك له واجب لما ترتب عن تركه وعيد ، إذ لا وعيد إلا بترك واجب أو فعل محرم . " وهكذا يجب على المؤمنين من كان منهم صادقاً لا تتكسر عزماته أمام التهديدات والمخاوف أن ينضم إلى إخوته لينصرهم في جهادهم ويواسيهم بنفسه " (ياسين ، ١٤١٠هـ ، ١٧٩) . لما يحقق ذلك من تواد وتحابب وترابط بين أفراد المجتمع ، فيبدو مجتمعاً متماسكاً قوياً يهابه الأعداء ويحترمه الأصدقاء .

" الأبعاد الاجتماعية
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النتائج والتوصيات

أولاً : النتائج .

ثانياً : التوصيات والمقترحات .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النتائج والتوصيات

أولاً : النتائج

من خلال هذه الدراسة توصل الباحث إلى النتائج التالية :

١. هناك علاقة وثيقة بين الولاء من جهة والبراء من جهةٍ أخرى ، وهذه العلاقة علاقة تلازم وتصاحب وتلاصق ، حيث أنه لا ولاء صادق لدين الله ولحزبه المنتصر إلا ويتبعه براء واضح لكل ما سواه من شعاراتٍ وراياتٍ سواء أكانت علمانية أو قومية أو اشتراكية أو وطنية؛ فضلاً عن البراءة من الكفار والمشركين واليهود والنصارى .

٢. التَّقِيَّة من الأعداء لا تتنافى ومفهوم الولاء والبراء في الإسلام إذا ما تحققت فيها الحدود والشروط .

٣. هناك ضعف لدى كثير من المسلمين " إلا من رحم ربي " في الولاء والبراء ، كما أن هناك خللاً بيّناً في فهم هذا المفهوم العقدي العظيم ، وهناك العديد من العوامل التي ساعدت على تفاقم هذا الضعف وتعزيزه في قلوب وعقول أبناء المسلمين ، منها ما يعود إلى المسلمين أنفسهم ، ومنها ما يعود إلى عوامل خارجية ، ومن أهم هذه العوامل تعطيل الحكم بما أنزل الله ، والجهل المنتشر بين صفوف المسلمين ، وكذلك ضعف التربية ووسائلها وافتقار المناهج بشكل عام إلى هذا المفهوم ، وكذلك التغريب وما أحدث من ثغرات ، وظهور العصبيات الجاهلية ، والحدود والتخوم ، وسياسة التجهيل والتشكيك والتشويه التي اعتمدها أعداء الإسلام تجاه الإسلام والمسلمين ، والتبشير والاستشراق وتبعات كلٍ منهما .

٤. إنّ للولاء والبراء في الإسلام أبعاداً تربوية عظيمة تتفاعل فيما بينها من أجل صقل شخصية المسلم من جميع النواحي ، الروحية والأخلاقية والنفسية والفكرية والاجتماعية .

٥. من الأبعاد التربوية الروحية للولاء والبراء في الإسلام : إخلاص العبودية لله ﷻ ، والتوكل على الله ، وتحقيق تقوى الله ، وتحقيق الإيمان وبلوغ قمته واستكماله وقوته ، والهداية والاستقامة ، وطاعة الله ﷻ رسوله ﷺ ، تحقيق شرع الله ، وبلوغ ولاية الله ومحبته ورضاه ، والتثبيت من الله ﷻ ، والخشية والخشوع والتضرع.

٦. في مقابل الأبعاد التربوية الروحية لموالاة المؤمنين هناك آثارٌ روحية سلبية جرّاء موالاة الكافرين مثل : الشرك ، والتواكل ، وضعف الإيمان وانحساره وانعدامه ، والحرمان من الهداية ، ومعصية الله ﷻ ورسوله ﷺ ، وقسوة القلب وتبلده .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧. من الأبعاد التربوية الأخلاقية للولاء والبراء في الإسلام : تحري الصدق في القول والعمل ، والوفاء بالعهد والوعد ، وتحقيق العدل ، وغرس الشجاعة والاستعداد للتضحية ، ومجاهدة الكفار والغلظة عليهم ، والصبر ، والجهر بالحق ، والقوة ، التواضع وخفض الجناح وما ينشأ عنهما من تراحم ، والإيثار .

٨. في مقابل الأبعاد التربوية الأخلاقية لموالاة المؤمنين هناك آثارٌ أخلاقية سلبية جرّاء موالاة الكافرين مثل: الكذب ، والغدر والخيانة ، والظلم ، والجبن والخور والتمسك بالدنيا ، ومهادنة الكفار ومجاملتهم على حساب الدين ، واليأس والتيئيس والتثبيط من العزائم ، والضعف في جميع المجالات وشتى الميادين ، والكبر وما ينشأ عنه من قسوة ، وحب الذات والأَثرة .

٩. من الأبعاد التربوية النفسية والوجدانية للولاء والبراء في الإسلام : الشعور بالعزة والاستعلاء ، والشعور بالأمن والأمان ، والتخفيف من حدة القلق وتداعياته ، وراحة القلب بالبشرى في الدنيا والآخرة ، وإدخال الطمأنينة والسكينة والسعادة إلى قلوب أوليائه ، وسلامة صدور أوليائه المؤمنين من الغل والحسد ، وإثلاج صدور أوليائه المؤمنين بالنصر والتمكين ، وإغاظة الكفار والمنافقين .

١٠. في مقابل الأبعاد التربوية النفسية والوجدانية لموالاة المؤمنين هناك آثارٌ نفسية ووجدانية سلبية جرّاء موالاة الكافرين مثل : الشعور بالذل والهوان ، والحرمان من الأمن والأمان ، والقلق الدائم والتوتر المستديم ، وتعاسة القلب بالخزي في الدنيا والآخرة ، والتذبذب المستمر والحرمان من الطمأنينة والسكينة ، والبؤس والشقاء .

١١. من الأبعاد التربوية العقلية والفكرية للولاء والبراء في الإسلام : الوحدة الفكرية ، و الثقافية ، والإبداع العلمي ، واعتماد التفكير الموضوعي الذي يتمخض عنه : البعد عن اتباع الظن ، البعد عن اتباع الهوى ، البعد عن التقليد الأعمى ، وهذا الأخير له تبعات إيجابية مثل : الحد من تعويق معالم التفكير ، وتفعيل وظيفة العقل ، والهداية إلى العلم وفهم الأمور وحقائقها ، والبعد عن الرؤية النصفية وعقلية البعد الواحد ، والارتقاء بمستوى التفكير إلى أعظم صوره والانفتاح في التفكير وعدم تحجيمه . ومن الأبعاد أيضاً : التفكر والتدبر والاعتبار ، وتفعيل دور العقل لما فيه صلاح الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة ،.

١٢. في مقابل الأبعاد التربوية الفكرية لموالاة المؤمنين ينتج آثارٌ فكرية وعقلية سلبية جرّاء موالاة الكافرين مثل : الاستلاب الحضاري والاحتواء الثقافي ، والانحطاط العلمي ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعدم اعتماد التفكير الموضوعي والذي يتمخض عنه : اتباع الظن ، اتباع الهوى ، التقليد الأعمى ، وهذا الأخير يتمخض عنه : طمس معالم التفكير والتفكر ، والحرمان من العلم وفهم الأمور وحقائقها ، الرؤية النصفية وعقلية البعد الواحد ، الانحطاط بمستوى التفكير إلى أدنى صوره ، الانغلاق في التفكير وتحجيمه . وعدم التفكر والتدبر وعدم الاعتبار ، واعتماد المنهج القياسي ، والجهل المركب .

١٣. من الأبعاد التربوية الاجتماعية للولاء والبراء في الإسلام : تحقيق الترابط والتماسك بين أفراد المجتمع المسلم ، والتكافل الاجتماعي ، والتعاون على البر والتقوى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والحد من الفساد والإفساد في الارض ، والقضاء على العصبيات الجاهلية والحد من النعرات القومية والنصرة ورفع الظلم

١٤. في مقابل الأبعاد التربوية الاجتماعية لموالاة المؤمنين هناك آثارٌ اجتماعية سلبية جرّاء موالاة الكافرين مثل : الشقاق والانقسام والتشرذم ، وتشتت الكلمة وضعف الانتماء ، والتناحر الاجتماعي ، والتعاون على الإثم والعدوان ، والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ، وانتشار الفساد وحدوث الفتنة في الارض ، وإثارة العصبيات الجاهلية والنعرات القومية ، وتحقيق مجموعة من النزعات الاجتماعية السيئة مثل : عقوق الوالدين والإساءة إليهما ، وقطع الأرحام ، والإساءة إلى الجيران وعدم مراعاة حقوق الضيافة ، ومجاملة الأعداء ومواساتهم على حساب جراحات المسلمين وآلامهم ، إفساد ذات البين ، والخذلان والظلم الاجتماعي .

ثانياً : التوصيات والمقترحات :

في ضوء النتائج السابقة يمكن إجمال التوصيات والمقترحات فيما يلي :

١. اعتماد الإسلام كمنهج حياة ودستور أمة ؛ من خلال تفعيل دور الولاء له والبراء من كل ما سواه في شئون الحياة التربوية والاجتماعية والسياسية والعسكرية والاقتصادية ، وذلك لما للولاء لهذا الدين من آثار عظيمة على هذه المجالات وغيرها من المجالات الأخرى .

٢. ضرورة التركيز من قبل المعلمين على غرس مفهوم الولاء والبراء لدى الناشئة وتنمية هذا المفهوم لدى الطلبة في جميع المراحل وذلك من خلال اغتنام الفرص المواتية لذلك ؛ ومن خلال ربط المناهج بتراث المسلمين الثقافي والحضاري ، وإزالة الشبهات التي تشكك الأجيال الناشئة في عقيدتها وتاريخها وسلفها الصالح .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣. ضرورة اهتمام أولياء الأمور بغرس وتنمية الولاء لدين الله في قلوب وعقول أبنائهم أثناء عملية التربية اليومية واللحظية من خلال المواقف المتنوعة في الملبس والمظهر ، وفي المأكل والمشرب ، وفي الحركات والسكنات ، وذلك من خلال ربط هذه المواقف جميعها بالمربي الأعظم النبي ﷺ وكذلك من خلال قصص الصحابة ﷺ . وتحفيظهم الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وأسماء الصحابة العظام ، بدلاً من تحفيظهم لأسماء المثلين والممثلات والمغنيين والمغنيات ، ولا بد من الإشارة إلى عظيم دور الوالدين في هذا المجال .

٤. الاهتمام من قبل المسئولين في مجال الوعظ والإرشاد في وزارات الأوقاف وكذلك العلماء والخطباء والوعّاظ بتوضيح حقيقة هذا المفهوم العقدي الخطير بالشكل الصحيح ، وربط مظاهر الحياة المختلفة الاجتماعية والسياسية والثقافية بهذا المفهوم الأصيل من أجل تحقيق قوة الصف المسلم وتخليصه من التبعية للمجتمعات الوضعية التي تفصل الدين عن شؤون الحياة الأخرى .

٥. ضرورة تفعيل دور المساجد في غرس هذا المفهوم العظيم في قلوب الناشئة وتنميته لدى الشباب الناشئ ، وذلك من خلال إتاحة الفرصة للقائمين على مراكز التحفيظ وكذلك الدعاة المخلصين لممارسة دورهم التربوي الفعال وتوفير الامكانات المادية والمعنوية التي تعمل على إتمام عملهم بالشكل القوي والصحيح .

٦. دعوة الكوادر الرياضية من قبل وزارة الشباب والرياضة لتبني عملية تصحيح المفاهيم الخاطئة لديهم عن دينهم ، وذلك من خلال توضيح حقيقة الإسلام وأنه لا يتعارض مع الرياضة ، بل على العكس من ذلك إنه يدعو إلى القوة الجسمية والعقلية وأن الولاء لدين الله يورث هذه القوة وينميها ، بيد أنه لا بد من احترام شعائر الله وذلك كاحترام الأذان واحترام موعد الصلاة بأن يتم إيقاف اللعب لأداء هذه العبادة ، وكذلك لا بد من أن تسود الأخلاق الرياضية العالية كالصدق والأخوة والمنافسة الشريفة والصبر والحلم والعدل ، وكل ذلك كان من آثار الولاء والبراء .

٧. تفعيل استعمال وسائل الإعلام في توضيح أبعاد الولاء والبراء في الإسلام ، وكشف وفضح المؤامرات الغربية التي تسعى إلى نزع ولاء المسلمين لدينهم ' لما تلعبه هذه الوسائل من دور فاعل في غرس المفاهيم وبناء القيم ، ومنها استخدام الوسائل البصرية كالصحف ، والوسائل السمعية كالمذياع ، والوسائل السمعية البصرية كالتلفاز ، وخاصة الفضائيات التي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يستخدمها أعداء الأمة في هدم هذا الولاء وتمييعه في نفوس المسلمين ، وكذلك تفعيل دور شبكة الاتصال الدولية " **inter net** " وذلك من خلال البرامج الشيقة والممتعة والمعدة بشكل جيد ومدروس ومخطط له ، بما يخدم المحافظة على شخصية الإنسان المسلم فرداً ومجتمعاً .

٨. استخدام الفن الإسلامي في غرس الولاء والبراء بالشكل الصحيح من خلال إعداد نخبة من المربين القادرين على غرس هذا المفهوم المهم باستخدام الطرق التكنولوجية المتطورة لخدمة هذا الهدف العظيم ، والتي منها البرمجة المرئية والرسوم الكرتونية التي تجذب إليها انتباه أطفال المسلمين ، والرسوم الكاريكاتورية ، والمسرحيات الإسلامية الهادفة والأفلام الدينية التي تظهر بوضوح آثار الولاء والبراء ، وكذلك الأناشيد الإسلامية الهادفة .

وفي ضوء ما سبق يقترح الباحث مواضيع للدراسة منها :

١. مدى تمثل مفهوم الولاء والبراء في الإسلام في مناهج المرحلة الأساسية الدنيا .
٢. مدى تمثل مفهوم الولاء والبراء في الإسلام في مناهج الأساسية العليا .
٣. الولاء والبراء في الإسلام ومدى تمثله في سلوك طلبة المرحلة الثانوية .
٤. الولاء والبراء في الإسلام ومدى ممارسته لدى طلبة الجامعات الفلسطينية .
٥. تصور مقترح لغرس مفهوم الولاء والبراء في الإسلام من خلال المناهج التعليمية (بحسب المراحل الدراسية) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مصادر ومراجع الدراسة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مصادر الدراسة ومراجعها

أولاً : مصادر الدراسة

القرآن الكريم

١- الأثير ، عز الدين (١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩) : **أسد الغابة في معرفة الصحابة** ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت .

٢- آل الشيخ ، عبد الطيف (١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م) : **الرسائل المفيدة** ، دار العلوم ، القاهرة

٣- ابن الأثير ، مجد الدين (١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م) : **النهاية في فريب الحديث والأثر** ، ط٢ ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت .

٤- الأصفهاني، أحمد (ب .ت) : **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** ، دار الفكر ، بيروت.

٥- البحراوي ، محمد (١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م) : **حركة الإصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني** ، دار التراث ، القاهرة .

٦- البُروسويّ ، إسماعيل (١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م) : **تنوير الأذهان من روح وتفسير البيان** ، دار الصابوني للطباعة والنشر .

٧- البُروسويّ ، إسماعيل (ب.ت) : **تنوير الأذهان من روح وتفسير البيان** ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت.

٨- البغدادي ، علاء الدين (١٣٧٥هـ ، ١٩٥٥م): **تفسير الخازن** ، ط٢ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه ، مصر .

٩- البغوي ، الحسين (١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م) : **تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل** ، دار المعرفة ، بيروت .

١٠- البيضاوي ، ناصر الدين (ب . ت) : **أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي** ، دار صادر ، بيروت .

١١- البيهقى ، أحمد (١٤١٠هـ،١٩٩٠م): **شعب الإيمان**، دار الكتب العلمية ، بيروت.

١٢- الترمذي ، محمد (١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م) : **سنن الترمذي** ، دار الفكر، بيروت .

١٣- تعيلب ، عبد المنعم (١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م) : **فتح الرحمن في تفسير القرآن** ، دار السلام للطباعة والنشر ، القاهرة .

١٤- التهانوي ، محمد (١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م) : **كشاف اصطلاحات الفنون** ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٥- ابن تيمية (ب. ت): **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم** ، دار الحديث ، القاهرة

١٦- ابن تيمية ، أحمد (*ب. ت) : **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان** ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٧- ابن تيمية وابن عبد الوهاب (١٣٧٥هـ ، ١٩٥٥م) : **مجموعة التوحيد النجدية** ، دار الإسلام للنشر والتوزيع ، القاهرة .

١٨- ابن تيمية وابن عبد الوهاب (ب. ت) : **مجموعة التوحيد** ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة .

١٩- ابن تيمية، أحمد (١٣٩٢هـ ، ١٩٧٢م) :**الإيمان** ، ط٢ ، المكتب الإعلامي ، بيروت

٢٠- ابن تيمية، أحمد (١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م) : **العبودية** ، ط٥ ، المكتب الإعلامي ، بيروت .

٢١- ابن تيمية، أحمد (ب. ت) : **مجموع الفتاوى** ،دار الكتب العلمية ، بيروت

٢٢- ابن تيميه، تقى الدين (ب .ت): **التفسير الكبير** ، دار الكتب العلمية، بيروت .

٢٣- الجبرتي ، عبد الرحمن (ب. ت) : **تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار** ، دار الجيل ، بيروت .

٢٤- الجرجاني ، الشريف علي (١٣٥٧هـ ، ١٩٣٨م) : **التعريفات** ، معجم بشرح الألفاظ المصطلح عليها بين الفقهاء والمتكلمين وغيرهم ، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، القاهرة.

٢٥- الجرجاني ، الشريف علي (١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م) : **كتاب التعريفات** ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٦- الحاكم ، محمد (١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م) : **المستدرك على الصحيحين في الحديث** ، دار الفكر ، بيروت .

٢٧- الهندي ، علاء الدين (١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م) : **كنز العمال في سنين الأقوال والأفعال** ، ط٣ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٢٨- ابن حنبل ، أحمد (١٤١٤هـ، ١٩٩٤م) : **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ، مسند المكيين ، ط٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٢٩- أبو حيَّان الأندلسي ، محمد (١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م) : **البحر المحيط في التفسير** ، دار الفكر ، بيروت .

٣٠- أبو داوود ، سليمان (١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م) : **سنن أبي داوود** ، دار الحديث ، القاهرة .

٣١- الراجعى، وهبة (١٤١١هـ ، ١٩٩١م):**التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج** ، ط١ ، بيروت ، دار الفكر المعاصر

٣٢- الرافعي ، احمد (١٣٢١هـ ، ١٩٠١م) : **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** ، المطبعة الكبرى الأميرية ، بولاق ، مصر .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣٣- الرفاعي ، قاسم (ب. ت) : **صحيح البخاري** ، دار القلم ، بيروت ، لبنان .

٣٤- الرفاعي ، محمد ، (١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م) : **تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير** ، طبعة جديدة ، مكتبة المعارف ، الرياض .

٣٥- الزحيلي ، وهبة (١٤١١هـ ، ١٩٩١م) : **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج** ، دار الفكر المعاصر، بيروت .

٣٦- الزركلي ، خير الدين (١٤١٨هـ،١٩٩٨م) : **الأعلام** ، ط١٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت .

٣٧- ابن سحمان ، سليمان (١٣٤٠هـ ، ١٩٢٠م) :**إرشاد الطالب إلى أهم المطالب** ، مطبعة المنار ، مصر

٣٨- ابن سعد ، محمد (١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م) : **الطبقات الكبرى** ، دار الصادر ، بيروت.

٣٩- السيوطي ، جلال الدين (١٣٩٨هـ ،١٩٧٨م) : **الإتقان في علوم القرآن** ، ط٤ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة .

٤٠- السيوطي ، جلال الدين (١٤٠١هـ ،١٩٨١م) : **الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير** ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت .

٤١- السيوطي ، جلال الدين (١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م) : **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت .

٤٢- الشوكاني ، محمد (١٣٨٣هـ ، ١٩٦٤م) : **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** .

٤٣- الصابوني ، محمد (١٤٠١هـ ، ١٩٨١م) : **صفوة التفاسير** ، ط٢ ، دار القرآن الكريم ، بيروت .

٤٤- الصعيدي ، عبد الفتاح وحسين ، موسى (ب. ت) : **الأفصاح في فقه اللغة** ، ط٢ ، دار الفكر العربي ، بيروت .

٤٥- أبو الضياف ، أحمد (١٤١٩هـ،١٩٩٩م) :**إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان** ، الدار العربية للكتاب ، تونس .

٤٦- الطبرسي ، الفضل (١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م) **مجمع البيان في تفسير القرآن** ، بيروت ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .

٤٧- الطبري ، محمد (١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧م) : **جامع البيان في تفسير الطبري** ، دار المعرفة ، بيروت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤٨- الطحاوي ، أحمد (١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م) : **شرح العقيدة الطحاوية** ، ط٦ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

٤٩- الطحاوي ، أحمد (ب. ت) : **شرح العقيدة الطحاوية** ، مكتبة الدعوة الإسلامية ، القاهرة.

٥٠- الطريفي ، عبد الله (١٤١١هـ ، ١٩٩١م) : **الولاء والعداء في علاقة السلم بغير المسلم** ، مؤسسة الجريسي ، الرياض .

٥١- ابن عبد الوهاب ، محمد (١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م) : **حاشية ثلاثة الأصول** ، ط٧ ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة .

٥٢- ابن العربي ، عبد الله (١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م) : **أحكام القرآن** ، دار الجيل ، بيروت

٥٣- العسقلاني ، أحمد ابن حجر (ب. ت) : **الإصابة في تمييز الصحابة** ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٥٤- العسقلاني ،أحمد بن حجر(١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م) :**فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، دار الريان للتراث ، القاهرة .

٥٥- الغزالي ، أبو حامد (ب.ت) : **إحياء علوم الدين** ، دار الكتب العلمية، بيروت .

٥٦- الفخر الرازي ، محمد (١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م) : **تفسير الفخر الرازي** ، ط٣ ، دار الفكر ، بيروت .

٥٧- الفخر الرازي ، محمد (١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م) : **مختار الصحاح** ، مكتبة لبنان ، بيروت .

٥٨-الفخر الرازي ، محمد (ب. ت) : **التفسير الكبير** ، ط٢ ، دار الكتب العلمية، طهران.

٥٩- فراج ، عز الدين (ب. ت) : **فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية** ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

٦٠- الفيومي ، أحمد (ب.ت) : **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** ، دار الفكر، بيروت .

٦١- القاسمي ، محمد (١٣٧٦هـ ، ١٩٥٧م) : **تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل** ، مصر ، دار إحياء الكتب العربية .

٦٢- القاسمي ، محمد (١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م) : **تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل** ، ط٢ ، دار الفكر، بيروت .

٦٣- القرطبي ، أبو عمر يوسف (ب. ت) : **جامع بيان العلم و فضله**، المكتبة السلفية، المدينة المنورة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦٤- القرطبي ، محمد (١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م) : **الجامع لأحكام القرآن** ، دار الفكر، بيروت

٦٥- القشيرى ، عبد الكريم(١٣٩٠هـ ،١٩٧٠م): **لطائف الإشارات**، دار الكاتب العربي للطباعة و النشر، القاهرة .

٦٦- القشيري ، عبد الكريم (ب.ت) : **الرسالة القشيرية** ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة.

٦٧- ابن القيم ، شمس الدين محمد (١٤٠٢هـ ،١٩٨٢م) :**طريق الهجرتين وباب السعادتين** ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٦٨- ابن القيم ، شمس الدين محمد (١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م) :**مدارج السالكين** ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٦٩- ابن القيم ، شمس الدين محمد (١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م) :**الجواب الكافي لمن سأل عن الجواب الشافي** ، دار الريان للتراث ، القاهرة .

٧٠- ابن القيم ، شمس الدين محمد (ب. ت) : **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان** ، دار المعرفة ، بيروت .

٧١- ابن القيم ، شمس الدين محمد (ب.ت):**أحكام أهل الذمة** ،الأولى ،جامعة دمشق .

٧٢- ابن القيم ، شمس الدين محمد(١٤٠٧هـ ، ١٩٨٨م) :**زاد المعاد في هدي خير العباد** ، ط١٥ ، دار الحديث ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٧٣- ابن القيم ، شمس الدين محمد(ب.ت) :**الفوائد** ، دار الحديث ، القاهرة .

٧٤- ابن القيم ، شمس الدين محمد (١٤١٤هـ،١٩٩٣م): **بدائع التفسير الجامع**، دار ابن الجوزى للنشر و التوزيع ، الدمام .

٧٥- ابن القيم ،شمس الدين محمد (١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م) : **تهذيب مدارج السالكين** ، (هذبه) عبد المنعم العزي ، مطبعة كاظم، دبي .

٧٦- الكاندهلوي ، محمد ، (١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م) : **حياة الصحابة** ، دار الفكر ، بيروت

٧٧- ابن كثير ، إسماعيل(١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م) :**البداية والنهاية** ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

٧٨- ابن كثير ، إسماعيل(١٤١٠هـ ،١٩٩٠م) : **السيرة النبوية**، دار الفكر ، بيروت.

٧٩- ابن كثير ، إسماعيل(ب . ت) :**تفسير القرآن العظيم** ، دار التراث ، القاهرة.

٨٠- ابن كثير، إسماعيل(١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م): **البداية والنهاية** ، دار الريان للتراث ، القاهرة .

٨١- ابن ماجة ، محمد (ب. ت) : **سنن ابن ماجة** ، دار الفكر ، بيروت .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٨٢- الماوردي ، علي (١٣٩٣هـ ، ١٩٧٣م) : **أدب الدنيا والدين** ، ط٤ ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، مصر .

٨٣- الماوردي ، علي (١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م) : **أدب الدنيا والدين** ، دار إحياء العلوم، بيروت

٨٤- ابن مسكوية (١٣١٧هـ،١٨٩٣م) :**تهذيب الأخلاق**، مطبعة الترقى ، مصر .

٨٥- الملطي ، محمد (١٣٨٨هـ ، ١٩٦٨م) : **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع** ، مكتبة المعارف ، بيروت .

٨٦- ابن منظور ،جمال الدين(١٤١٤هـ، ١٩٩٤م):**لسان العرب** ، ط٣ ، مطبعة دار صادر ، بيروت .

٨٧- النووي ، محي الدين (١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م) : **الأذكار من كلام سيد الأبرار** ، ط٤ ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .

٨٨- النووي ، محي الدين(١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م) : **صحيح مسلم بشرح النووي** ، ط٣، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٨٩- النيسابوري ، مسلم (١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م) **صحيح مسلم** ، إدارة البحوث العلمية ، السعودية

٩٠- ابن هشام ،عبد الملك(ب .ت): **السيرة النبوية** ، ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت

ثانياً مراجع الدراسة :

(أ) : الكتب :-

١- إبراهيم ، أحمد (١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م) : **الفضائل الخلقية في الإسلام** ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، المنصورة .

٢- إبراهيم ، أحمد (١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م) : **مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام** ، تحقيق ، إدريس علي ، محمد اسطنبولي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت .

٣- أبو زهرة ، محمد (ب. ت) : **التكافل الاجتماعي في الإسلام** ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة .

٤- أبو زهرة ، محمد (ب.ت) : **التكافل الاجتماعي في الإسلام** ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥- أبو فرحة ، خليل (١٤٢٠هـ ،٢٠٠٠م) : **الموسوعة النفسية** ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمّان

٦- أسد ، محمد (١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م) : **الإسلام على مفترق طرق** ، دار الاعتصام ، القاهرة .

٧- أسعد ، يوسف (١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م) : **القوى الروحية في المجتمع** ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة .

٨- أسعد ، يوسف (ب .ت) : **الانتماء وتكامل الشخصية** ، مكتبة غريب ، الفجالة .

٩- إسماعيل ، فاطمة (١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م) : **القرآن والنظر العقلي** ،المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، هيرندن ، فرجينيا .

١٠- الأغا ، إحسان (١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م) : **البحث التربوي** ، مطبعة مقداد ، غزة .

١١- البحراوي ، محمد (١٣٩٨هـ ،١٩٧٨م) : **حركة الإصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني** ، دار التراث ، القاهرة .

١٢- البدري ، عبد العزيز (١٤٠٠هـ ،١٩٨٠م) : **الإسلام بين العلماء والحكام** ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة .

١٣- بدرى ، مالك (١٤١٣هـ،١٩٩٣م) : **التفكر من المشاهد إلى الشهود** ،ط٣ دراسة نفسية إسلامية ، ،فيرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

١٤- بكار ، عبد الكريم (١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م) :**فصول في التفكير الموضوعي** ، دار القلم ، دمشق .

١٥- البهي ، محمد (١٣٨٣هـ ، ١٩٦٤م) :**الدين والحضارة الإنسانية** ، دار الهلال ،القاهرة .

١٦- البهي ، محمد (١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م) : **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي** ، ط٦ ، دار الفكر ، بيروت .

١٧- البيحاني ، محمد (ب .ت) : **إصلاح المجتمع** ، ط٢ ، مكتبة أسامة بن زيد، بيروت .

١٨- بيومي ، سليمان (١٤١١هـ ، ١٩٩١م) : **قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين – التحالف الصليبي الماسوني وضرب الاتجاه الإسلامي** ، عالم المعرفة ، جدة

١٩- جريشة ، علي (١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م) : **نحو نظرية للتربية الإسلامية** ، عابدين ، مكتبة الناشر .

٢٠- جريشة ، على و الزيبق ، محمد (١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م) : **أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي** ، دار الاعتصام .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢١- حسن ، عبد الباسط (١٣٨٦هـ ، ١٩٦٦م) : **أصول البحث الاجتماعي** ، ط٢ ، مطبعة لجنة البيان العربي.

٢٢- حسنة ، عمر (١٤١٢هـ،١٩٩١م) : **مراجعات في الفكر و الدعوة و الحركة** ، دار الفكر ، بيروت .

٢٣- حسين ، طه (١٣٥٨هـ ، ١٩٣٨م) : **مستقبل الثقافة في مصر** ،مطبعة المعارف، القاهرة .

٢٤- حسين ، محمد (١٣٨٨هـ ،١٩٦٨م) : **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر** ، ط٢ ، المطبعة النموذجية ، الحلمية الجديدة ، مصر .

٢٥- الحصري ، ساطع (١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م) : **البلاد العربية والدولة العثمانية** ، ط٣ ، دار العلم للملايين .

٢٦- الحليبي ، أحمد (١٤١٧هـ) : المسئولية الخلقية والجزاء عليها ، **رسالة دكتوراة منشورة** ،مكتبة الرشد ، الرياض .

٢٧- حوى ، سعيد (١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م) : **الأساس في التفسير** ، دار السلام للطباعة والنشر ، القاهرة .

٢٨- حوى ، سعيد (١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م) : **المستخلص في تزكية الأنفس** ، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة .

٢٩- حوى ، سعيد (١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م) : **الأساس في السنة وفقهها** ، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة .

٣٠- حوى ، سعيد (ب. ت) : **جند الله ثقافة وأخلاقاً** ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

٣١- الحياري ، السيد ، (١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م) : **معالم في الفكر التربوي للمجتمع الإسلامي** ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، إربد .

٣٢- الخالدي ، صلاح (١٤٠٦هـ ١٩٨٦م) : **مدخل إلى ظلال القرآن** ، دار المنارة للنشر ، جدة .

٣٣- الخالدي ، مصطفى وفروخ ، عمر (١٣٨٣هـ ، ١٩٦٣م) : **التبشير والاستعمار في البلاد العربية** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٣٤- الخراشي ، ناهد (١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م) : **أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي** ،وكالة الأهرام للتوزيع ، القاهرة .

٣٥- الخطيب ، عمر (١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م) : **لمحات في الثقافة الإسلامية** ، ط٣ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣٦- الخطيب ، محب الدين والباقي ، مساعد (١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م) : **الغارة على العالم الإسلامي** ، ط٢ ، الدار السعودية للنشر ، السعودية

٣٧- خليل ، عماد الدين (١٤١٢هـ ، ١٩٩١م) : **حول تشكيل العقل المسلم** ، ط٤ ، فيرجينيا ،المعهد العالمي للفكر الإسلامي

٣٨- الدباغ ، مصطفى (١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م) : وجوه من الإعجاز القرآني ، ط٢ ، مكتبة المنار ، الأردن .

٣٩- دراز ، محمد (١٤٠٠هـ،١٩٨٠م) : دستور الأخلاق في القران ،دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القران ، ط٣ ، **رسالة دكتوراة منشورة** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

٤٠- الراشد ، محمد (١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م) : **العوائق** ، ط٨ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٤١- الرافعي ، احمد (١٣٢١هـ، ١٩٠١م) : **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** ، المطبعة الكبرى الأميرية ، بولاق ، مصر .

٤٢- الرقب ، صالح (١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م) : **واقعنا المعاصر والغزو الفكري** ، ط٤ ،مطبعة الرنتيسي ، غزة ، فلسطين .

٤٣- الزبيدي ، السيد محمد (١٣٨٥هـ ، ١٩٦٥م) : **تاج العروس من جواهر القاموس** ، تحقيق عبد الفتاح فراج ، التراث العربي ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت .

٤٤- الزناتي ، عبد الحميد (١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م) : **أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية** ، الدار العربية للكتاب ، تونس .

٤٥- الزهراني ، علي (١٤١٥هـ) :الانحرافات العقدية العلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة ، **رسالة ماجستير منشورة** ، دار الرسالة للنشر والتوزيع ، مكة ،

٤٦- زيدان ، عبد الكريم (١٣٩٥هـ ، ١٩٧٥) : **أصول الدعوة** ، ط٣ ، دار عمر بن الخطاب للنشر والتوزيع ، الإسكندرية .

٤٧- سابق ، السيد (ب. ت) : **عناصر القوة في الإسلام** ، الفتح للإعلام العربي ، القاهرة .

٤٨- سعيد ، عبد الستار (١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م) : **الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام** ، ط٤ ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، المنصورة.

٤٩- سلطان ، محمد (ب . ت) : **قضايا في الفكر التربوي الاسلامي** ، دار الفكر ، بيروت .

٥٠- السمان ، محمد (١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م) : **العقيدة والقوة معاً** ، دار الجيل ، بيروت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥١- سمعان ، وهيب (١٣٨٢، ١٩٦٢م) : **الثقافة والتربية في العصور الوسطى** ، دراسة تاريخية مقارنة " دراسات في التربية " دار المعارف ، مصر

٥٢- شديد ، محمد (ب. ت) : **منهج القرآن في التربية** ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة.

٥٣- الشرقي ، أحمد (١٣٨٢هـ ، ١٩٦٢م) : **شرح قصيدة ابن القيم** ، المكتب الإسلامي .

٥٤- الشريدة ، محمد (١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م) : **مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية –مبادئ وآثار** ، دار النشر غير موجودة.

٥٥- الشريف ، محمد (١٤٠٦هـ ، ١٩٩٦م) : **سكينة الإيمان** ، دار ابن كثير، دمشق .

٥٦- شلتوت ، محمود (١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م) : **الإسلام عقيدة وشريعة** ، ط١٠ ، دار الشروق ، القاهرة .

٥٧- شهلا ، جورج وآخرون (١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م) : **الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية** ، ط٣ ،

٥٨- الصافوري ، مجدي (١٤١٠هـ،١٩٩٠م) : **سقوط الدولة العثمانية وأثره على الدعوة الإسلامية** ، دار الصحوة ، القاهرة .

٥٩- الصلابي ، علي (١٤٢٠هـ،٢٠٠٠م) :**الدولة العثمانية- عوامل النهوض والسقوط** ، دار البيارق ، عمَّان .

٦٠- الصنعاني ، محمد (ب.ت) : **سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام** ، مكتبة عاطف ، بجوار إدارة الأزهر .

٦١- الصواف ، محمد (١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م) : **المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام** ،دار الاعتصام ، مكة المكرمة .

٦٢- طبارة ، عفيف (١٣٨٦هـ ، ١٩٦٦م) : روح الدين الإسلامي ، ط٧ ، **رسالة ماجستير منشورة** ، دار العلم للملايين ، بيروت.

٦٣- طبارة ، عفيف (١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م) : روح الدين الإسلامي ، ط١٨ ، **رسالة ماجستير منشورة** ، دار العلم للملايين ، بيروت.

٦٤- الطريفي ، عبد الله (١٤١١هـ ، ١٩٩١م) : **الولاء والعداء في علاقة المسلم بغير المسلم** ، مؤسسة الجريسي ، الرياض .

٦٥- طوقان ، فدوى (ب .ت) : **العلوم عند العرب** ، دار مصر للطباعة، الفجَّالة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦٦- عارف ، مذكور (١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م) : الصدق في القرآن الكريم ، **رسالة ماجستير منشورة** ، مكتبة الرشد ، الرياض .

٦٧- العالم ، جلال (١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م) : **دمروا الإسلام ،أبيدوا أهله** ، مطبعة المختار الصحاح ، القاهرة

٦٨- عبد العزيز ، جمعة (١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م) : **الإخلاص** ، دار الدعوة للطباعة والنشر ، الإسكندرية .

٦٩- عبده ، محمد (ب.ت) : **القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار** ،ط٢ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

٧٠- عبده، محمد (١٣٩٣هـ، ١٩٧٣) : **القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار** ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

٧١- عبود ، عبد الغني (١٣٩٧هـ ، ١٩٧٧م) :**في التربية الإسلامية** ، دار الفكر العربي ، القاهرة

٧٢- عبود ، عبد الغني (١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م) : **التربية ومشكلات المجتمع** ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

٧٣- عبيدات ، عبد الكريم (١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م) : الدلالة العقلية في القرآن الكريم ، **رسالة دكتوراة منشورة** ، دار النفائس للنشر والتوزيع ،عمَّان .

٧٤- عدس ، عبد الرحمن و توق ، محي الدين (١٤١٨هـ،١٩٩٨م) : **المدخل إلى علم النفس** ، ط٥ ، دار الفكر ، عمّان.

٧٥- عدس ، محمد (١٤١٦هـ، ١٩٩٦م) : **واقعنا التربوي ... إلى أين ؟** ، دار الفكر للطباعة والنشر ، عمان .

٧٦- عرجون ، محمد (١٣٩٢هـ ، ١٩٧٢م) : **الموسوعة في سماحة الإسلام** ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة .

٧٧- عرجون ، محمد (١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م) :**محمد رسول الله ﷺ منهج رسالة – بحث وتحقيق** ، دمشق ، دار القلم .

٧٨- عسيري ، مريزن (١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م): الحياة العلمية في العراق في العصر ، **رسالة دكتوراة منشورة** ، دار العلم للملايين ، بيروت.

٧٩- عطا ، عبد القادر (١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م) : **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** لأبي بكر أحمد بن خلال " دراسة وتحقيق " ، دار الفكر ، بيروت .

٨٠- العك ، خالد (١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م) : **عقيدة المسلم في ضوء القرآن والسنة النبوية** ، دار الإيمان ، دمشق .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٨١- علوان ، عبد الله (١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م) : **تربية الأولاد في الإسلام** ، ط٢ ، دار السلام للطباعة والنشر ، بيروت .

٨٢- علوان ، عبد الله (١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م) : **عقبات في طريق الدعاة وطرق معالجتها في ضوء الإسلام** ، دار السلام للطباعة والنشر ، بيروت .

٨٣- العلواني ، طه (١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م) : **الأزمة الفكرية المعاصرة** ، ط٢ ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فيرجينيا .

٨٤- عمارة ، محمد (١٤١١هـ ، ١٩٩١م) : **معالم المنهج الإسلامي** ، ط٢ ، فيرجينيا ،المعهد العالمي للفكر الإسلامي

٨٥- العمري ، عبد الله (١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م) : **تاريخ العلم عند العرب** ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمَّان .

٨٦- عودة ، عبد القادر (١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م) : **الإسلام وأوضاعنا القانونية** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٨٧- عودة ، عبد القادر (ب .ت) : **الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٨٨- عويضة ، محمد (١٤١٦هـ، ١٩٩٦م) : **الصحة من منظور علم النفس** ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٨٩- العيسوي ، عبد الرحمن (١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م) : **مقومات الشخصية الإسلامية والعربية وأساليب تنميتها** ، دار الفكر الجامعي الأزاريطية .

٩٠- العيسوي ، عبد الرحمن (١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م) : **سيكولوجية الطفولة والمراهقة** ، دار النهضة العلمية، بيروت .

٩١- الغزالي ، محمد (١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م) : **الغزو الثقافي يمتد في فراغنا** ، دار الصحوة ، القاهرة

٩٢- الغزالي ، محمد (١٤١١هـ، ١٩٩١م) : **كفاح دين** ، ط٥ ، مكتبة وهبة ، عابدين ،مصر

٩٣- الغزالي ، محمد (١٤١٢هـ، ١٩٩١م) : **تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل** ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا ، الولايات المتحدة الأمريكية .

٩٤- الغزالي ، محمد (١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م) : **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم** ، ط٣ ، دار الشروق، القاهرة .

٩٥- الغزالي ، محمد (ب. ت) : **خلق المسلم** ، الإسكندرية ، دار الدعوة للنشر والطباعة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٩٦- الغزالي ، محمد (١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م) : **حصاد الغرور** ، ط٢ ،المختار الإسلامي للطباعة والنشر ، القاهرة .

٩٧- الغضبان ، منير (١٤٠٨هـ ، ١٩٨٧م) : **المنهج الحركي للسيرة النبوية** ، ط٣ ، مكتبة المنار ، الزرقاء .

٩٨- الغضبان ، منير (ب.ت) : **المنهج التربوي للسيرة النبوية** – التربية الجهادية ، مكتبة المنار ، الزرقاء .

٩٩- الفاضلي ، فتحي (١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م) : **التبعية والاستعباد المعاصر** ، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف .

١٠٠- فايز ، أحمد (١٤٠١هـ، ١٩٨١م) : **طريق الدعوة في ظلال القرآن** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت

١٠١- فراج ، عز الدين (ب . ت) : **فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية** ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

١٠٢- القاضي ، سعيد (١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م) : **أصول التربية الإسلامية** ، عالم الكتب ، القاهرة .

١٠٣- القحطاني ، محمد (١٤٠٤هـ ،١٩٨٤م) : الولاء والبراء في الإسلام ، ط٢ ، **رسالة ماجستير منشورة** ، فرع العقيدة ،جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .

١٠٤- القحطاني النجدي ، عبد الرحمن (١٤١٣هـ، ١٩٩٣م) : **الدرر السنية في الأجوبة النجدية** ، ط٥ ، مطبعة أم القرى ، السعودية .

١٠٥- قراعة ، محمود (ب. ت) : **الأخلاق في الإسلام** ، دار مصر للطباعة ، مصر .

١٠٦- القرضاوي ، يوسف (١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م) : **الحل الإسلامي ...فريضة وضرورة** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

١٠٧- القرضاوي ، يوسف (١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م) : **الإيمان والحياة** ، ط٩ ، مطبعة وهبة ، القاهرة .

١٠٨- القرضاوي ، يوسف (١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م) : **الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف** ، المنصورة ، دار الوفاء .

١٠٩- القرضاوي ، يوسف (١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م) : **العقل والعلم في القرآن الكريم** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

١١٠- القرضاوي ، يوسف (ب. ت) : **هموم المسلم المعاصر** ،إعداد وحوار : يوسف فرحات ، مكتب التراث الإسلامي ، القاهرة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١١١- قرعوش وآخرون (١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م) : **الأخلاق في الإسلام** ، ط٢ ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، عمّان .

١١٢- قطب ، محمد (*ب. ت) : **دراسات قرآنية** ، دار الشروق ، بيروت .

١١٣- قطب ، محمد (١٣٧٩هـ ، ١٩٦٠م) : **خلق المسلم** ، ط٤ ، دار الكتب الحديثة ، مصر .

١١٤- قطب ، محمد (١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م) : **واقعنا المعاصر** ، مؤسسة المدينة المنورة ، السعودية

١١٥- قطب ، محمد (ب. ت) : **هل نحن مسلمون** ، مكتبة وهبة ، عابدين ، مصر.

١١٦- قطب، سيد (١٣٨٦هـ ، ١٩٦٧م) : **في ظلال القرآن** ، ط٥ ،دار التراث العربي ، بيروت.

١١٧- قطب، سيد (١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢هـ) : **معالم في الطريق** ، ط٩ ، دار الشروق ، القاهرة

١١٨- قمبز ، محمود (١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م) : **دراسات تراثية في التربية الإسلامية** ، دار الثقافة ، الدوحة.

١١٩- كجك ، مروان (١٤٠٩هـ ، ١٩٨٨م) : **الموالاة والهجر والمعاداة للشيخين الجليلين " ابن تيمية وسيد قطب "** دار الكلمة الطيبة .

١٢٠- متولي ، نبيل (١٩٩٠م) :أخطار الأيدلوجية الصهيونية والأيدلوجية الأخرى على المجتمع العربي والإسلامي ، **رسالة ماجستير منشورة** ،كلية التربية ، جامعة المنصورة ، مصر .

١٢١- محمود ، عبد الحليم (١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م) : **التربية الإسلامية في سورة المائدة** ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة .

١٢٢- مخلوف ، حسين (١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م) : **صفوة البيان لمعاني القرآن** ، شركة ذات السلاسل ، الشامية ، الكويت .

١٢٣- مدكور ، علي (١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م) : **منهج التربية في التصور الإسلامي** ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

١٢٤- المراغي ، أحمد (١٣٩٤هـ) : **تفسير المراغي** ، ط٣ ، دار الفكر ، بيروت .

١٢٥- المراغي ، عبد العزيز (ب. ت) : **أعلام الإسلام** ، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر .

١٢٦- المصري ، محمد (١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م) : **لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها** ، ط٤ ، دار الفكر ، بيروت .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٢٧- المطوع ، نسيب (١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م) : **تعال نستثمر الإيثار** ، لجنة ساعد أخاك المسلم في كل مكان ، الكويت .

١٢٨- مظهر ، جلال (١٣٨٧هـ ، ١٩٦٧م) :**أثر العرب في الحضارة الأوروبية** ، دار الرائد ، بيروت

١٢٩- مغنية ، محمد(١٤٠١هـ،١٩٨١م):**التفسير الكاشف** ، ط٣ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، النصر

١٣٠- الملطي ، محمد (١٣٨٨هـ ، ١٩٦٨م) : **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع** ، مكتبة المعارف ، بيروت .

١٣١- منتصر ، عبد الحليم (ب. ت) : **تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه** ، ط٩ ، دار المعارف ، القاهرة .

١٣٢- المودودي ، أبو الأعلى (ب. ت) : **الإسلام اليوم** ، دار التراث العربي ، القاهرة

١٣٣- موسى، محمد(١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م): **الثبات** ، ط٥ ، دار الأندلس الخضراء ، جدة

١٣٤- الميداني ، عبد الرحمن (١٣٩٥هـ ، ١٩٧٥م) : **أجنحة المكر الثلاثة** ، دار القلم ، دمشق .

١٣٥- الميداني ، عبد الرحمن (١٤١٢هـ ، ١٩٩١م) : **كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة** ، دار القلم ، دمشق .

١٣٦- الميداني ، عبد الرحمن (١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م) : **الأخلاق الإسلامية وأسسها** ، ط٣ ، دار القلم ، دمشق .

١٣٧- الميداني ، عبد الرحمن (١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م) : **ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ** ، دار القلم ، دمشق .

١٣٨- النجار ، عبد المجيد (١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م) : **دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين** ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فيرجينيا ، الولايات المتحدة الأمريكية .

١٣٩- النجار ، عبد المجيد (١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م) : **دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين** ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فيرجينيا ، الولايات المتحدة الأمريكية .

١٤٠- النحلاوي ، عبد الرحمن (١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م) : **أصول التربية الإسلامية** في البيت والمدرسة والمجتمع ، ط٢ ، دار الفكر ، دمشق .

١٤١- النحوي ، عدنان (١٤١١هـ ، ١٩٩٠م) : **التوحيد وواقعنا المعاصر** ، دار النحوي للنشر والتوزيع ، الرياض .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٤٢- النحوي ، عدنان (١٤١١هـ ، ١٩٩١م) : **الصحوة الإسلامية المعاصرة ، إلى أين ؟** ، دار النحوي للنشر والتوزيع ، الرياض .

١٤٣- النحوي ، عدنان (١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م) : **النية في الإسلام وبعدها الإنساني** ، دار النحوي للنشر والتوزيع ، الرياض .

١٤٤- النحوي ، عدنان (١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م) : **الولاء بين منهاج الله والواقع** ، دار النحوي للنشر والتوزيع ، الرياض .

١٤٥- النحوي ، عدنان (١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م) : **دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية** ، ط٦ ، دار النحوي للنشر والتوزيع ، الرياض .

١٤٦- النحوي ، عدنان (١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م) : **بناء الأمة الواحدة والنظرية العامة للدعوة الإسلامية** ، ط٣ ، دار النحوي للنشر والتوزيع ، الرياض .

١٤٧- الندوي ، أبو الحسن (١٣٩٧هـ ، ١٩٧٧م) : **الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية** ، ط٣ ، دار الإمضاء ، القاهرة .

١٤٨- هندي ، صالح (١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م) : **دراسات في الثقافة الإسلامية** ، دار الفكر للنشر ، عمَّان .

١٤٩- هونكة ، سيجرند (ب .ت): **فضل العرب على أوروبا** ، ترجمه وحققه د. فؤاد حسنين علي ، دار النهضة العربية ، القاهرة .

١٥٠- هيكل ، محمد (١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م) : الجهاد والقتال في السياسة الشرعية ، ط٢ ، **رسالة دكتوراه منشورة** دار البيارق ، بيروت .

١٥١- ياسين ، عبد السلام (١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م) : **المنهاج النبوي " تربية وتنظيما وزحفا "** ، ط٢ ، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف .

١٥٢- ياسين ، عبد الله (١٩٨٣م) : التربية الإسلامية في ظلال القرآن ، **دراسة حركية** ، دار الأرقم ، عمان .

١٥٣- ياسين ، محمد (١٤١٢هـ ، ١٩٩١م) : **الإيمان ٠٠أركانه ٠٠حقيقته٠٠نواقضه** ، الطبعة الأولى لمكتبة السنة ، الدار السلفية للنشر ، القاهرة .

١٥٤- يالجن ، مقداد (١٣٩٢هـ) : الاتجاه الأخلاقي في الإسلام ، **رسالة ماجستير منشورة** ، مكتبة الخانجي ، مصر .

١٥٥- يالجن ، مقداد (١٤٠٨هـ ، ١٩٨٧م) : **التربية الإسلامية ودورها في مكافحة الجريمة** ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض.

١٥٦- يوسف ، محمد (١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م) : التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم ، **رسالة ماجستير منشورة** ، دار السلام للطباعة والنشر ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً : الرسائل العلمية

١- أبو دف ، محمود (١٤١٢هـ ،١٩٩٢م) :الجانب الإيماني في التربية الإسلامية وانعكاساته على حياة الأفراد ، **رسالة دكتوراه غير منشورة** ،كلية التربية ، أم درمان ، السودان

٢- الديسي ، محمد (١٩٨١م) : أثر العلمانية في التربية والتعليم في العالم الإسلامي ، **رسالة ماجستير غير منشورة** ، كلية التربية ،جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .

٣- عيسوي ،توفيق (١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م) : مفهوم الانتماء لدى طلاب كلية التربية ، **رسالة ماجستير غير منشورة** ، كلية التربية ، جامعة المنصورة ، مصر .

٤- غانم ، عبد الفتاح (١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م) : الدفاع الشرعي في الفقه الاسلامي ، **رسالة ماجستير غير منشورة** ، كلية الشريعة ، الجامعة الإسلامية ، غزة

٥- لولو ، محمد (١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م) : الآثار التربوية للإيمان بالقضاء والقدر ، **رسالة ماجستير غير منشورة** ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة اليرموك ، الأردن

٦- اليازجي ، ابتسام (١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م) : الإيثار وعلاقته ببعض المتغيرات النفسية لدى طالبات الجامعة الإسلامية بغزة ، **رسالة ماجستير غير منشورة** ، كلية التربية الجامعة الإسلامية ، غزة .

ثالثاً : الدوريات

١- الأزرق ، عبد الوهاب(شعبان ١٣٩٦هـ ، ١٩٧٦م): " أسبقيتنا في التراث الفكري الإنساني " ، **مجلة منار الإسلام** ، الإمارات العربية ، العدد الثامن .

٢- الجندي ، أنور (شعبان ١٣٩٦هـ ، أغسطس ١٩٧٦م): " أصالة المنهج الإسلامي " **مجلة منار الإسلام** ، الإمارات العربية ، العدد الثامن .

٣- الخولي ،عزت (ذو القعدة ١٣٩٦هـ ، ١٩٧٦م): " المسلم وأبعاد وجوده "، **مجلة منار الإسلام** ، الإمارات العربية ، العدد ١١.

٤- زين ، إلياس (١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م) : " أخطار نزيف الأدمغة على الأمة العربية "، **مجلة المستقبل العربي** ، بيروت ، العدد الثالث .

٥- شبر، السيد جواد (ربيع الآخر ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م): " وحدة المسلمين " ،**مجلة الفكر الإسلامي** ، طهران ، العددان ١٤، ١٥.

٦- عبد اللطيف ، عبد العزيز (١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م) : " كلمات في الولاء والبراء " ،**مجلة البيان** ، لندن ، العدد ٥١ .

٧- عثمان ، أمين (١٤١٠هـ، ، ١٩٩٠م) : " الشعور بالأمن حاجة إنسانية "، **مجلة الوعي الإسلامي** ، الكويت ، العدد ٣٠٦ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٨- الفوزان ، صالح (١٩٩٠م) : " الولاء والبراء في الإسلام " ،**مجلة البحوث الإسلامية** السعودية ، العدد

٩- القاسمي ، أحمد (شوال ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م) : " حتى لا تخدعنا الشعارات فنضل " **مجلة منار الإسلام** ، الإمارات العربية ، العدد ١٠ .

١٠- القرضاوي ، يوسف (ذو القعدة ١٣٩٦هـ ، ١٩٧٦م): " دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية " ، **مجلة منار الإسلام** ، الإمارات العربية ، العدد ١١.

١١- كسبة، طه(ذو القعدة ١٣٩٦هـ ، ١٩٧٦م): " في مواجهة الجدل الفلسفي والفكر المادي المشبوه " ، **مجلة منار الإسلام** ، الإمارات العربية ، العدد ١١ .

١٢- المبارك، محمد (ذو القعدة ١٣٩٣هـ ، ١٩٧٣م): " عرض العقيدة الإسلامية" **مجلة الفكر الإسلامي** ، طهران ، العدد العاشر .

١٣- المتولي ، محمد (ديسمبر ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨م) : " قيم هي أساس التربية " **مجلة الوعي الإسلامي** ، الكويت ، العدد ٢٨٣

١٤- مهاجراني، عباس (رجب ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م): " النهضة وعناصرها الأساسية في الإسلام " ، **مجلة الفكر الإسلامي** ، طهران ، العددان ٣٩ ، ٤٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com